ساعدت جامعة بغداد على نشره

العراق في العصر الأموي

من الناحية السياسية والادارية والاجتماعية

ثابت اسماعيل الراوي

منشورات - مكتبة النهضة - بغداد

العراق
في العصر الاموي

- الطبعة الاولى – ١٩٦٥
- طبع في مطبعة الارشاد – بغداد

ثابت اسماعيل الراوي

العراق في العصر الأموي

من الناحية
السياسية والادارية والاجتماعية

ساعدت جامعة بغداد على نشره

منشورات - مكتبة النهضة - بغداد

• بحث نال به مؤلفه درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي من جامعة الاسكندرية بتقدير ممتاز سنة ١٩٥٩ .



ان تاريخ العراق منذ قيام الدولة الاموية حتى سقوطها (٤١ـ١٣٢) هـ تاريخ حافل بالاحداث والتطورات السياسية والدينية والاجتماعية فقد احتل العراق مركزا رئيسيا بالنسبة لتلك الاحداث وكان المسرح الحقيقي للتاريخ الاسلامي في تلك الفترة •

ومما دعاني الى دراسة هذه الفترة النتائج الهامة التي تمخضت عن تلك الاحداث والتطورات تلك النتائج التي كان لها آثارها البعيدة المدى على العراق والعالم الاسلامي •

ففي هذه الفترة استمرت عملية تعريب العراق التي بدأت منذ الفتح الاسلامي فتحول الشعب العراقي الى شعب عربي مسلم واصبح يؤلف جزء هاما من الامة الاسلامية منه انطلقت الجيوش العربية للفتح نحو الاقطار الشرقية لتنشر الدين الاسلامي واللغة العربية ، وتهيأ العراق ليحتل مركز القيادة للعالم الاسلامي في العصر العباسي عصر الحضارة والنور •

كما ان هذه الفترة كانت لها اهميتها من الناحية الدينية والسياسية التي جاءت نتيجة لموقف العراق المعارض للدولة الاموية والنزاع الذي ثار بين العراقيين والامويين طيلة العصر الاموي حول مبدأ الخلافة فتفرقت الامة الاسلامية الى فرق واحزاب ـ كالشيعة والخوارج والمعتزلة والمرجئة ـ كل فرقة تناصب الاخرى العداء واصبح بالسيف يعرف من هو خليفة المسلمين •

وبهذه المناسبة اتقدم الى استاذي الدكتور جمال الدين الشيال استاذ التاريخ الاسلامي بكلية الآداب جامعة الاسكندرية باجزل الشكر على ما افدته من علمه الوافر وارشاداته النافعة •

كما لا يفوتني ان اشكر الدكتور عبدالعزيز الدوري عميد كلية الآداب جامعة بغداد على ارشاداته القيمة كما اشـــكر الدكتور عبدالرحمن الحبيب معاون عميد كلية الآداب جامعة بغداد والاستاذ عزيز احمد الراوي على ما قدموه لي من مساعدة وعون ٠

ثابت اسماعيل الراوي

الفصل الأول

الفتح العربي للعراق

حالة العراق في اواخر عهد الدولة الفارسية • موقف اهل العراق من الدولة الفارسية • الفتح العربي : اسباب الفتح • خطواته • موقف اهل العراق منه • خضوع العراق للفتح الاسلامي • خروج الفرس منه نهائيا •

خضع العراق للحكم الفارسي منذ سنة ٢٢٣م اذ تمكن اردشير بن بابك مؤسس الدولة الساسانية من القضاء على كل مقاومة في ارض العراق وجعله جزءا من الامبراطورية الفارسية خاضعا لنظمها وقوانينها واصبح احد الاقاليم الاربعة التي كانت تكون الامبراطورية الساسانية[١] •

عنى الفرس عناية خاصة بانشاء مشاريع الري واحياء المشاريع القديمة فانتعشت الزراعة حتى كان العامر من الارض كثيرا والمعطل فيها يسيرا[٢] وعنوا ايضا بتحصين حدود العراق واقامة الحصون والمسالح ليبعدوا عنه غارات البدو والطامعين فيه وازداد اهتمامهم به باتخاذهم طيسفون (المدائن) عاصمتهم الشتوية اول الامر ثم اتخذوها مركزا دائما لهم منذ عهد انوشروان بن قباذ[٣]• من مظاهر عنايتهم بالعراق ودفع غارات البدو عنه والطامعين فيه مساعدتهم في اقامة دولة المناذرة التي اتخذت الحيرة عاصمة لها وكانت غاية الفرس من اقامة هذه الدولة هي ان تكون حاجزا يمنع عنهم غارات البدو اولئك الذين دأبوا على الاغارة على ارض السواد كلما سنحت

---

(١) حمزة الاصفهاني ـ التاريخ ص ٦٥

(٢) ابو يوسف ـ الخراج ص ٤٨

(٣) اليقعوبي ـ التاريخ ج ١ ص ١٤٣

لهم الفرصة وكذلك لتساعد الفرس في محاربة الدولة البيزنطيـــة وربيبتها دولة الغساسنة التي انشئت لمثل الغرض الذي انشئت من اجله دولة المناذرة عملت دولة المناذرة على ان تكون مخلصة في عونها للدولة الفارسية فقـــد ظلت تحارب الى جانبها اعداءها حتى اسقطها الفرس سنة ٦٠٢م بان القى كسرى القبض على النعمان الثالث وسجنه وبذلك انتهى حـــكم المناذرة في الحيرة واصبحت خاضعة بصورة مباشرة لحكم الفرس .

اعتنق ملوك الحيرة الديانة النصرانية وكان اول من اعتنقها مـــن ملوكهم عمرو بن عدي مؤسس الدولة[١] وقد ادى اعتناقهم هذه الديانـــة الى انتشارها في ربوع العراق وانتشر بصورة خاصة المـــذهب النسطوري الذي لقى عطفا وتشجيعا من ملوك الفرس لمعارضته الكنيسة البيزنطيـــة[٢] كان لانتشار النصرانية في ظل دولة الفرس وحمايتهم لها وهم على المجوسية لم يكن مما ينافي عقيدتهم لانهم عدوا المجوسية ديانة خاصة بهم ولم يحاولوا ان يجبروا احدا على اعتناقها[٣] .

ظل العراق خاضعا للدولة الفارسية من سنة ٢٢٣م الى ســنة ٦٣٧م واصطبغ بالصبغة الفارسية حتى كان الفتح الاسلامي الذي قضى على تلـك الدولة واخضع العراق للفتح الجديد وصبغه بصبغة جديدة هي صبغـــة الاسلام . كانت الدولة الفارسية عند تعرضها لقوة العرب المسلمين قد ضعفت وخارت قواها وذلك لاسباب اهمها . الحروب المتصلة التي كانت تنشب بين أونة واخرى بينها وبين الدولة البيزنطية كما زاد في ضعفها كثرة من تولى العرش الفارسي وسوء سيرتهم وفسادهم وعدم عنايتهم بامور الدولة فاستدعى

---

(١) ابن خلدون ــ المبتدأ والخبر جـ ٢ ص ١٧٢

(٢) النساطرة اتباع انسطوريوس من مدينة مرعش المتوفي ســـنة ٤٥٠م وله رأي في ومقالة طبيعة المسيح فجعل للمسيح طبيقتين (اقنومين) اقنوم الانسان يسوع واقنوم الله الكلمة وذكر ان مريم هي بشر ولـــدت بشرا هو المسيح الذي هو اله من ناحية الاب الاله فقط .

(٣) جواد علي ــ العرب قبل الاسلام جـ ٦ ص ٧٩

ذلك الى تدخل رجال الحاشية والاحزاب فقد تولى العرش قبل الفتح الاسلامي عدة ملوك لم يكن احدهم يتسلم العرش حتى يستبدل بآخر وكان آخرهم يزدجرد الذي نصبه رجال الحاشية بعد ان عجزوا فيمن يولون ، وكان انشغال الفرس بأمور العرش قد اساهم العناية بأمور الدولة كما وان الملك كان يساير رغبات الاحزاب وكبار رجال الدولة حسب مصالحهم الشخصية مما ادى الى تفكك الدولة وسوء تصريف امورها كما زاد في تفكك هذه الدولة وضعفها العهد الطويل الذي مر على قيام هذه الدولة فقد انقضى على تأسيسها اربعة قرون وهو عصر طويل تزعزت فيه اسس الامبراطورية واختل نظامها .

اما بالنسبة لاهل العراق فقد اضجرهم ذلك الارتباك وتلك الفوضى التي سيطرت على الادارة من جراء النزاع على العرش مما ادى الى قلة العناية بأمور الري حتى كثرت الفتوق وطغت المياه واتلفت المزارع فاثر ذلك على حالة البلاد الاقتصادية كما وان فداحة الضرائب التي كانت تفرضها الادارة الفارسية وتعدد تلك الضرائب قد اثقلت كاهل سكان السواد هذه الاسباب جعلت اهل العراق يرحبون بالفاتحين العرب ولم يبدوا كبير مقاومة لهم كما وان اهل السواد كانوا يحسبون الفرس اجانب ممقوتين ويرون الفاتحين اقرباء لهم ولم يطب العيش وهم نصارى اذ ذاك في ظل الفرس وهم اتباع زرادشت وكان هذا من دواعي ترحيبهم بالعرب[1] لكن اهل العراق لم يتخلوا كلهم عن مساعدة الفرس في حروبهم مع المسلمين اذ انحاز قسم منهم الى معاونة الفرس اول الامر واشتركوا في عدد من المعارك ضد العرب الفاتحين الى جانب هؤلاء كانت فئة اخرى وقفت على الحياد وهم اهل الحيرة لم يعاونوا الفرس ولم يقاوموا العرب او يساعدوهم فموقفهم كان يستند على انهم رعية لاي حاكم سواء كان هذا الحاكم فارسيا

---

(١) فان فلوتن – السيادة العربية ص ١٩

ام عربيا ويظهر ذلك من قول احد زعمائهم اذ قال : « ما نحن الا كعلوج هذا السواد عبيد لمن غلب »[١] فموقف اهل العراق من الفتح العربي لم يكن واحدا ويمكن تقسيمهم الى فئات ثلاث :

(١) الفئة الاولى وهم بعض القبائل العربية النصرانية كبني بكر بن وائل ساعدت الفرس على العرب .

(٢) الفئة الثانية وهم اكثر العرب الساكنين في السواد ومن غير العرب من النبط رحبوا بالعرب الفاتحين .

(٣) الفئة الثالثة وهم عرب الحيرة وهي الفئة المحايدة .

من الشواهد على مساعدة بعض القبائل العربية للفرس ضد المسلمين اشتراكهم مع الفرس في معركة الولجة وكان سبب ذلك ان عددا كبيرا من العرب المتنصرة اعانوا الفرس على محاربة خالد بن الوليد فقتل منهم عددا كبيرا وكانوا من بكر بن وائل فغضب لهم بنو قومهم فكاتبوا الاعاجم وصاروا معهم على حرب المسلمين[٢] كما استعان الفرس باعداد من عرب الحيرة وكسكر وعرب الضاحية في حروبهم ضد خالد بن الوليد واشتركت قبائل النمر وتغلب واياد مع الفرس في معركة الانبار[٣]. اما الاسباب التي دفعت المسلمين الى فتح العراق منها نشر الدين الجديد دين الاسلام دين الحق والايمان لينقذوا الناس من الفوضى التي كانت تسيطر على معتقداتهم وحياتهم ايضا اضف الى ذلك ان الخلفاء الراشدين ارادوا ان يوحدوا بين الشعب العربي الجديد ويبعدوا الخصومات التي كانت تحدث بينهم[٤] كما ان حب الغنيمة والفتح كانا دافعا لهم الى ارض عرفت بغناها وكثرة خيراتها والتي كانوا يتوقون اليها منذ سنين عديدة الا وهي

---

(١) الطبري ـ تاريخ الامم والملوك ـ حـ ٤ ـ ص ١٠٤
(٢) الطبري ـ تاريخ الامم والملوك ـ حـ ٤ ص ٩
(٣) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ حـ ٢ ص ٢٦٦
(٤) فليب حتى ـ تاريخ العرب ـ ج ٢ ـ ص ١٩٦

ارض السواد وقد جاء ذلك على لسان خالد بن الوليد اذ قال مخاطبا جنوده مشجعا ومرغبا لهم في بلاد السواد ويزهدهم في بلاد العرب قال (الا ترون الى الطعام كرفغ التراب وبالله لو لم يلزمنا الجهاد في الله والدعاء الى الله عزوجل ولم يكن الا المعاش لكان الرأي ان نقارع على هذا الريف حتى نكون اولى به ونولى الجوع والاقلال من تولى ممن اثاقل عما انتم عليه)[1].

ساعد العرب على فتح العراق ضعف الدولة الفارسية وتزعزع اركانها وفقد اصحاب الشأن واولى الامر السيطرة على زمام الامور وموقف سكان العراق من العرب ومساعدتهم الجيوش العربية في حربها ضد الدولة الحاكمة والى جانب هذه العوامل المساعدة عامل آخر مهم الا وهو قوة العرب وحماسهم الديني وايمانهم القوي بالنصر واعتقادهم الراسخ بانهم يحاربون لاعلاء كلمة الله كلمة الحق ونشر دين الهدي والفرقان وتحرير هذه الشعوب المضطهدة سياسيا واجتماعيا وطمس تلك الاعتقادات الوثنية المنتشرة يومذاك كما وان المسلمين اعتقدوا ان من مات منهم دخل الجنة ومن بقى حضى بنعيم الدنيا وخيراتها .

الفتح :

تم فتح العراق على مرحلتين المرحلة الاولى قام بها خالد بن الوليد وابو عبيد بن مسعود الثقفي والمثنى بن حارثة الشيباني في خلافة ابي بكر الصديق (رض) واوائل خلافة عمر بن الخطاب (رض) والمرحلة الثانية قام بها سعد بن ابي وقاص في خلافة عمر بن الخطاب. تميزت المرحلة الاولى بانها اشبه بالغارات التي كانت تشنها القبائل العربية قبل الاسلام لذلك نجد ان قسما من سكان العراق من العرب ساعدوا الفرس اول الامر في معاركهم ضد المسلمين كما ان هذه المرحلة لم تأت بنتائج حاسمة ولم يرتكز الفتح ارتكازا قويا ولم تثبت فيه اقدام المسلمين كما ان الفرس لم

(١) الطبري - تاريخ الامم والملوك - حـ ٤ - ص ٩

يكونوا قد قدروا قوة العرب والغرض الذي جاءوا من اجله بل حسبوا انهم انما جاءوا كما كان يفعل اسلافهم من قبل للاغارة والسلب والنهب ثم يعودون الى جزيرتهم ولكنهم لما شعرو ابان هؤلاء العرب ما جاءوا للسلب والنهب انما جاءوا فاتحين وداعين الى دين جديد يدعو الى الحق والعدل والمساواة والايمان بالله وحده لا شريك له وبرسوله محمد (ص) حتى تجمع الفرس حول يزدجرد وتناسوا احقادهم واختلافاتهم وعولوا على ان يجمعوا للعرب كل قوتهم ليدافعوا عن كيانهم امام هذا الخطر الذي دهمهم والذي يهددهم ويسعى الى تقويض دولتهم وعزهم السياسي لذلك لم يتمكنوا اول الامر من الصمود امام قوة خالد بن الوليد الذي تمكن من دحرهم في كثير من المعارك واصبح القسم الغربي من العراق من جنوبه الى شماله في قبضة المسلمين اما القسم الشرقي فقد بقي في ايدي الفرس(١) لكن الفرس لما شعروا بهذا الخطر وقدروا قوة المسلمين وعرفوا غرضهم ارسلوا قوات كبيرة اضطرت امامها الجيوش العربية الى التراجع الى اطراف السواد ساعدهم على ذلك رحيل خالد بن الوليد الى الشام بامر ابي بكر لمعاونة المسلمين هنالك ونقض اهل السواد العهود التي ابرموها مع العرب وانضمامهم الى الفرس فكان اندحار ابي عبيد بن مسعود الثقفي في معركة الجسر سنة ١٣هـ(٢) وتراجع المثنى الى اطراف السواد بعد حصوله على بعض الانتصارات التي لم تكن ذات اثر في تثبيت اقدام المسلمين الذين كانوا يشكلون جيشه القليل .

كان انتصار الفرس في معركة الجسر قد اعاد الى نفوسهم الثقة في قوتهم كما عادت الثقة بهم الى نفوس سكان العراق الذين اسرعوا بنقض عهودهم مع العرب كما كان لهذه المعركة اثرها الكبير في نفوس العرب الذين هابوا قوة الفرس وفضلوا التوجه الى الشام على العراق ووجد

(١) الطبري - تاريخ الامم والملوك - حـ ٤ ص ٢٦
(٢) الطبري - تاريخ الامم والملوك - حـ ٤ ص ٧٠

عمر بن الخطاب (رض) بعض المصاعب في دفع المسلمين الى اللحاق بجيش سعد بن ابي وقاص حتى عزم على الخروج بنفسه ليبعث في نفوسهم الرغبة ويهون عليهم قوة الفرس ويكون قدوة لهم يتأسون به •

اما المرحلة الثانية فقد تمكن عمر بن الخطاب (رض) ان يجمع جيشا كبيرا وجهه الى العراق وعهد بقيادته الى صحابي مشهور بالشجاعة وصدق الايمان الا وهو سعد بن ابي وقاص الذي تمكن من دحر الفرس في معركة القادسية وهي المعركة الحاسمة التي قضت على قوة الفرس في اراضى العراق وفتحت للمسلمين الطريق الى عاصمتهم المدائن التي لم تبد مقاومة كبيرة في وجه تقدم المسلمين فتمكنوا من احتلالها ثم انتصروا في معركة جلولاء اذ جمع يزدجرد بعد هروبه من المدائن فلول جيشه ولكن هذه الفلول لم تتمكن من الصمود امام قوة المسلمين وجللت جثث قتلاهم ارض المعركة فسميت جلولاء وبهذه المعركة كانت نهاية سيطرة الفرس على العراق ثم ينتهي امرهم نهائيا في معركة نهاوند سنة ٢٠هـ حيث انتصر جيش النعمان ابن مقرن المزني على الفرس وسميت هذه المعركة فتح الفتوح لاهميتها وعظم النتائج التي تمخضت عنها فلم يعد بعدها للفرس اي قوة وتبعثرت جيوشهم هنا وهنالك تطاردهم الهزيمة ويسوقهم الخوف ثم ينتهي امر هذه الدولة بمقتل يزدجرد آخر ملوكهم سنة ٣١هـ في خلافة عثمان بن عفان (رض) •

خضع العراق للحكم العربي وانتقلت اليه قبائل عربية عدة من انحاء الجزيرة العربية وامتزجت هذه القبائل بالسكان الاصليين من عرب ونبط وفرس وتكون من هذا الامتزاج الشعب العراقي العربي الذي دان بالاسلام وسادت اللغة العربية غيرها من اللغات التي كانت منتشرة في ارجائه •

ساعد دخول العراق في المجموعة العربية الاسلامية الى نشر الدين

الاسلامي في اقطار عديدة حيث اصبح مركزا لارسال الجيوش الى الشرق في سبيل ذلك ولعلنا لا نغالي اذا قلنا من ان العراق كان من اهم المراكز العربية لنشر الدين الاسلامي آنذاك وعظم اثره عندما اصبح مركزا للخلافة الاسلامية في العصر العباسي فأصبحت صلته بالشرق الاسلامي اوثق من صلته بالغرب الاسلامي ومن هنا تتبين اهمية العراق في اقامة كيان القومية العربية ونشر الدين الاسلامي واللغة العربية التي نطق بها سكان الشرق من فرس وترك وغيرهم في المناطق البعيدة •

والخلاصة ان فتح العراق كان له اهمية بالغة بالنسبة للعراق نفسه وبالنسبة للمجموعة الاسلامية العربية وكونه اصبح عضوا فعالا في هذه المجموعة الاسلامية العربية •

الفصل الثاني

جغرافيــة العــراق

معنى كلمة العراق • التحديد الجغرافي • التحـديد الاداري والسياسي •

اطلق العرب على القسم الجنوبي من عراق اليوم اسم العراق وقـد يجمع هذا الاسم ليطلق على المصرين الكوفة والبصرة فيقـال العراقان • اطلق هذا الاسم كذلك على اقليم بابل ولــكن اسم بابل نساه الناس ولم يعودوا يعرفون هذا الاقليم الا بأسم العراق[1] •

أما مدلول هذه الكلمة فقد ارجعــه الجغرافيون والرواة العرب الى اصلين اصل عربي واصل فارسي قالوا ان العرب اطلقت هـذا الاسم على المنطقة الجنوبية من اراضي وادي الرافدين واخرون قالوا ان لفظة العراق هي فارسية معربه واختلف هؤلاء الجغرافيون والرواة في تعليل اطلاق هذا الاسم منهم من قال ان العرب اطلقت هذا الاسم على هذه الارض لانهـــا تقع قريبا من البحر واهل الحجاز كما يقول ياقوت يسمون ما كان قريبـا من البحر عراقا[2] ويضيف ابن الفقيه فيقول سموا العراق عراقا لانـــه سفل عن نجد ودنا من البحر ويقول مضيفا الى تعليله هذا قول الاصمعي ما دون الرمل عراق[3] وذكر ياقوت تعليلا آخر لهذه التسـمية ذلك ان العراق يمتد على طول دجلة والفرات امتدادا حتى يتصل بالبحر[4] ويكمل

---

(١) المقدس ـ احسن التقاسيم ٨ ص ١١٣
(٢) ياقوت ـ معجم البلدان جـ ٦ ص ٦٢٨
(٣) ابن الفقيــه ـ مختصر البلدان ص ١٦١
(٤) الفيروزاباذي ـ القاموس المحيط جـ ٣ ص ٢٦٤

الفبروزابادي هذا التعليل اذ يقول لان العراق بين الريف والبر أو لانه على عراق دجلة والفرات أي شاطئيهما[1] .

والعراق معناه الاستواء كما قال الماوردي (اطلق العرب كلمة عراق لاستواء ارضه حين خلت من جبال تعلو واودية تنخفض)[2] .

اما الجغرافيون الذين قالوا ان لفظة العراق فارسية (معربة) منهم المسعودي وابن خرداذبه وابن رسته . قال بن خرداذبه كانت ملوك الفرس تسمى السواد ايرانشهر أي قلب العراق وقد عرب العرب هذه الكلمة الى عراق[3] وقال ابن منظور في لسان العرب في تعليل هذه التسمية قوله (ان الفرس اطلقوا عليه ايرانشهر لكثرة الشجر والنخيل)[4] .

وذكر ياقوت نقلا عن حمزة الاصفهاني ان الساحل بالفارسية اسمه ايراه ولذلك سموا كورة اردشير خره من ارض فارس ايراهستان لقربها من البحر فعربت العرب لفظ ايراه بالحلق الى القاف فقالوا ايراق[5] وكذلك اطلق الفرس كلمة ايراف بالفاء ومعناها مفيض الماء وحدورها ذلك ان دجلة والفرات تنصب من نواحي ارمينية الى ارض العراق وبها يقر قرارها وتسقى بقاعها[6] .

اما قدامه بن جعفر فقد ذكر في كتابه الخراج وصناعة الكتاب تعليلا لهذه التسمية اذ قال سمي بهذا الاسم نسبة الى القوم الذين اسكنهم اير بن

---

(١) ياقوت ـ معجم البلدان ج ٦ ص ٦٢٩
(٢) الماوردي ـ الاحكام السلطانية ص ١٦٦
(٣) ابن خرداذبه ـ المسالك والممالك ص ٥
(٤) ابن منظور ـ لسان العرب مجلد ١٠ ص ٢٤٧
(٥) ياقوت ـ معجم البلدان ج ٦ ص ٦٢٩
(٦) ياقوت ـ معجم البلدان ج ٦ ص ٦٢٩

افريدون احد ملوك الفرس فسموا هذه المنطقة ايران[١] وذهب المسعودي مذهب قدامه واضاف الى ذلك قوله (ومنهم من يذهب الى معنى ايرانشهر بلد الخير لان اير بالفارسية الاولى جامع الخير والفضل ومن ذلك قولهم لرئيس بيت النار ايربذ أي رئيس الخيار الفاضلين[٢] .

ويساير لستبرنج اراء القدماء اذ يقول سمى العرب بين النهرين الشمالي الجزيرة والجنوبي العراق بمعنى العراق الساحل أما كيف جرى استعمال هذا الاسم في العهود السابقة فأمر يعتريه الشك فلعله يمثل اسما قديما ضاع الآن اوانه اريد به في الاصل غير هذا المعنى وكان العرب يسمون السهل الرسوبي بارض السواد أي الارض السوداء واتسع مدلول كلمة السواد حتى صارت هي والعراق لفظتين مترادفتين في الغالب واصبح يراد بهما اقليم بابل جميعه[٣] كما كان العرب قد اطلقوا على هذه المنطقة اسم السواد كوصف لما امتازت به من كثرة الشجر والنخيل والزرع لانه حين تاخم جزيرة العرب التي لا زرع فيها ولا شجر فاذا ما خرجوا من ارضهم اليه ظهرت لهم خضرة الزرع والاشجار لان العرب تجمع بين الخضرة والسواد في المعنى والتسمية[٤] .

ولو ناقشنا هذه الآراء التي ادلى بها الجغرافيون واللغويون حول اسم العراق لظهر واضحا ان الكلمة عربية وان العرب اطلقوها على هذا الاقليم وليست مأخوذة من اللغة الفارسية لان العرب اطلقوها على هذه المنطقة ولم يطلقوها على اقسام اخرى التي ذكرها حمزة الاصفهاني والتي قال عنها انها لقربها من البحر سميت ايراه فعربته العرب الى ايراق فما داموا عربوا هذه الكلمة لكان من الممكن اطلاقها على كل الاقليم الذي سمي بهذا الاسم الفارسي كما انه ليس هو البلد الوحيد القريب من البحر

---

(١) قدامع ـ الخراج وصناعة الكتاب ص ٢٣٤
(٢) المسعودي ـ التنبيه والاشراف ص ٣٧
(٣) لسترنج ـ بلدان الخلافة الشرقية ص ٤١
(٤) الماوردي ـ الاحكام السلطانية ص ١٦٦

بل هنالك ضمن هذا الاسم اقاليم اخرى احتفظت باسمائها القديمة التي اطلقها الفرس عليها كما ان العرب لم يعربوا أو يغيروا من اسماء كثير من المدن العراقية التي ظلت محتفظة باسمائها الفارسية مدة طويلة الا في النادر بل ابقوها ولم يحاولوا تعريبها أو تغييرها كذلك كان العرب اذا خرجوا من بلاد الحجاز ونجد واليمن واتجهوا نحو العراق يقولون اعرق[1] ومعنى ذلك الاتجاه نحو العراق كما ان هذه الكلمة لها اشتقاقات عديدة ولها معان اخرى لذا فان هذه الكلمة عربية ولم تعرب عن الفارسية .

ونضيف الى ذلك ان اسم العراق اطلق مفردا وجمعا واطلق على مصرين استحدثا في عهد الاسلام الاول فكان العرب يقولون العراقان دلالة على المصرين الكوفة والبصرة والعراق اذا ارادوا احد المصرين باضافة اسم الكوفة أو البصرة ثم حذف بتوالي الزمن اسم المصرين فكان يقال عراق دلالة على ارض السواد كلها وبذلك يمكننا ان نرد قول قدامه بن جعفر الذي قال بان التسمية جاءت من سكنى قوم من الفرس في العهود القديمة .

وأرى ان انسب الاقوال واقربها الى الواقع في هذه التسمية هو ان كثرة الخضرة والماء والقرب من نجد ومن البحر قد اعطته هذا الاسم وهو عراق لان اهل البادية اذا ما انحدروا صيفا وراء الخضرة والماء لابلهم ومواشيهم فكأنهم قد أعرقوا للبحث عن غذائهم فسموا تلك المنطقة التي أعرقوا اليها « عراقا » .

التحديد الجغرافي :

قال المقدسي ان اسم العراق اطلق على اقليم بابل ولكن اسم بابل نساه الناس ولم يعودوا يعرفون هذا الاقليم الا بالعراق[2] ويستند

---

(١) الطبري ـ الامم والملوك ج ٨ ص ٢٥٨

(٢) المقدسي ـ احسن التقاسيم ص ١١٣

لسترنج على قول المقدس هذا اذ يقول ان العرب سموا ما بين النهرين دجلة والفرات الشمالي الجزيرة والقسم الجنوبي العراق الذي اطلق على اقليم بابل جميعه[١] هذا التقسيم الذي يقسم بلاد ما بين النهرين الى قسمين كان موجودا ومعمولا به في العصور القديمة مع اختلاف الاسماء فكان القسم الشمالي يسمى بلاد اشور والقسم الجنوبي بلاد سومر واكد نسبة الى الاقوام التي سكنتها ثم تحول اسم القسم الجنوبي فاطلق عليه اسم اقليم بابل نسبة الى بابل اكبر مدنه وعاصمة الحكومات التي قامت فيه •

كان لطبيعة تكون التربة وصفة السطح اثر في هذا التقسيم فالقسم الشمالي ارضه رسوبية تكثر فيها الوديان والهضاب والتلال والجبال ويعتمد على الامطار في زراعته اما القسم الجنوبي فسهل ممتد لا ارتفاع ولا انخفاض فيه قد تكون من ترسبات الغرين الذي يأتي به نهرا دجلة والفرات كما ان المناخ يختلف في كلا القسمين فمناخ القسم الجنوبي حار قليل الامطار يعتمد في زراعته على الري واستغلال مياه الانهار بينما القسم الشمالي مناخه بارد كثير الامطار وبذلك اعتمد عليها في زراعته •

يتضح من هذا ان طبيعة الارض وتكوينها ومناخها قد اثر في تقسيم العراق الى منطقتين الشمالية هي التي سميت بلاد اشور قديماً ثم أطلق عليها اسم الجزيرة والقسم الجنوبي اسم اقليم بابل ثم تحول الى اسم العراق •

اتفق جغرافيو العرب أو كادوا يتفقون على رسم حدود لاقليم العراق هذه الحدود هي من الغرب الجزيرة العربية والبادية ومن الشرق بلاد الجبل وحلوان ومن الشمال من حلوان الى الجزيرة ومن الجنوب البادية وبحر فارس[٢] وبذلك تكون ابعاد هذه الحدود من الشرق حلوان الى العذيب في الغرب ومن تكريت في الشمال الى عبادان في الجنوب • هذه

(١) لسترنج ـ بلدان الخلافة الشرقية ص ٤١
(٢) ابن خرداذبه ـ المسالك والممالك ص ١٤

الحدود كانت اثبت في العهد الاموي واكثر وضوحاً من العهود الاخرى ففي خلافة الراشدين لم تكن الفتوح قد توقفت وكان عمر بن الخطاب يرغب في السواد فقط ويود أن يكون بينه وبين الفرس جبل من نار لا يصلون اليه ولا يصل اليهم كما ان حدود العراق في العصر العباسي لم يهتم بامرها لاندماج بلاد فارس والعراق في وحدة سياسية تامة وظل هذا الاندماج أو ظواهره حتى بعد سقوط بغداد سنة (٦٥٦ هـ) بيد التتار فعندما قامت الدولة الصفوية في القرن السادس عشر في بلاد فارس اتخذت تبريز عاصمة لها ورأت انها لم تستكمل تكوينها السياسي والجغرافي الا بعد ان تستولي على بغداد وتضمها الى الدولة الجديدة وكان لها ما ارادت حيث استولت على بغداد واتخذتها عاصمة الدولة الشتوية وتبريز عاصمتها الصيفية .

أما بالنسبة للقسم الشمالي المسمى بلاد اشور أو الجزيرة فلم يدخل ضمن التحديد الجغرافي للعراق في العهد الاموي ذكر الطبري قولا لاحد المشتركين في جيش ابراهيم ابن الاشتر قائد الجيش الذي ارسله المختار بن ابي عبيد الثقفي سنة ٦٦ – ٦٧ هـ لمحاربة عبيدالله بن زياد قائد جيش الدولة الاموية قال « مضينا مع ابراهيم بن الاشتر نريد عبيدالله بن زياد ومن معه من اهل الشام فخرجنا مسرعين لانثني نريد ان نلقاه قبل أن يدخل ارض العراق فسبقناه الى تخوم ارض العراق سبقا بعيدا ووغلنا في أرض الموصل فعجلنا اليه واسرعنا »[١] وبذلك يظهر واضحا ان الحدود الجغرافية كانت معروفة بين الجزيرة والعراق في العصر الاموي بصورة واضحة . خالف هذا التحديد الجغرافي بعض الجغرافيين واللغويين والرواة العرب بان اضافوا بعض الاقاليم وادخلوها ضمن التحديد الجغرافي للعراق مثل الاصمعي وابو يوسف والمدائني ذكر ابو يوسف في كتابه الخراج قال « فتح عمر بن الخطاب السواد كله الا السند وخراسان »[٢]

(١) الطبري – الامم والملوك جـ ٧ ص ١٤٢
(٢) ابو يوسف – الخراج ص ٢٨

الا ان ياقوت الحموي يؤكد ان العراق من الناحية الجغرافية هو اقليم بابل أما ما ذكره الاصمعي والمدائني من ان العراق يبدأ من عانه على الفرات الى الصين شرقا فهذا ما يدخل ضمن التحديد الاداري والسياسي لا التحديد الجغرافي[1] .

والخلاصة ان العراق من الناحية الجغرافية هو الاقليم الذي يمتد من تكريت شمالا الى عبادان جنوبا ومن حلوان شرقا الى العذيب غربا .

التحديد الاداري والسياسي :

اعتبر خلفاء الدولة الاموية ولاية العراق مركزا للقسم الشرقي من الامبراطورية العربية ولذلك كان عامل العراق في الغالب يشرف على العراق والاقسام الشرقية المتاخمة والبعيدة عنه كخراسان وكرمان وبلاد الجبل وبلاد ما وراء النهر ذكر المدائني ان عمل العراق من هيت غربا على الفرات حتى حدود الصين شرقا والسند والهند وبلاد ما ورا النهر[2] كما ادخل ياقوت البحرين ضمن التحديد الاداري للعراق[3] وقد ادخلت هذه المناطق البعيدة ضمن اعمال العراق بينما ارض الموصل المتاخمة والملاصقة لها لم تدخل ضمن ذلك التحديد قال ابن عبد ربه (لم تكن ارض الجزيرة من عمل العراق وهي ما بين دجلة والفرات[4] فكان لها ولاة يعينون من قبل الخلفاء ولا دخل لعمال العراق في شؤونهم كما كانت الحال بالنسبة للبلاد الشرقية وظلت هذه الحال حتى نهاية الدولة الاموية ما عدا فترتين قصيرتين الاولى ايام المختار الثقفي الذي وثب على الكوفة سنة ٦٦ هـ وجعلها تحت سلطانه وتمكن من ان يضم الموصل اليها والاقسام المجاورة لها وولى عليها ابراهيم بن الاشتر بعد انتصاره على عبيدالله بن زياد والفترة الثانية

---

(١) ياقوت ـ معجم البلدان جـ ٦ ص ٦٣٠
(٢) ابن الفقيه ـ البلدان ص ١٦٦
(٣) ياقوت ـ معجم البلدان جـ ٦ ص ٦٣٠
(٤) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد جـ ٤ ص ٢٧١

على ايام عبدالله بن الزبير وولاية اخيه مصعب اذ ولى الموصل المهلب بن ابي صفرة[1] وما عدا هاتين الفترتين فقد ظلت الموصل خارج نطاق العمل الاداري لعمال العراق •

اما ادارة العراق وولاية البصرة والكوفة فقد ارتبطت بنظامين النظام الاداري الذي وضعه عمر بن الخطاب والذي يقسم العراق الى ولايتين كل واحدة منهما مستقلة عن الاخرى في جميع تشكيلاتها الادارية ومصادر فيئها وساحات حربها وفتوحاتها وظلت هذه الحال حتى عام ٥٠ هـ في خلافة معاوية بن ابي سفيان الذي جمع العراقين لزياد وكان على البصرة فلما توفى المغيرة بن شعبه سنة ٥٠ وكان أمير الكوفة ضم معاوية اعمال الكوفة مع اعمال البصرة الى زياد وهو اول عامل جمع له المصران • سار خلفاء الدولة على هذين النظامين فمنهم من اتبع الطريقة الاولى ومنهم من اتبع الطريقة الثانية وقد جمع العراقان لعدد من الولاة في العصر الاموي وهم زياد وابنه عبيدالله وبشر بن مروان والحجاج بن يوسف الثقفي ومسلمة بن عبدالملك وخالد بن عبدالله القسري ويوسف بن عمر وعمر بن هبيرة ويزيد بن هبيرة • أما باقي ايام الدولة الاموية فكان العراق يدار على الطريقة الاولى •

ومع تعيين امير واحد على المصرين الا انهما لم يدمجا في وحدة تامة وربما يعود ذلك الى رغبة الخلفاء والولاة في الحد من شدة المعارضة العراقية أو أن الاتجاه المذهبي والسياسي يختلف عند سكان المصرين فاهل البصرة اكثرهم عثمانية تهمهم مصلحتهم التجارية ولا يعيرون الناحية السياسية كبير اهتمام أما اهل الكوفة فاكثرهم من شيعة علي اهتموا بالناحية السياسية والمعارضة للحكم الاموي واعاروا هاتين النقطتين جل اهتمامهم ولم يكفوا عن ذلك حتى سقطت الدولة الاموية وقد حاول الحجاج ان يفقد المصرين

---

(١) الطبري ـ الامم والملوك جـ ٧ ص ١٦١

اهميتها من الناحية الادارية فابتنى واسط وسطا بين البصرة والكوفة ولكن واسطا لم تبق عاصمة العراق مدة طويلة فقد تركت بعد وفاة الحجاج بمدة يسيرة كما حاول يوسف بن عمران يتخذ الحيرة عاصمة له الا ان هـذه المحاولات باءت بالفشل ولم تكن ناجحة في الاقلال من قيمة المصرين مـن الناحيتين الادارية والسياسية فقد ظلا مركز الحركة الادارية والسياسيـة بالاضافة الى النواحي الاخرى العسكرية والدينية واللغوية حتى بعد سقوط الدولة الاموية •

أما مركز العراق بالنسبة للمناطق الشرقيـة الخارجة عن حدوده الجغرافية فقد ظل العراق مركزا للاشراف الاداري على هذه النواحي أما بتعيين ولاة هذه المناطق من قبل ولاة العراق مباشرة أو من قبل الخلفاء وفي بعض الاحيان ويتوقف ذلك على مركز عامل العراق وشخصيته وكفاءتـه فزياد والحجاج وخالـد القسري ويوسف بن عمر كانوا في اغلب ايام ولايتهم على العراق مسؤولين عن ادارة المناطق الشرقية حتى بلاد ما وراء النهر وبذلك رأينا ان بعض الرواة كالمدائني والاطمعي يحددون العراق من هيت غرباً حتى الصين شرقاً وبذلك يكون هذا التحديد هو التحديد الاداري لا الجغرافي للعراق •

وخلاصة القول ان لفظة العراق لفظة عربية اطلقت على المنطقةالجنوبية من عراق اليوم وهي المنطقة التي تقع جنوب تكريت حتى البصرة ومـن حلوان شرقا الى العذيب غربا أما التحديد الاداري فقد طرأت عليه مؤثرات سياسية عديدة والذي يهمنا هو وضع العراق في العصر الاموي ومركـزه الاداري والسياسي • وبذلك تكون دراستنا لاحوال العراق في العصر الاموي على ضوء هذا التحديد الجغرافي متوخين النواحي السياسـية والعسـكرية والمذهبية وعلاقة العراق بالدولة الامويـة اكثر من غيرها من النـواحي الاخـرى •

الفصل الثالث

النزاع بين علي ومعاوية وقيام الدولة الاموية

الفتنه على عثمان ـ خلافة علي • معركة الجمل • وقعة صفين • مقتل علي ـ خلافة الحسن • عـام الجماعة • قيام الدولة الاموية •

عرف عن عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين حسن الخلق وكرم الشمائل وجود في المال ولين في العريكة ، فكان لهـذه الصفات التي اتصف بها اثرها في تدبيره شؤون الخلافة وامور المسلمين فشعر المسلمون بتغير كبير في حياتهم وتدبير امورهم عما كانوا عليه في عهد الخليفة عمر بن الخطـاب الذي عرف بالحزم والتزام العدل فلم ينل احد معه من الدنيا شيئا اعظاما له واجلالا وتأسيا واقتداء فلما وليهم عثمان مال اليه الناس واحبـوه وساروا سيرتهم الطبيعية فكانت السنون الست الاولى من خلافته هادئة لم يحدث في خلالها تغيير في سير حياة الامة الطبيعية ثم يتعرض ذلك الاستقرار وذلـك الهدوء لهزات خفيفة لا تلبث أن تضطرب وتصطرع الى ان ينتهي الامـر بمصرع الخليفة •

بدت علائم الفتنة وبرزت قروتها في الامصار في العراقين الكوفـة والبصرة وفي مصر كان لاخلاق عثمان ولينه اثر في ظهور علائم الفتنـة فاستغل أهل الامصار ذلك اللين وبعداحتمال تعرضهم للعقاب فبدأوا يوجهون النقد العنيف الى ولاة الخليفة عثمان ثم الى عثمان نفسه كما استغل هـذا اللين من التف حوله من ذوي قرباه من بني امية كمروان بن الحكم واثروا

عليه في تدبير شؤون المسلمين وسيروه حسب مصالحهم ومنافعهم غير أبهين لما قد يحدث أو يترتب على ذلك من اخطاء واخطار يصف طه حسين أثر هؤلاء في النهاية التي انتهى اليها الخليفة فيقول (لو قد سار عثمان سيرة عمر ولو لم تدخل قرابة عثمان بينه وبين الناس لما كانت الفتنة ولما احتجنا الى املاء هذا الكتاب[1] .

يقصد بذلك كتابه الفتنة الكبرى من هذا يظهر أثر تلك القرابة على عثمان والنهاية التي انتهى اليها .

ظهرت علائم الفتنة في اول الامر في الامصار فان التذمر الذي حدث كان وليد عوامل عديدة منها ان المسلمين الذين تعودوا على الفتوح والحروب في ايام عمر بن الخطاب والحصول على الغنائم الوفيرة لم تكن مهيئة في ايام عثمان فتجمع العرب في امصارهم دون عمل وادى ذلك الى ظهور الروح القبلية والحسد لقريش التي كانت تمثل الطبقة الارستقراطية والتي استفادت من الفتوح الاولى وحصلت على غنائم كثيرة فاودادت ثرواتها بجانب الاعراب الذين لم تتح لهم الفرصة للاشتراك في تلك الفتوح والحصول على ما حصلت عليه قريش من الاموال فظهر ذلك التفاوت الطبقي ونظرت تلك القبائل العربية الى قريش نظرة ملؤها الحسد والغيض والنفور الحسد لوفرة اموالها والغيض من سماح عثمان لهذه الطبقة من قريش من تملك الاقطاعات الكبيرة بالاضافة الى اغداقه الاموال على بعض الشخصيات الاسلامية[2] كما ملاءت قلوب الاعراب نفورا تعالى قريش على بقية القبائل العربية وانها هي التي رفعت الذله عن العرب واتاحت لهم ان يكونو اعزة اسيادا بعد أن كانوا اذلة . ادى هذا التنافس والتفاضل الى ظهور العصبية القبلية بين القبائل العربية وقريش فاندفعت تلك القبائل التي ساءها ان تجد استئثار قريش بالمال والسلطان

(١) طه حسين ــ الفتنة الكبرى ــ١ــ ص ١٥٦ .
(٢) الطبري ــ الامم والملوك ج ٥ ص ١٣٩ .

والتحكم بامور الناس وانفرادها بالولايات والمناصب الكبرى في الدولة لتنال حضها وتجد لها سبيلا للاشتراك في الحكم وان يكون لها نصيب في تدبير شؤون الناس وسياسة الدولة .

لم يكن هذا الشعور قد استحوذ على نفوس تلك القبائل العربية ضد قريش فقط بل سرى الى ابناء قريش نفسها ضد بني امية اولئك الذين ابعدهم عثمان عن المناصب الرئيسية وخص بها ذوي قرباه فكان معاوية بن ابي سفيان على الشام وعبدالله بن سعد بن ابي سرح على مصر وعلى الكوفة الوليد بن عقبة ثم سعيد بن العاص وعلى البصرة عبدالله بن عامر فحز في نفوس شباب قريش ان يجدوا انفسهم الطامحة الطامعة وليس في مقدورها ان تنال شيئا من هذا الامر الذي جعله عثمان مقصورا على اقاربه وذلك كانت ثورة هؤلاء على عثمان انما هي ثورة على بني امية قال علي لطلحة (انشدك الله الا رددت الناس عن عثمان قال لا والله حتى تعطي بني امية الحق من نفسها[1] كما اخذ بعض الصحابة على عثمان وولاته مظاهر الترف التي طرأت على اسلوب حياتهم والاستئثار بالاموال دون المسلمين وسكنى القصور واتخاذ الحرس كما كان يفعل معاوية في الشام من هؤلاء الذين انتقدو على هذا التغير ابو ذر الغفاري الذي ظهر على الناس منتقدا عثمان ومعاوية على هذا التغير في المأكل والملبس فكانت لآرائه هذه ان وجهت عواطف الناس ضد عثمان وولاة عثمان فكان لابي ذر اثر كبير في تشجيع الناس على توجيه النقد الى الخليفة . اضف الى ذلك ان عثمان سمح لكبار المهاجرين والانصار في الخروج من الحجاز الى الامصار وخالف بذلك سياسة عمر بن الخطاب الذي كان حبسهم عن الخروج الا باذنه والى مدة وجيزة خوف افتتان الناس بهم وحدث ما كان يخشاه عمر فادى سماح عثمان لهؤلاء الشخصيات الاسلامية بالخروج الى الامصار ان استغلت اسماؤهم والتف حولهم المسلمون الحانقون على عثمان وولاته .

---

(١) الطبري ـ الامم والملوك ج ٥ ص ١٣٩ .

واخيرا لابد أن نذكر اثر الموالي في تلك الفتنة وهدفهم الذي كانوا يسعون اليه فمقتل عثمان كان فتنة دبرتها يد السبئية ويد الموالي الناقمين المتربصين وعقدوها نية لقلب الدولة تخضخض استقرار الامة فهي ثورة فيها نقمة اليهود لخيبر وثأر الموالي القادسية وهي حلقة مفرغه بدأت بعمر بن الخطاب واخذت تلتقط كبار رجال الدعوة لتضعف شوكة الامة وينفسح لها الطريق لتسلكه الى هدفها وهو استئصال الحكم العربي من الوجود[1] وكان من زعماء الموالي الذين اخذوا على انفسهم ان ينالوا من عثمان ويألبوا عليه ويبثوا الفرقة بين المسلمين عبدالله بن سبأ الذي كان كغيره من الموالي الذين اظهروا اسلاما واخفوا غلا وحقدا للاسلام والمسلمين .

وهكذا تعاونت هذه العوامل في اثارة الناس على عثمان ظهرت بوادر الثورة لاول مرة في الكوفة فكانت سياسة عثمان وواليه سعيد بن العاص سببا في استياء الروادف والاعراب والمحرومين في تفضيل اهل السابقة والقدمه على هؤلاء الذين رأوا الاسلام يساوي بين كافة عناصر الامة دون تفرقة أو تمييز .

حاول عثمان ان يقضي على هذا الخطر قبل امتداده فامسك بزعماء اهل الكوفة من الذين اظهروا النقد والطعن عليه وعلى سعيد بن العاص واخرجهم من الكوفة الى الشام ليبعدهم عن مصرهم ويتخلص من شرهم وعلى رأسهم الاشتر مالك بن الحارث النخعي[2] كان رأي اهل الكوفة في عثمان كما صوره الاشتر في رسالته اليه قال (من مالك بن الحارث الى الخليفة المبتلي الخاطيء الحائد عن سنه نبيه النابذ لحكم القرآن وراء ظهره[3] من هذا يتضح موقف اهل الكوفة من عثمان واتهامهم اياه بهذه

(١) بديع شريف – الصراع بين العرب والموالي ص ٣٢ .
(٢) البلاذري – انساب الاشراف ج ٥ ص ٤٣ .
(٣) البلاذري – انساب الاشراف ج ٥ ص ٤٦ .

التهم الشنيعة التي جعلتهم في منتهى التطرف . اشتد امر المعارضة وتفاقم الامر وشعر الخليفة بذلك الخطر فارسل في طلب ولاته ليجتمع بهم لعله ان يجد سبيلا لتمكين سلطانه وايقاف ذلك التيار الذي يوشك أن يجرف كل ما يعترضه وينفض اجتماع الخليفة بعماله دون ان يتخذوا قرارا معينا لوقف هذه الاحداث التي تتلاحق بعضها وراء بعض ورأى عثمان ان من الخير له أن يستجيب لمطالب الامصار فارسل كتابا الى اهل الكوفة محاولا استرضاءهم « بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد فقد امرت عليكم من اخترتم واعفيتكم من سعيد والله لافرشنكم عرضي ولابذلن لكم صبري ولاستصلحتكم بجهودي فلا تدعوا شيئا كرهتموه لا يعصي الله فيه الا استعفيتم منه انزل فيه عندما احببتم حتى لا يكون لكم علي حجه[1] » وارسلت نسخ من هذا الكتاب الى الامصار . كان عثمان بارساله هذا الكتاب انما يعبر عن رغبة صادقة في الاستجابة لرغبة اهل الامصار الا ان بطانة عثمان التي كانت تسيطر عليه حولته عن مواقف كثيرة لو اتيح له ان يستمر فيها لكان من الممكن ان لا يتعرض لهذا المصير المحزن الذي انتهى اليه وهو اجتماع الثوار في المدينة ومحاصرتهم الخليفة مدة اربعين يوما انتهى ذلك الحصار بقتله وذلك سنة ٣٥ هـ .

كان لمقتل عثمان بن عفان اثاره البعيدة في حياة الامة الاسلامية فمقتله حدث يفوق أي حدث آخر في الاسلام فمنذ أن قتل اصبح بالسيف يعرف من هو خليفة المسلمين وفتحت ابواب الحرب الاهلية كيلا توصد بعدها ابدا ولذلك دعي بالخليفة المقتول بـ (الباب المفتوح) وتجزأت الامة احزابا يسعي كل حزب منها الى تهديم سياسة غيره واشهار السلاح على الامام القائم لاحلال امامه محله[2] .

يتضح من هذا مدى الاثر وعظم النتائج التي تمخضت عن هذا

---

(١) الطبري ـ الامم والملوك جـ ٥ ص ٩٦ .
(٢) ولهاوزن ـ الدول العربية وسقوطها ص ٤٥ .

الحادث العظيم في حياة الامة الاسلامية كما يظهر موقف اهل الامصار الذين اشتركوا في هذه الثورة حيال الحوادث التي حدثت بعد مبايعة علي بن ابي طالب بالخلافة ونصيب اهل العراق من ذلك الموقف •

كانت الكوفة هي اول الامصار التي بدت فيها نذر الثورة على عثمان وكان زعيمها الاشتر من اقوى زعماء الثورة الذين اشتركوا في حصار عثمان وقتله فكان لهذا الموقف اثره في الاحداث القادمة والذي اتخذ اساسا لموقف العراقيين مع علي بن ابي طالب وموقفهم ضد معاوية ومعارضتهم التي استمرت طويلا بعد قيام الدولة الاموية •

بويع علي بن ابي طالب بالخلافة بعد مقتل عثمان بخمسة ايام وكان كارها لذلك لكن الثوار الذين تكشف امام اعينهم هول ما حدث لقتلهم خليفة المسلمين لم يروا بدا من ان يأتوا باحد كبار الصحابة ليتولى امور المسلمين وقد رفض الزبير بن العوام وطلحة بن عبيدالله ما عرض عليهما كما رفض علي اول الامر ولكنه وافق على قبول الخلافة وحصل على مبايعة اكثر المهاجرين والانصار[1] الا نفرا من الاتقياء وقفوا حيارى لا يدرون ماذا يفعلون ونفر آخر من اقرباء الخليفة المقتول من بني امية وقليل من المهاجرين والانصار الذين ساءهم ان يقتل خليفة المسلمين وبذلك انقسم المسلمون الى ثلاثة اقسام ازاء علي بن ابي طالب قسم يؤيد عليا وهو القسم الاكبر من سكان المدينة وكبار الصحابة من المهاجرين والانصار والثوار الذين فتكوا بعثمان والقسم الثاني وهم قلة من الصحابة وبني امية فقد وقفوا موقفا عدائيا للخليفة الجديد والقسم الثالث وهم قلة من الانصار الذين وقفوا موقفا معتزلا بعيدا عن الاشتراك فيما حدث •

امام هذا الانقسام الذي حصل في المجتمع الاسلامي فانه من الطبيعي ان يتعرض الخليفة الجديد لعديد من المشاكل فكانت اولى هذه المشاكل

(١) الطبري ـ الامم والملوك جـ ٥ ص ١٥٢ ٠

والمتاعب هي المعارضة القوية التي تزعمها اثنان من كبار الصحابة ومن الذين بايعوا عليا بالخلافة الا انهم تراجعوا عن بيعتهم وهم طلحة بن عبيدالله والزبير بن العوام وقوى من امر هؤلاء انضمام عائشة زوج الرسول (ص ع) اليهم • كانت دعواهم ان عثمان قتل مظلوما وانهم يطلبون الاخذ بثاره من قتلته[1] •

ولما لم يجدوا كبير عدد من اهل الحجاز ينظم اليهم خرجوا متوجهين الى البصرة قاصدين مراكز القوة العسكرية التي انتقلت من الجزيرة العربية الى الامصار الاسلامية فلما وصل نبأ خروجهم الى علي خرج مسرعا ليلحق بهم وفي طريقه الى البصرة تمكن ان يقنع أهل الكوفة بالخروج معه الذين ترددوا في الخروج اول الامر بتبطهم عن الخروج اميرهم ابو موسى الاشعري الذي كان يرغبهم بالقعود وان يكونوا جرثومة من جرائيم العرب يأوى اليهم المظلوم والمضطهد وينصحهم بان لا يشاركوا في هذه الفتنة الصماء[2]• استمع اهل الكوفة لنداء ابي موسى الاشعري الذي كان اثيرا عندهم ولم تفلح رسل علي بن ابي طالب في اقناعهم بالخروج للانضمام اليه حتى اضطر أن يأذن للاشتر الذي دخل الكوفة وهاجم ابا موسى في قصره محدثا تيارا قويا جرف معه الراغب وغير الراغب في الخروج للانضمام الى علي بن ابي طالب وتمكن الاشتر بهذه الطريقة ان يفلح في دفع اهل الكوفة بالانضمام الى علي • يتضح من هذا ان تأخر أهل الكوفة بالخروج دليل على انهم لم يكونوا قانعين ان خروجهم هذا لوجه الحق خالصا قال رجل لاخيه وهو يقاتل في معركة الجمل (يا اخي ما احسن قتالنا ان كنا على الحق)[3] كما كان الشك قد سيطر على عدد من اهل الكوفة وفيهم عدد من الصحابة هم عبدالله بن مسعود وعبيده السلماني والربيع بن خيثم واربعمائة من القراء

---

(١) الطبري ـ الامم والملوك ج ٥ ص ١٦٦ •
(٢) الطبري ـ الامم والملوك ج ٥ ص ١٨٧ •
(٣) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ج ٣ ص ١٢٩ •

فانهم قالوا لعلي « يا امير المؤمنين قد شككنا في هذا القتال مع معرفتنا فضلك فولنا نقاتل المشركين »[١] .

هذا الشك الذي ساورهم والذي خلق في نفوسهم ترددا عن الخروج والانضمام الى علي يوضح موقف العراقيين في معركة صفين واستجابتهم السريعة لنداء التحكيم وكأنهم ندموا لانهم لم يستمعوا الى تحذير ابي موسى الاشعري لهم . قال الاشعث بن قيس وزيد بن حصين ومسعر بن فدكي عندما اصروا ان يكون ابو موسى الاشعري نائبهم في التحكيم (لا نرضى الا به فانه قد حذرنا مما وقعنا فيه)[٢] .

والخلاصة ان خروج اهل الكوفة مع علي لم يكن عن رغبة اكيدة فان كثيرين منهم ندموا لانهم لم يأخذوا برأي ابي موسى الاشعري الذي حذرهم ورغبهم عن الاشتراك في هذه الفتنة .

ترك على الكوفة بعد أن انظم اليه اثنا عشر الفا من اهلها قاصدا البصرة ليلتقي بطلحة والزبير وعائشة ومن معهم من المسلمين من اهل البصرة حيث وقعت معركة الجمل سنة ٣٦ هـ وانتهت هذه المعركة بانتصار علي ومقتل الزبير وطلحة ومقتل عشرة الاف من اهل البصرة ومقتل خمسة الاف من[٣] اهل الكوفة وهكذا انتهت هذه المعركة التي كانت اول نزاع مسلح بين المسلمين حول مسألة الخلافة ثم يتبع هذا النزاع نزاع آخر طويل مرير كان له نتائج وخيمة على الامة الاسلالامية حيث تفرقت فيه الى فرق عديدة تناصب كل واحدة منها الاخرى العداء ذلك النزاع هو النزاع بين علي ومعاوية .

استقر علي بن ابي طالب في الكوفة بعد انتصاره في معركة الجمل

---

(١) الدينوري ـ الاخبار الطوال ص ١٦ .
(٢) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ جـ ٣ ص ١٦٢ .
(٣) الطبري ـ الامم والملوك جـ ٥ ص ٢٢٢ .

واجتمع حوله اهل العراق ومنهم من اتهم بقتل عثمان بن عفان • كـــان لوجود علي في الكوفة وتظامنه مع اهلها من الوسائل التي ساعدت معاويـة على نجاحه في بث دعايته التي تشير الى تعاون علي مع قتلة عثمان واتخاذهم بطانة له واعوانا فكيف يحق له أن يتخذهم اعوانا له وقد قتلوا خليفـــة رسول الله فواجب الدين وواجب الدولة ان يقتص من هؤلاء الذين جاءوا امرا ادا واحدثوا في الاسلام الحدث العظيم • هذه هي دعوى معاوية على علي مما سهل عليه أن يلصق التهمة بعلي ويصدقه أهل الشام في هـــذه الدعوى الذي كان عندهم اثيرا حتى لو كانت بينهم وبينه شعرة لما انقطعت•

لم تكن صلة علي ببني امية حسنة بل كان يسودها النفور والفرقـــة والكراهية وكان ذلك في خلافة عثمان فقد اتهم بنو امية عليا بانه يؤلب على عثمان ويحرض المسلمين عليه •

دخل علي وطلحة والزبير على عثمان بعد ما صرع من حصباء الثوار وكان عنده مروان بن الحكم وجماعة من بني اميـــة وقالوا كلهـم لعلي (اهلكتنا وصنعت هذا الصنيع والله لئن بلغت الذي تريد لتمرن عليـــك الدنيا فقام مغضبا)[1] فلا عجب ان يقف بنو امية من علي هـــذا الموقف العدائي ويلصقون به تهمة تأليب الناس على عثمان وعلى رأسهم معاويـــة بن ابي سفيان اقواهم مركزا واوسعهم نفوذا وادهاهم واخصبهم عبقرية كما قوى من مركز معاوية اصرار علي على عزله عن ولاية الشام مما دفـــع أهل الشام الى ان يعلنوا عن تأيدهم التام له وعدائهم الصريح لعلي وانهم لا يتركون الامر الا بعد أن يقتصوا من قتله عثمان • لم يكن هذا الدافـــع وحده هو الذي دفعهم الى الالتفاف حول معاوية وانما دفعهم دافع آخر هو الدفاع عن بلادهم وحمايتها قال النعمان بن جيله التنوخي احد قواد معاوية (سنقاتل عن تين الفوطه وزيتونها اذا حرمنا اثمار الجنة وانهارها)[2] •

(١) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ جـ ٣ ص ٨١ •

(٢) المسعودي ـ مروج الذهب جـ ٢ ص ٣٩٥ •

حاول علي أن يحصل على بيعة معـــاوية وان يمنـع وقوع الحرب وسارت الرسل بين الجانبين كما تبودلت الكتب والرسائل بينهما علي يدعو معاوية الى مبايعته ومعاوية يطلب الى علي ان يسلمه قتلة عثمان ليقتلهم فيه ومن ثم يجعل الامر شورى بين المسلمين يختارون من يرتضـــون وطلب معاوية هذا معناه انه لا يعترف بخلافة علي والبيعة التي حصل عليها مـن اهل المدينة وغيرهم .

ولما لم يجد علي بدا من الحرب فهي وحدها كفيلة بان تحل ذلـك النزاع تجهز لها وخرج من الكوفة يقود جيشا كبيرا بلغ تعداده تســـعون الفا ليقضي على معارضة معاوية ويجبره على الاعتراف بخلافته ويترك ولاية الشام . التقى هذا الجيش الكبير بجيش اهل الشام الذي بلغ تعداده بضعة وثمانون[1] بقيادة معاوية يعاونه عمرو بن العاص على سهل صفين الـذي دارت على ارضه اعظم معركة بين المسلمين حول مسألة الخلافة وقد دامت هذه الحرب مائة يوم انتهت بالتحكيم الذي اشار به عمرو بن العاص علـى معاوية ليتخلص من الهزيمة التي اوشكت أن تحل بهم وكانت خدعة ماهرة ابتدعتها عبقرية عمرو بن العاص بان رفعت المصاحف على رؤوس الرماح فنادى حاملوها اهل العراق تعالوا نحتكم الى القرآن الكريم هو وحـــده كفيل ان يحل هذا النزاع .

كانت غاية عمرو بن العاص من رفع المصاحف والاحتكام الى القرآن الكريم ذات شقين أما ان يحدث الانشقاق بين صفوف جيش علي أو ان يوقف القتال وفي كلتا الحالتين يكون قد حول الهزيمـة الى نصر قـال عمرو بن العاص لمعاوية (هل لك في امر اعرضه عليك لا يزيدنا الا اجتماعا ولا يزيدهم الا فرقة قال نعم قال نرفع المصاحف ثم نقول لما فيها هذا حكم بيننا وبينكم فان ابى بعضهم ان يقبلها وجدت فيهم مـن يقـــول ينبغي أن

(١) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ج ٥ ص ٨٠ .

نقبلها فنكون فرقة بينهم وان قبلوا ما فيها رفعنا عنا القتال الى أجل)[1] .

نجح عمرو بن العاص في خدعته هذه حيث انقسم جيش علي الى قسمين قسم يطالب بوقف القتال والقسم الآخر يؤيد الاستمرار في القتال . أيد علي بن ابي طالب القتال ودعا اصحابه ان لا تنطلي عليهم هذه الخدعة الا انه اضطر الى قبول وقف القتال والتحكيم تحت الحاح وتهديد من كان يطالب بوقف القتال وخيروه بين امرين أما القبول أو ان يسلموه الى عدوه أو ان يفعلوا به كما فعلوا بعثمان بن عفان[2] وعند ذلك امر علي بالكف عن القتال وابرم الاتفاق مع معاوية على تعين موعد للتحكيم .

يتضح من هذا ان وقف القتال والنصر الذي احرزه معاوية يعود الى الروح القبلية التي كانت تمزق اوصال جيش العراق والمنافسة بين قواده مما افقد عليا السيطرة عليه كما ان قسما كبيرا من ذلك الجيش لم يكن يقاتل باخلاص وكأنهم ندموا على اشتراكهم في هذا القتال وانهم لم يستمعوا الى نصيحة ابي موسى الاشعري الذي ثبطهم عن الخروج فلما رفعت المصاحف اسرع هؤلاء الى الاستجابة لفكرة وقف القتال والتحكيم .

كان وقف القتال نصرا لمعاوية وحزبه فقد انقذهم من الهزيمة المحققة وزاد شقة الخلاف بين صفوف جيش علي كما مكن لمعاوية الاخلاص والتأييد في نفوس اهل الشام واتضح لهم ان الامر قريب المنال وان نصرهم على منافسيهم من اهل العراق يوشك ان يتم ويصبحوا بذلك اسيادا للموقف كما قوى من مركز معاوية فكان لموافقة العراقين بوقف القتال وكأنهم قد اعترفوا بحقه في الخلافة ذلك الامر الذي لم يكن يعترف به علي واهل العراق من قبل .

اتفق علي ومعاوية على اختيار كل منهما حكما عنه ليفصلا في النزاع

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ جـ ٣ ص ١٦٠ .
(٢) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ جـ ٣ ص ١٦١ .

القائم بينهما وقع اختيار معاوية على ادهي اعوانه واوسعهم حيلة وانفذهم عبقرية الا وهو عمرو بن العاص صاحب فكرة رفع المصاحف والتحكيم اما علي واهل العراق فقد اختلفوا في امر تعيين حكم عنهم وبعد مناقشات وجدل كاد يؤدي الى وقوع الفتنة بين صفوف ذلك الجيش وقع اختيارهم على ابي موسى الاشعري متحدين بذلك رأى علي بن ابي طالب الذي كان يود أن يوكل الامر الى عبدالله بن عباس ولكن العصبية القبلية والحسد لقريش وقفت حائلا دون تحقيق رغبة علي • يتضح هذا الحسد وتلك العصبية من قول الاشعث بن قيس (لا والله لا يحكم فينا مضربان)[1] كان لاختيار ابي موسى الاشعري واصرارهم عليه خير دليل على اتفاق مصلحتهم مع رأيه في ذلك الموقف الذي نهاهم عنه واظهر لهم ان هذه الحرب ما هي الا فتنة صماء بكماء •

اتفق الطرفان على ان يعقد مؤتمر الحكمين في اذرح في شهر رمضان من سنة ٣٧ هـ وعند هذا الاتفاق رجع علي وجيشه الى الكوفة وبدأ الشقاق والاختلاف والفرقة تظهر في جيشه وقد فشا فيهم التحكيم بقول الخوارج باعداء الله أدهنتم في أمر الله ويقول الاخرون فارقتم امامنا وفرقتم جماعتنا • ادى هذا الاختلاف الى ظهور الخوارج وسموا بهذا الاسم لخروجهم على علي وقالوا ان علياً كفر بقبوله التحكيم فلا يجوز ان يحكم في كتاب الله الرجال وكان ظهورهم من اهم نتائج حرب صفين تلك الحرب التي ادت الى ان ينقسم المسلمون فرقا واحزابا كل فرقة لها مبادئها التي تدين بها وتناصب غيرها العداء •

اجتمع الحكمان في المكان والزمان المتفق عليهما وانتهى الامر بفوز عمرو بن العاص على ابي موسى الاشعري اذ ثبت معاوية في الخلافة بينما خلع ابو موسى الاشعري عليا ومعاوية عن الخلافة •

---

(١) المسعودي ـ مروج الذهب جـ ٢ ص ٤٠٢ •

لم يكن نجاح عمرو بن العاص راجعا الى تغريره بابي موسى فقط انما كان نجاحه يعود الى ابي موسى نفسه الذي لم يكن يميل الى على ذلك الميل الذي كان عمرو بن العاص يميله الى معاوية والذي وضع نصب عينيه التمكين السياسي له لا التمكين الديني والشرعي بينما ابو موسى رأى ان صلاح الامة ولم شعثها يأتيان عن ابعاد علي ومعاوية عن امر الخلافة واختيار شخص من كبار الصحابة ليولي امر المسلمين(١) •

قوى امر معاوية ورجع اهل الشام فسلموا عليه بالخلافة الا ان عليا واهل العراق لم يسلموا بهذه النتيجة فحاول على اعادة الكرة لقتال معاوية الا انه اصطدم بالخوارج الذين انحازوا الى حروراء واخذوا يقومون باعمال القتل واخافه السبيل فاضطر علي الى ان يوقفهم عن اعمالهم ويخلص الناس من شرهم قبل الخروج الى الشام وتمكن علي من القضاء عليهم قضاء يكاد يكون تاما في معركة النهروان •

كان بود علي ان يسير الى الشام بعد انتصاره على الخوارج الا ان اهل العراق ابوا عليه ورجوه الرجوع الى الكوفة حتى يصلحوا من امرهم ويستعدوا استعدادا حسنا ويجددوا اسلحتهم الا انهم بعد ان رجعوا الى الكوفة لم يظهروا استعدادا للخروج مرة خرى ومتابعة علي لقتال معاوية واهل الشام •

وقف اهل الكوفة هذا الموقف السلبي من علي ولم تنفع خطبه وتحريضه اياهم على الخروج لمحاربة عدوهم بل فضلوا الركون في بيوتهم على الاشتراك في قتال ليس لهم من وراءه نفع مادي كما انهم ملو فكرة الحرب المستمرة التي لا تدفعهم الرغبة اليها ولم يكونوا كاهل الشام الذين عملوا بكل ما اوتوا من قوة لكي يفوزوا بالنصر • وهاك مثلا لموقف اهل العراق ازاء علي وتخاذلهم وتقاعسهم عن نصرته (يا اهل الكوفة كلما

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ج ٣ ص ١٦٨ •

سمعتم بجمع اهل الشام اظللكم انحجر كل امرى منكم في بيته واغلق عليه بابه انحجار الضب في جحره والضبع في وجارها المغرور من غررتموه من فاز بالسهم الاخيب لا احرار عند اللقاء ولا اخوان عند النجاء انا لله وانا اليه راجعون ماذا منيت به منكم عمى لا يبصرون وبكم لا ينطقون وصم لا يسمعون انا لله وانا اليه راجعون)[١] .

هذا الموقف الذي وقفه اهل الكوفة من علي لم يكن مجردا من عوامل عديدة بالاضافة الى انهم ملوا فكرة الحرب التي لا نفع مادي من وراءها حاربوا في معركة الجمل وحاربوا اهل الشام في صفين وهم الآن يحاربون الخوارج فما الذي غنموه من هذه الحروب لقد قتل منهم العدد الكبير وقاتلوا اخوانهم في العصبية من الذين اصبحوا خوارج وهم الذين يفضلون رابطة الدم على كل الروابط الاخرى كما كانت العصبية لها تأثير آخر في اضعاف تماسك القوة التي اعتمد عليها علي فاهل الكوفة من سائر القبائل من ربيعة ويمن وغيرهم اما اهل الشام من قريش شوكة مضر وبأسهم نزلوا ثغور الشام منذ الفتح فكانت عصبتهم اشد وامضى شوكة[٢] ثم ان عليا لم يكن يعطي احدا من المال الا ماله من نصيب فهو رجل دين اخلص نفسه لتلك المثل العليا التي سار عليها ابو بكر وعمر وحاول المضي في السير عليها في زمن اختلف عن زمن ابي بكر وعمر بينما معاوية سلك كل سبيل في جمع الانصار ليصل الى غايته قال لعمرو بن العاص (اتبعني قال لماذا للاخرة فو الله ما معك آخرة ام للدنيا فو الله لا كان حتى اكون شريكك فيها قال فانت شريكي فيها)[٣] .

رأى معاوية ان الخلافة والسلطان لا يأتيان عن طريق الدين وحده بل يحتاجان الى القوة وبذل المال وجذب قلوب الناس بالرغبة قال معاوية

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ج ٣ ص ١٨٩ .
(٢) ابن خلدون ـ التاريخ ج ٣ ص ٤٢ .
(٣) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ج ٥ ص ٨٧ .

لبني هاشم (أحق قريش بها من بسط الناس ايديهم اليـــه بالبيعة عليهـا ونقلوا اقدامهم اليه للرغبة وطارت اليه اهواءهم للثقة وقاتل عنها • بحقهـا فادركها من وجهها[1] •

هذا هو الاختلاف بين الرجلين علي رجل دين متمسك باهدابـــه لا يعمل الا بوحي منه زاهد في الدنيا راغب عنها ومعاوية رجل دنيا تمسك بها وسلك كل سبيل للحصول عليها وساس الناس حسب اهوائهم فوثقـوا به ونصحوا له والتفوا حوله وقليل من الناس من يمنعه دينه عن دنيـــاه وهذا الامر لا يصلح له الا رجـــل له ضـرسان يأكل باحدهما ويطعم بالآخر[2] • لم يكن تقاعس الكوفيين عن السير مع علي واختلاف مذهب الرجلين في الوصول كل منهما الى غايته هما سبب ثبات مركز معاوية وقوته التي ازدادت باستمرار بل هنالك اسباب اخرى منها ان عليا شغل بالخوارج الذين خرجوا عليه والذين بذل في سبيل القضاء عليهم والتخلص منهـم الجهد والوقت بينما معاوية لم يخرج عليه احد بل كان يزداد اعوانا في كل يوم وقوة وتماسكا • مما زاد في قوته استيلاءه على مصر سنة ٣٨ هـ التي كانت تابعة لعلي وقتله اثنين من اكبر اعوان علي هما الاشتر مالك بـن الحارث فقد دس له معاوية من يسقيه السم وهو في طريقه الى مصر فمات في الفلزم وعد معاوية هذا نصرا كبيرا والآخر محمد بن ابي بكر الـــذي كان واليا على مصر من قبل علي[3] •

لم تقف جهود معاوية في الاستيلاء على مصر بل تعدت الى ارســال الغارات الى الحجاز واليمن والى العراق مركز علي وبذلك قوى مركـزه بما ضم من الامصار ومن انضم اليه من الانصار والاعوان •

انتهى هذا الصراع بمقتل علي بن ابي طالب سنة ٤٠ هـ قتله عبدالرحمن

---

(١) ابن قتيبة ـ عيون الاخبار جـ ١ ص ٥ •

(٢) الدنبوري ـ الاخبار الطوال ص ٢٠٣ •

(٣) الطبري ـ الامم والملوك جـ ٦ ص ٦١ •

بن ملجم الخارجي وخلفه في خلافة المسلمين ابنه الحسن الذي تنازل عن الخلافة لمعاوية بعد أن رأى من العراقيين ما اخافه فقد حاولوا قتله كما كان هو نفسه لا يؤيد الحرب وسفك دماء المسلمين في سبيل عرض دنيا • امام موقف العراقيين المتخاذل وشعوره الخاص وتفضيله مصلحة المسلمين العامة على مصلحته الخاصة تنازل عن الخلافة لمعاوية الذي دخل الكوفة سنة ٤١ هـ وحصل على بيعة اهلها وسمي ذلك العام عام الجماعة لاجتماع المسلمين على بيعته منهم عن رغبة مخلصة وهم اهل الشام ومنهم من بايعه مكرها وكارها وهم اكثر اهل العراق هذا الشعور هو الذي نبني عليه درسنا لموقف العراقيين المعادي للدولة الاموية والعلاقة بينهما طيلة ذلك العصر الذي بدأ بمعاوية وانتصار اهل الشام وانتهى بمقتل مروان بن محمد آخر خلفاء الامويين وانتصار اهل العراق الذين استرجعوا مركزهم الذي فقدوه عندما فقدوا علي بن ابي طالب وانتقلت العاصمة من الكوفة الى دمشق

الفصل الرابع

انظمة الحكم

النظـام الاداري

النظام الاداري الذي وضعه عمر بن الخطاب • مركز الولاة • القضاة • عمال الخراج • التقسيم الاداري • النظـام الاداري في العصر الامـوي • اختيار الـولاة • مركزهـم • نفوذهم • الكتـاب • صاحب الشـرطة • الدواوين •

قسم الخليفة عمر بن الخطاب العراق الى ولايتين ولاية البصرة وولاية الكوفة وجعل كل مصر مستقلا عن الآخر في النواحي الادارية والمالية والقضائية • انفرد العراق بهذا النظام الاداري عن باقي الولايات الاخرى مثل مصر والشام واليمن حيث ولي على كل منها امير واحد فعلى مصر بقسميها الجنوبي والشمالي أمير واحد وكذلك الحال في الشام واليمن[1] •

دفع عمر الى تقسيم العراق الى ولايتين تمصير المصريين الكبيرين الكوفة والبصرة واعمال الفتوح التي قام بها سكان هذين المصرين • كان من جراء ذلك أن انفرد كل مصر بفيئه الخاص • ذكر ابن الأثير ان اهل البصرة لما كثر عددهم وعجز خراجهم طلبوا من الخليفة عمر بن الخطاب أن يضيف اليهم بعض الكور مما كان يتبع الكوفة الا ان أهل الكوفة رفضوا

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٢٤ •

طلبهم اذ اعتبروا أهل البصرة مددا لهم ، ولهم يعود الفضل في فتح العراق[1] . كان اول وال على الكوفة سعد بن ابي وقاص قائد جيش المسلمين والذي تمكن من القضاء على قوة الفرس وطردهم من العراق وعلى البصرة عتبة بن غزوان قائد المسلمين في تلك المنطقة .

اتخذ أمير كل مصر دارا لتكون مقاما له ودار سكنى سميت دار الامارة واتخذها من جاء بعدهم من الامراء دارا لهم .

اطلق على امير المصر امير الحرب والصلاة لانه كان يقود المسلمين في الحروب ويؤمهم في الصلاة وامامه المسلمين في الصلاة نيابة عن الخليفة تدل على مكانته العليا في الدولة ولم يحدث ان عين احد في عهود الخلفاء الراشدين امير عام يشرف على الصلاة والحرب والخراج جميعا انما ولوا على الحرب والصلاة فقط واحيانا كان يولى على الصلاة فقط وعلى الحرب امير آخر كما حدث في خلافة عثمان بن عفان حيث ولى ابا موسى الاشعري على صلاة الكوفة والقعقاع بن عمرو التميمي على حربها[2] .

اقتصر اشراف امراء العراق في خلافة الراشدين على هاتين الناحيتين الحرب والصلاة أما الناحية المالية فقد عين لها موظف خاص سمي عامل الخراج يكون مسؤولا امام الخليفة وليس امام أمير المصر ، الى جانب صاحب الخراج القاضي الذي كان يعينه الخليفة ويعزله فهو مسؤول امامه شأنه شأن صاحب الخراج . يتضح مما تقدم ان الخليفة عمر بن الخطاب واضع الاسس الاولى لادارة الامصار فصل السلطات وجعل كل سلطة من السلطات الثلاث الادارية والمالية والقضائية تعمل كل منها مستقلة عن الاخرى حتى لا ينفرد شخص واحد بكل الامور وبذلك حد عمر من سلطان امراء الامصار وعين اختصاصاتهم فهم مسؤولون امامه فقط دون سواه .

---

(١) ابن الاثير ــ الكامل في التاريخ جـ ٣ ص ٩٥
(٢) الطبري ــ الامم والملوك جـ ٤ ص ٢٣١

كان سلطان الخليفة على الامــراء وخضوعهم له واضحا بحيث ان الامراء كانوا يستشيرونه ويأخذون موافقتــه في كثير من الاعمــال التي يقومون بها •

نلاحظ على امراء البصرة والكوفة في خلافة الراشدين قصر المــدة التي قضوها في منصب الامارة فلم يكن اكثرهم بقاء تزيد مدة امارته عــن خمس سنين كما ان عزلهم في اكثر الاحايين نتيجة لسوء رأي اهل المصر فيهم ، عزل عمر سعد بن ابي وقاص عن الكوفــة لان اهلها شــكوه اليــه وقالوا انه لا يحسن يصلي[1] وعزل عمار بن ياسر لانهم قالوا انه ليــس بامير ولا يحتمل ما هو فيه[2] ويظهر اهتمام عمر برأي اهــل الكوفة في تعين الامراء انه لما لم يجد عند اهل الكوفة ممن وفد عليه ما يطمأنه الى تعين احد عليهم عظم عليه الامر فانتحى ناحية في المسجد ونام فأتاه المغيرة بن شعبة فكلاه حتى استيقظ فقال ما فعلت هذا يا امير المؤمنين الا من عظيم فهل نابك من نائب قال واي نائب اعظم من مائة الفــلا يرضون عن امير ولا يرضى عنهم أمير[3] • ومن هذا يتبين ان الخلفاء كانوا يأخذون ويهتمون برأي اهل الكوفة والبصرة في تعين الامراء وعزلهم •

وكل الى امير المصر الاشراف الاداري على ما كان يتبع مصره مــن الكور والامصار فكان من حقه تعين العمال لادارتها نيابة عنه ويكونــون مسؤولين امامه •

التزم العرب النظام الاداري القديم الذي كان متبعا ايام الفرس ذلك النظام الذي كان يقسم العراق الى وحدات ادارية تسمى كل قسم منهــا الاستان يقســم الى طساسيج والطسوج الى رســاتيق والرستاق يتألف من القرى والضياع[2] •

---

(١) الطبري ـ الامم والملوك ج ٤ ص ٢٦١
(٢) الطبري ـ الامم والملوك ج ٤ ص ٢٦٢
(٣) ماسنيون ـ خطط الكوفة ص ١٠

ولى امراء الكوفة والبصرة العمال على هذه الوحدات الادارية ونلاحظ ان حاكم الكوفة سواء كان اميرا أم خليفة فهو يعين على المناطق التابعة لها اداريا فقط ويترك لامير البصرة تعيين العمال على ما يتبعه من وحدات ادارية ففي خلافة علي بن ابي طالب بعد اتخاذه الكوفة عاصمة له ولى يزيد بن قيس الارحبي المدائن وجوخاكلها وقرضة بن كعب على البهقباذات وقدامة بن مظعون الازدي وعدي بن الحارث مدينة بهرسير واستانها وابا حسان البكري استان العال وسعد بن مسعود الثقفي استان الزوابي[(١)] . هذا نص وحيد عثرنا عليه في كتاب (وقعة صفين) ولم نعثر على أي نص آخر غيره يشير الى اقسام المصرين العراقيين الادارية واحيانا ما كان الولاة يختارون عمال القرى من بين اهلها[(٢)] .

لم يقتصر اشراف امير الكوفة على هذه المناطق التي تدخل ضمن حدود السواد بل امتد الى المناطق التي تقع خارج حدوده والتي فتحت على ايدي سكانها ففي ولاية سعيد بن العاص سنة ٣٤هـ على الكوفة بعث الاشعث بن قيس على اذربيجان ومسعود بن قيس على الري وكان على همدان سعيد بن قيس فعزله وولى عليها النسير العجلي وبعث على اصبهان السائب بن الاقرع وعلى ماه مالك بن حبيب اليربوعي وعلى الموصل حكم بن سلامة الخزاعي وجرير بن عبدالله البجلي على قرقيسيا وسليمان بن ربيعة على الباب[(٣)] .

اما البصرة فلم يكن يتبعها في خلافة عمر بن الخطاب الا قليل من الكور وقد توسع اشرافها الاداري في خلافة عثمان بن عفان بعد اندفاع المسلمين في الفتح نحو الشرق واصبح لاميرها حق تعيين الولاة على تلك الامصار ففي ولاية عبدالله بن عامر على البصرة من قبل الخليفة عثمان بن

---

(١) ابن مزاحم ـ وقعة صفين ص ١٥
(٢) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ج ١ ص ١٢
(٣) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٤٣

عفان بعث على خراسان عمير بن عثمان بن سعد وعلى سجستان عبدالله بن عمير الليثي والى مكران عبدالله بن معمر والى كرمان عبدالرحمن بن عبيس والى الاهواز نفرا من اصحابه[1] •

من هذا نبين ان الاشراف الاداري لكل مصر يتبع اعمال الفتح التي قام بها سكان ذلك المصر كما يبين انفراد كل مصر عن الاخر في النواحي العسكرية والادارية •

نفهم من هذا كله ان النظام الاداري الذي وضعه عمر بن الخطاب قسم العراق الى ولايتين ولاية البصرة وولاية الكوفة وجعل كل مصر مستقلا عن الآخر كما يتضح لنا تأثير رأى اهل المصر في تعين أو عزل الامير ومركز الامراء وما كانوا يتمتعون به من سلطان باشرافهم على النواحي العسكرية والادارية وامامه المسلمين في الصلاة • أما النواحي المالية والقضائية فكانت خارج نطاق سلطانهم •

خضع هذا النظام الاداري في العصر الاموي لتغيرات هامة شملت التوجيه الاداري واختيار الولاة ومركزهم وما تمتعوا به من سلطان باشرافهم على جميع الشؤون العسكرية والادارية والمالية والقضائية •

اتبع الامويون اول الامر النظام الاداري الذي كان سائدا ايام الخلفاء الراشدين بتعيين اميرين على العراق الا ان هذا لم يدم طويلا ففي سنة ٥٠هـ جمع معاوية بن ابي سفيان العراق لزياد بن ابيه[2] وكان اول امير جمع له العراقان ، سار على هذا النظام الجديد اكثر خلفاء الدولة الاموية حتى كان عدد الامراء الذين تولوا أمر العراق (١٣) أميرا حكموا نحو (٦٤) عاما من تسعين سنة وهي مدة بقاء الدولة الاموية أما الستة والعشرون عاما الباقية فقد اتبع الخلفاء النظام الاداري السابق •

(١) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٤٣
(٢) اليعقوبي ـ التاريخ ج ٢ ص ٢٠٤

مما يلاحظ على ذلك النظام الجديد انه لم يصل الى حد ادماج الولايتين في وحدة تامة بل ظل كل مصر مستقلا عن الآخر في جميع النواحي فكان الامير يتخذ الكوفة أو البصرة مقرا له واتخذ بعضهم واسط منهم الحجاج وخالد بن عبدالله القسري وبعضهم اتخذ الحيرة منهم يوسف بن عمر الثقفي وعبدالله بن عمر بن عبدالعزيز[1] .

كان على هؤلاء الامراء تعيين نائب عنهم في احد المصرين يقوم مقامه واحيانا كان هذا النائب يخول كل السلطات التي يتمتع بها الامير نفسه فمن امثلة ذلك ان خالد القسري ١٠٥ - ١٢٠ هـ ولى بلال بن ابي بردة على البصرة وجمع له الصلاة والقضاء والشرطة والاحداث[2] .

اما الاسباب التي دفعت خلفاء الدولة الاموية الى جمع المصرين تحت امرة امير واحد فهي عديدة جمع معاوية بن ابي سفيان العراق لزياد بن ابيه لما رأى ظهور بوادر الفتنة في الكوفة بزعامة حجر بن عدى الكندي لثقته بكفاءته وحسن تدبيره كما ان صلة القربى التي اوجدها معاوية والتي لم تكن تستند الى اساس شرعي دفعت معاوية الى أن يثق فيه ويطمأن اليه .

عمل زياد بكل ما عرف عنه من دهاء وعبقرية في سبيل تثبيت سلطان معاوية على العراق ، وصف الطبري تلك الجهود قال (ان زياد كان اول من شد أمر السلطان واكد الملك لمعاوية والزم الناس الطاعة وتقدم في العقوبة وجرد السيف واخذ بالظنه وعاقب على الشبهة وخافه الناس في سلطانه خوفا شديدا حتى أمن الناس بعضهم بعضا حتى كان الشيء يسقط من الرجل أو المرأة فلا يعرض له احد حتى يأتيه صاحبه وتبيت المرأة فلا تغلق عليها بابها وساس الناس سياسة لم يروا مثلها وهابه الناس هيبة لم يهابوها احد من قبله)[3] .

---

(١) الطبري - الامم والملوك جـ ٩ ص ٣٧
(٢) الطبري - الامم والملوك جـ ٨ ص ٢٠٣
(٣) الطبري - الامم والملوك جـ ٦ ص ١٢٦

يبين هذا النص مدى اضطراب الاحوال وانعدام الامن وضعف سلطان معاوية في العراق قبل زياد فلما تولى زياد شد من أمر السلطان واكد الملك لمعاوية وساس الناس سياسة شديدة ٠

فعل يزيد بن معاوية فعل ابيه حيث جمع المصرين لعبيدالله بن زياد لما عرف عنه من كفاءة ومقدرة واخلاص لبيت الخلافة وصلة القربى التي تجمع بينه وبين يزيد كان الدافع الذي دفع يزيد الى هذا الفعل نفس الدافع الذي دفع اباه من قبل الا وهو موقف العراقيين المعادي لهم ومحاولتهم التخلص من الامويين واعادة الخلافة الى البيت العلوي ٠ نشط العراقيون بعد موت معاوية بن ابي سفيان واخذوا يراسلون الحسين بن علي يرجونه القدوم اليهم فليس لهم امام غيره وقد ساعدهم على اظهار شعورهم هذا موقف امير الكوفة النعمان بن بشير الانصاري الذي لم يظهر نشاطا واهتماما كبيرين في القضاء على الفتنة قبل استفحالها امام هذا الخطر الذي تعرض له سلطان الامويين في العراق اضطر يزيد الى أن يعهد الى عبيدالله بن زياد امر العراق جميعا لاطمئنانه الى كفاءته وقرابته للقضاء على ذلك الخطر وتثبيت سلطان الدولة ٠

سار الخلفاء على هذه السياسة في جمع المصرين لامير واحد حتى في الفترة التي خضع العراق فيها لسلطان عبدالله بن الزبير حيث جمع المصرين لاخيه مصعب(١) ليتمكن من القضاء على ثورة المختار بن ابي عبيد الثقفي الذي ثار في الكوفة واستحوذ عليها ٠

ولما عاد العراق الى سلطان عبدالملك بن مروان بعد انتصاره على مصعب سنة ٧١هـ ولى اخاه بشرا على الكوفة ثم جمع له البصرة مع الكوفة سنة ٧٣هـ(٢) عند اضطراب أمر العراق واشتداد خطر الخوارج الا ان

---

(١) الطبري – الامم والملوك جـ ٧ ص ١٤٦
(٢) الطبري – الامم والملوك جـ ٧ ص ٢٠٦

بشر عجز عن القضاء على ذلك الخطر كما انه لم يتمكن من ان يجمع العراقيين تحت سلطانه ويدفعهم الى قتال الخوارج .

ازداد اضطراب الاحوال في العراق بعد وفاة بشر وتفاقم الامر وعظم ذلك على عبدالملك واستولى عليه الجزع حتى خرج الى رجال دولته يناشدهم قائلا : ويلكم من للعراق ولما لم يجد مجيبا لندائه الا الحجاج ولاه وكتب اليه يوصيه (اما بعد فقد وليتك العراق صدقة فاذا قدمت الكوفة فطأها وطأة يتضاءل منها أهل البصرة واياك وهوين الحجاز فان القائل يقول الفا ولا يقطع بهن حرفا وقد رميت الغرض الاقصى فارمه بنفسك وارد ما اردته بك والسلام)[1] .

لم يكن اختيار الحجاج قد جاء عن تطوع منه فقط ليحمل هذا العبء الخطير بل كان عن ثقة من عبدالملك بانه خير من يوكل اليه أمر العراق لما عرف عنه من قوة وشدة وعزيمة صادقة واخلاص في خدمة الدولة . عمل الحجاج بكل ما أوتي من قوة وسخر كل جهوده في سبيل تثبيت سلطان الامويين ولم يترك وسيلة الا سلكها للوصول الى الغاية التي كان يهدف الى تحقيقها . كان عبدالملك باختياره الحجاج قد اختار اكفأ رجال دولته لمواجهة الخطر الذي يهدد الدولة في العراق .

حدث هذا مرة اخرى في خلافة يزيد بن عبدالملك عندما ولى اخاه مسلمة الذي قضى على ثورة العراقيين بزعامة يزيد بن المهلب .

يتضح من هذا كله ان تعيين هؤلاء الولاة وجمع المصرين لامير واحد انما جاء نتيجة لموقف العراقيين المعارض للدولة وكثرة الثورات التي كانوا يثيرونها للتخلص من سلطان الامويين كما ان اكثر الولاة الذين ولو امر العراق بعد تحرج الامور كانوا ينتمون الى بيت الخلافة حرصا من الخلفاء ان يكون الامر في ايدي رجال يطمئنون اليهم كما كانت الكفاءة لها اثرها

(١) اليعقوبي ـ التاريخ ج ٣ ص ١٨

في تعيين هؤلاء الولاة من الامور الاخرى التي كانت موضع عناية الخلفاء عند اختيار الولاة النزعة القبلية فقد ولى سليمان بن عبدالملك يزيد بن المهلب لانه كان غاضبا على الحجاج وآل الحجاج ، وميلا منه الى اليمانية كما ولى هشام بن عبد الملك خالد بن عبدالله القسري لنفس السبب الا ان هشاما كان احكم من ان تسيطر عليه نزعة ما بل كان يضع مصلحة الدولة فوق النزعات والاشخاص فعزل خالد لما وجد منه ما يخيفه من تعاظم نفوذه واستقلاله بادارة العراق دون مراعاة لسلطان الخليفة .

كما عزل يزيد الناقص يوسف بن عمر بسبب النزعة القبلية فقد كان يمانيا . فرض هؤلاء الولاة على العراقيين فرضا ولم يهتم الخلفاء برأي العراقيين سواء رضوا أم ابوا كما كان الحال في عهد الخلفاء الراشدين الا في خلافة معاوية الذي عزل عبيد الله بن زياد عن البصرة عندما عرف سوء رأي الاحنف بن قيس فيه ثم اعاده برضاه[١] كما اوصى ابنه يزيد بان يستجيب لرغبة العراقيين في تعيين الولاة كتب اليه في وصيته (فان سألوك ان تعزل عنهم في كل يوم عاملا فاعزله)[٢] .

وحدث هذا مرة اخرى في خلافة يزيد الناقص الذي كتب الى اهل العراق يعلمهم اسباب ثورته وقتله الوليد بن يزيد وانه ولاهم خيارهم وطلب اليهم أن يبايعوا منصور بن جمهور[٣] ثم عزله وولى مكانه عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز رغبة منه في ان يأتلف به العراقيون لميلهم الى ابيه وتقديرهم اياه[٤] وهكذا نجد ان ظروف العراق كانت دائما لتعيين نوع معين من الولاة كما ان خلفاء الدولة بتوحيدهم المصرين تحت امرة أمير واحد غايتهم ان يكون المصران خاضعين لسياسة واحدة ومشيئة رجل واحد

---

(١) الطبري ـ الامم والملوك جـ ٦ ص ١٧٧
(٢) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد جـ ٤ ص ١٥١
(٣) الطبري ـ الامم والملوك جـ ٩ ص ٣٢
(٤) الطبري ـ الامم والملوك جـ ٩ ص ٣٦

حتى لا تضطرب الامور باختلاف النزعات فيما لو كان كل مصر مستقلا عن الآخر •

ازاء هذا الحال وهذه الظروف تمتع امراء العراق بسلطات واسعة وحرية تكاد تكون مطلقة في تدبير امورهم حتى سيطروا في غالب الاحيان على النواحي المالية والقضائية بالاضافة الى سلطاتهم الاخرى فهم الذين يعينون عمال الخراج ويتصرفون بالاموال حسب مشيئتهم ليتمكنوا من تسخير هذه الاموال في دعم سلطان الدولة لذلك لا نجد الا ثلاثة اشخاص طيلة العصر الاموي ولو الخراج من قبل الخلفاء وهم عبدالله بن دراج في خلافة معاوية[١] وقد ولى الخراج سنة واحدة ويزيد بن ابي مسلم[٢] في خلافة الوليد بن عبدالملك وقد ولى اقل من سنة وصالح بن عبدالرحمن[٣] في خلافة سليمان بن عبدالملك وولاية يزيد بن المهلب كما كان للامراء في اغلب الاحوال حق تعيين القضاة وعزلهم دون الرجوع الى الخليفة ، على العكس مما كان متبعا في عصر الخلفاء الراشدين •

عظم نفوذ بعض هؤلاء الامراء حتى تدخلوا في شؤون الدولة وغيروا من مجرى الحوادث فعبيدالله بن زياد اشار على مروان بن الحكم ان لا يبايع عبدالله بن الزبير بل يطلب الامر لنفسه ، استمع مروان بن الحكم الى مشورة عبيدالله ونجح في الوصول الى الخلافة • بعد عبيدالله بن زياد يأتي الحجاج الذي كان يحتل مركزا ممتازا في الدولة لما قدم من عظيم الخدمات حتى انه هدد سليمان بن عبدالملك ولي العهد بازالته عن الخلافة ان لم يتابع سيرة والده واخيه معه كتب الحجاج الى سليمان بن عبدالملك قال « ما انت الا نقطة من مداد فان رأيت فيما رأى ابوك واخوك كنت لك كما

(١) الجهشياري – الوزراء والكتاب ص ١٥
(٢) الطبري – الامم والملوك جـ ٨ ص ٩٦
(٣) الطبري – الامم والملوك جـ ٨ ص ١٠٣

كنت لهم والا فانا الحجاج وانت النقطة فان شئت محوتك وان شئت اثبتك[1] » .

يتضح من هذا النص مدى نفوذ الحجاج وقوة مركزه في الدولة وتأثيره على سياستها . كما كان يؤخذ رأي الحجاج في تعيين الولاة وعزلهم على الامصار الاخرى . عزل الوليد بن عبدالملك بن عمه عمر بن عبدالعزيز عن المدينة لسوء رأي الحجاج فيه ولم يعين الوليد خلفا له الا بعد ان اخذ رأى الحجاج[2] لم يقتصر تدخل الحجاج على هذه النواحي بل تعداها الى النظر في سلوك الولاة ومحاسبتهم على اخطاءهم . هرب عروة بن الزبير عامل عبدالملك على اليمن الى عبدالملك مستجيرا به خوفا من الحجاج الذي اتهمه بالاستحواذ على مبالغ من الاموال وظن عروة ان الامر انتهى عند ذلك الحد لكن الحجاج ارسل الى عبدالملك يرجوه أن يرسل اليه عروة ليعاقبه على فعلته الا ان عبدالملك رفض ارساله وكتب الى الحجاج ينصحه باتباع سياسة أكثر حكمة لان الشدة غالبا ما تجر على ولاة الامور مصاعب شتى وتدفع الناس الى الالتفاف حول ذوي الاغراض والاهواء لا عن طاعة لهم بل كرها للحاكم[3] من هذا يظهر عظم مركز الحجاج وسعة نفوذه والا كان من الطبيعي ان يأمره عبدالملك بان يترك امر عروة لانه ليس من شأنه لا أن ينصحه وكأنه يرى ان للحجاج عليه سلطانا .

يأتي بعد الحجاج في قوة المركز وعظم النفوذ خالد بن عبدالله القسري الذي يتحدث في مجالسه ذاكرا معايب الخليفة ويظهر ان ولاية العراق ليست شيئا بالنسبة له . حتى كان لا يعبأ بأوامر الخليفة بل يعمل حسبما توحي به رغبته الخاصة . ذكر الطبري « ان رجلا من أهل الشام قدم على الخليفة هشام فقال اني سمعت خالدا ذكر امير المؤمنين بما لا تنطق به

---

(١) الجاحظ ـ البيان والتبيين ج ١ ص ٣٩٧
(٢) الطبري ـ الامم والملوك ج ٨ ص ٩٠
(٣) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ج ٥ ص ٢٧٨

الشفتان فقال : قال الاحوال قال بل قال اشد من ذلك ، قال فما هو ؟ قال لا اقوله ابدا[1] » هذه امثلة تبين لنا تمتع امراء العراق بحرية واسعة واستقلال لم يكن يتمتع به غيرهم • ووصل امر خالد القسري ان خافه هشام فلما هم بعزله لم يعلم احدا حتى اقرب المقربين اليه فكتب رسالة صغيرة بخط يده ودسها بين طيات الكتب المرسلة الى عامله على اليمن يوسف بن عمر كتب اليه فيها قال « ان سر الى العراق فقد وليتك اياه واياك ان يعلم بذلك احد وخذ ابن النصرانية وعماله واشفني منهم[2] » •

هذا ما كان عليه حال امراء العراق من القوة والسلطان وسعة النفوذ ، ولكن هذا لم يكن سائدا في كل الاحوال بل اتبع الظروف السياسية وتطورات الاحوال في العراق وكفاءة الامير وقوة الخليفة •

من المظاهر الاخرى التي امتاز بها هؤلاء الامراء في الاستقلال والحرية في العمل وقوة شخصيتهم بقاءهم في مناصبهم مدة طويلة ، قضى الحجاج عشرين عاما في ولايته على العراق وقضى خالد بن القسرى خمسة عشر عاما هذا مما لم يتيسر لكل الولاة بل كانت الظروف وتغيير الخلفاء تستتبع تغير الولاة كما كان الامير عند توليه امر العراق يصطحب معه عددا كبيرا يعينهم في الوظائف بعد عزل الموظفين السابقين كما فعل يوسف بن عمر بعمال خالد القسرى وكان عددهم ثلثمائة واخذهم بجريرة اميرهم[3] • وفعل ذلك منصور بن جمهور بعمال يوسف بن عمر[4] •

كان للامير الحق في تعيين راتبه ورواتب عماله • قرر زياد ارزاق عماله الف درهم ولنفسه خمسة وعشرين الف درهم واخيرا كان للامير تعيين العمال على الكور والامصار كما كانت الحال أيام الخلفاء الراشدين

---

(١) الطبري ـ الامم والملوك جـ ٨ ص ٢٥٢
(٢) الطبري ـ الامم والملوك جـ ٨ ص ٢٥٤
(٣) الطبري ـ الامم والملوك جـ ٩ ص ٢٨
(٤) الطبري ـ الامم والملوك جـ ٩ ص ٢٩

وتوسع اشرافهم الخارجي حتى أصبح امير العراق يشرف على الشرق كله كان زياد يشرف على سجستان وفارس والسند والهند[١] .

كما كان اغلب امراء العراق بعد زياد يشرفون على الشرق كله يولون العمال ويكون هؤلاء مسؤولين أمامهم وقليلا ما ولى الخليفة امراء الشرق من قبله واحيانا ما يوصى أمير العراق بتعيينهم .

عاون الامير في ادارة اعماله موظفون عديدون وهم كتاب الدواوين وكاتب الرسائل وصاحب بيت المال وصاحب الشرطة .

كاتب الرسائل : اشرف على ديوان الرسائل وهو الذي يحرر الكتب للامير فهو اشبه بالسكرتير . ومن كتاب الرسائل المشهورين يزيد بن ابي مسلم كاتب الحجاج وكان راتبه في الشهر ٣٠٠ درهم[٢] وعمر بن سعيد كاتب خالد بن عبدالله القسرى .

كتاب الدواوين : دونت الدواوين منذ خلافة عمر بن الخطاب وكان في كل من الكوفة والبصرة ديوانان احدهما بالعربية لتسجيل أسماء الجند واعطياتهم والآخر بالفارسية لوجوه الاموال[٣] . اعاد تنظيم هذه الدواوين زياد بن ابيه في امارته على البصرة . ذكر اليعقوبي ان اول من دون الدواوين ووضع النسخ للكتب وافرد كتاب الرسائل من العرب والموالي المتفصحين زياد بن ابيه[٤] .

يتضح من هذا النص ان زياد كان أول من دون الدواوين ولكن الثابت ان عمر بن الخطاب هو اول من دون الدواوين وما قول اليعقوبي هذا الا دلالة على ان زياد اعاد النظر فيها ووضع اسسا جديدة لتنظيمها كما

---

(١) الطبري ـ الامم والملوك جـ ٦ ص ١٣٤
(٢) الجهشياري ـ الوزراء والكتاب ص ٢٣
(٣) الجهشياري ـ الوزراء والكتاب ص ٢٣
(٤) اليعقوبي ـ التاريخ جـ ٢ ص ٢٠٩

أوجد ديوانا جديدا هو ديوان الخاتم متبعا الخليفة معاوية بن ابي سفيان الذي هو أول من اوجد هذا الديوان • والسبب الذي دعا معاوية الى ايجاد هذا الديوان انه احال رجلا على زياد بن ابيه بمائة الف درهم فمضى ذلك الرجل وقرأ الكتاب وكانت تواقيعهم تصدر غير مختومة فجعل المائة مأتين فلما رفع زياد حسابه الى معاوية انكر معاوية ذلك وقال ما احلته الا بمائة الف ثم استعادها منه ووضع ديوان الخاتم فصارت التواقيع تصدر منه مختومة لا يدري احد ما فيها ولا يتمكن احد من تغييرها[١] •

من المؤكد ان زياد عمل على ايجاد هذا الديوان في العراق ما دام الامر قد وقع له مع معاوية قام على هذه الدواوين موظفون من العرب والعجم أما صاحب بيت المال فكان يسجل أسماء الناس واعطياتهم[٢] •

ساعد الامير في ضبط المصر موظف له اهمية كبيرة هو صاحب الشرطة تلك الوظيفة التي لم تكن موجودة في عصر الخلفاء الراشدين الا في خلافة علي بن ابي طالب • ذكر الطبري ان علياً ولى شرطة الكوفة قيس بن سعد الانصاري[٣] الا ان اليعقوبي خالف الطبري فذكر ا نمعاوية اول من اقام الحرس والشرطة ، والبوابين في الاسلام[٤] ويساير ديموبين اليعقوبي قائلا « نلاحظ في العصر الاموي ظهور صاحب الشرطة[٥] • وأرى ان ظهور صاحب الشرطة كان في أواخر خلافة علي عندما ازداد عدد سكان الكوفة بهجرة اخلاط من الناس من عرب وغير عرب وتعقد المجتمع وزيادة مشاكل الناس فاحتاج الخليفة الى من يعاونه في ضبط الامور ولكن ظهور صاحب الشرطة في العصر الاموي كان أكثر وضوحا لتعقب المجرمين والقضاء على حركات المعارضين لحكم الدولة الاموية •

---

(١) ابن طباطبا ـ الفخري ص ٧٩
(٢) الطبري ـ الامم والملوك ج ٧ ص ٢٠
(٣) الطبري ـ الامم والملوك ج ٥ ص ٣٨
(٤) اليعقوبي ـ التاريخ ج ٢ ص ٢٠٧
(٥) ديموبين ـ النظم الاسلامية ص ٢١

اختير أصحاب الشرطة ممن عرف عنهم شدة المراس وقوة الشكيمة وعفة الخلق وصدق في الامانة والاخلاص في العمل قال زياد « ينبغي ان يكـون صاحب الشرطة زميتـا قطوبا أبيض اللحية اقنى احنى ويتكلم بالفارسية »[1] وقال الحجاج (دلوني على رجل للشرط فقيل له أي الرجال تريد قال اريده دائم العبوس طويل الجلوس سمين الامانة اعجف الخيانة لا يخفق في الحق على حرة ويهون عليه سيال الاشراف في الشفاعة فقيل له عليك بعبدالرحمن بن عبيد التميمي فارسل اليه فقال لست اقبلها الا ان تكفيني عيالك وحاشيتك قال قال يا غلام ناد في الناس من طلب اليه حاجة فقد برئت منه الذمة قال الشعبي فوالله ما رأيت صاحب شرطة قط مثله كان لا يحبس الا في دين وكان اذا اوتي برجل نقب على قوم وضع منقبته في بطنه حتى تخرج من ظهره وان اوتي بنباش حفر له قبرا فدفنه فيه واذا اوتي برجل بحديدة أو شهر سلاحا قطع يده وان اوتي برجل قد احرق على قوم منزلهم احرقه واذا اوتي برجل يشك فيه وقد قيل انه لص ولم يكن منه شيء ضربه ثلثمائة سوط قال فكان ربما اقام اربعين ليلة لا يؤتي باحد فضم اليه الحجاج شرطة البصرة مع شرطة الكوفة[2] .

يعطينا هذا النص ما كان يتمتع به صاحب الشرطة من سلطات واسعة واجراءات فورية في معاقبة المجرمين وتنفيذ عقوبات قاسية عليهم كما كان من واجباته تنفيذ أوامر القاضي فيما يتصل بالقانون الجنائي القرآني كما كان حاكما لعدد من الجنح البسيطة غير محدودة كان يعاقب عليها آنياً وقد راقب المجرمين وطاردهم وبالتالي في حضرة القاضي ان امكن[3] .

ساعد صاحب الشرطة عدد من الشرطة بلغ عددهم في البصرة في عهد

(١) الجاحظ ـ البيان والتبين جـ ١ ص ٩٥
(٢) ابن قتيبة ـ عيون الاخبار جـ ١ ص ١٦
(٣) ديموبين ـ النظم الاسلامية ص ٢١٠

زياد بن ابيه اربعة آلاف وكانت غالبيتهم من الحمراء[1] .

اقتصر عمل صاحب الشرطة على ضبط أمر المصر فقط ونادرا ما كان يرسل الشرطة الى خارج المصر ليشاركو الجيش في قتال من يخرج على سلطان الامير .

اشرف صاحب الشرطة على السجن وكان في كل مصر سجن يودع فيه المجرمون وموقعه في بعض الاحيان يكون خارج المصر قريبا منها[2] . من اشهر السجون في العراق سجن الديماس الذي بناه الحجاج في مدينة واسـط .

وصفوة القول ان النظام الاداري في العصر الاموي سار على الاسس التي وضعها الخليفة عمر بن الخطاب الا انه تطور وطرأت عليه تغيرات عدة لتطور الحياة السياسية والاجتماعية في العراق .

من هذه التغيرات توحيد الولايتين تحت امرة امير واحد وتمتع الامير بحرية واسعة في العمل وسيطرته على جميع الشؤون الادارية والمالية والقضائية كما امتد سلطانهم ليس على العراق حسب بل الى جميع الاجزاء الشرقية من العالم الاسلامي آنذاك وعلا مركزهم حتى أصبحوا في الدرجة الاولى بين ولاة الدولة بل انهم يأتون بعد الخليفة مباشرة ويمكننا تقدير مكانتهم وعلو مركزهم من نفوذ زياد وابنه عبيدالله والحجاج بن يوسف الثقفي وخالد بن عبدالله القسري وما كان يتمتع به هؤلاء من مكانة ونفوذ واسع عريض كل ذلك جاء نتيجة لموقف العراقيين المعادي للدولة وسعيهم دوما للتخلص منها ومحاولة من الخلفاء تثبيت سلطانهم على العـراق باعتباره مركز الشرق الاسلامي كله ...

(١) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ جـ ٣ ص ٢٢٤
(٢) الاصفهاني ـ الاغاني ـ مجلد ٥ ص ١٣١

النظام المالي

الخراج • الضرائب غير الشرعية • نظام الجباية •

(١) الجزية والزكاة :

الجزية هي الضريبة التي فرضها العرب على غير المسلمين من أهل الذمة الذين خضعوا لهم • أما الزكاة فهي الضريبة المفروضة على المسلمين في أموالهم •

ارتبطت الجزية بضريبة أخرى هي ضريبة الخراج وهي ضريبة الارض وذلك في القرن الاول للهجرة ، فلم يكن هنالك تحديد واضح بين هاتين الضريبتين فنجد المصادر التأريخية تذكر الجزية بمعنى الخراج وتذكر الخراج على انه مجموع الضرائب المجباة بضمنها الجزية ، وظل هذا الارتباط بين الضريبتين حتى خلافة عمر بن عبدالعزيز الذي فرق بينهما فجعل الجزية مقصورة على الرؤس والخراج على الارض • والذي دفع عمر بن عبدالعزيز الى التفريق بينهما المشكلة الخطيرة التي جابهت من سبقه من الخلفاء والولاة فالحجاج مثلا عجز عن حل تلك المشكلة وهي مشكلة المسلمين الجدد الذين تركوا أراضيهم ونزحوا الى المدن ليتخلصوا من الضرائب فوجد الحجاج نفسه مضطرا الى اجبارهم بالعودة الى قراهم ليتمكن من فرض الجزية عليهم كما كانت تؤخذ منهم وهم على كفرهم[١] وبذلك خالف مبادىء الدين الاسلامي ويظهر من عمل الحجاج هذا ان الضرائب كانت مرتبطة بالارض سواء اسلم صاحبها أم بقي على حاله السابقة والا لما اضطر الى انتهاج ذلك السبيل ولكان من السهل عليه ان

(١) الطبري – الامم والملوك ج ٨ ص ١٦٧ •

يفرض عليهم الجزية وهم في المدن التي هاجروا اليها لا أن يعيدهم الى قراهم ويبقي عليهم تلك الضرائب التي يرفعها عنهم دخولهم الاسلام ، ومما يدل على الارتباط بين هاتين الضريبتين الجزية والخراج ان الذمى اذا ما اسلم امتنع عن دفع الضريبتين معا ، وهذا الذي دفع عمر بن عبدالعزيز الى التفريق بينهما وجعل الجزية على غير المسلمين فاذا ما اسلم الذمى رفعت عنه أما الخراج فهو ضريبة الارض لا ترفع سواء كان صاحب الارض مسلما أو غير مسلم اذا كانت أرضه من أرض الخراج ومنع عمر بيع الاراضي الخراجية وسمح للمسلمين الجدد بالهجرة الى الامصار(١) .

راعى عمر بعمله هذا امرين هامين اولهما تشجيع غير المسلمين على الدخول في الدين الاسلامي لرفعه الجزية ، والامر الثاني محافظته على الموارد الحكومية . فرضت الجزية على العناصر العديدة التي كانت تسكن سواد العراق من أهل الذمة فقد فرضت على اليهود والنصارى والمجوس والسامرة والصابئة(٢) وقد شذت عن هذه القاعدة قبيلة بني تغلب النصرانية التي كانت تسكن العراق اذ عاملها عمر بن الخطاب معاملة خاصة لامتناعها عن دفع الجزية فابدلها عمر بن الخطاب بالصدقة المضاعفة اعتقادا منها ان الجزية عنوان الذل والصفار(٣) .

فرضت الجزية على القادرين من الرجال فقط واعفى منها النساء والصبيان والعجزة والفقراء والمجانين والعبيد(٤) وروعي في فرضها حالة الرجل المالية وكانت على ثلاث درجات ٤٨ درهما و٢٤ درهما و١٢ درهما في السنة(٥) ويعفى منها الذمى في حالتين ، في حالة دخوله الاسلام وفي حالة

---

(١) ولهاوزن ــ الدولة العربية وسقوطها ص ١٢٧ .
(٢) أبو يوسف ــ الخراج ص ١٢٢ .
(٣) أبو عبيد ــ الاموال ص ١٢٠ .
(٤) الماوردي ــ الاحكام السلطانية ص ١٣٩ .
(٥) يحي بن ادم ــ الخراج ص ٢٣ .

عجزه وقعوده عن الكسب .

عامل الخلفاء الراشدون أهل الذمة معاملة حسنة فكان عمر بن الخطاب يوصي عماله بأن يرفقوا بهم ولا يثقلوا ويشتطوا في جباية الجزية منهم . الا أن الحال تغير في العصر الاموي اذ كان خلفاء بني امية بحاجة الى الاموال الكثيرة لاصطناع الاحزاب ولتهدئة الثورات ولسد حاجات البلاط والفتوحات فأدى بهم الى زيادة الضرائب وجمعها بمختلف الطرق والوسائل وقد نتج عن هذه السياسة بالنسبة للجزية ان ظلت تؤخذ من أهل الذمة حتى بعد دخولهم الاسلام تدفعهم الحاجة الى الابقاء على مقدار الدخل الحكومي الذي أخذ يتناقص لكثرة عدد الداخلين في الاسلام وبذلك خالفوا مبادىء الدين الاسلامي واوقفوا تيار الداخلين في الاسلام فكانت حجتهم التي احتجوا بها من ان الجزية بمنزلة الضريبة على العبد فلا يسقط اسلام العبد عنه ضريبته(١) وقد شذ عن هذه السياسة الخليفة عمر بن عبدالعزيز اذ أسقط الجزية عن الداخلين في الاسلام وبذلك خالف من سبقه ومن خلفه من الخلفاء كما ان ولاة الدولة على العراق ما عدا الفترة التي حكم بها عمر بن عبدالعزيز كانوا يشتطون في جمع الجزية ويقسون على الممتنعين عن دفعها(٢) .

أما مقدار ما جمع من الجزية في عهد الخلفاء الراشدين وعهد بني أمية فلم تذكر المصادر رقما خاصا اذ كانت تدخل ضمن المبالغ المجباة من الضرائب الاخرى .

وكما كانت تجبي الجزية من أهل الذمة كانت الزكاة تجبى من المسلمين تؤخذ من أموالهم من الذهب والورق والابل والبقر والغنم(٣)

---

(١) أبو عبيدة ـ الاموال ص ٤٨ .

(٢) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ج ٥ ص ٢٦٦ .

(٣) أبو عبيد ـ الاموال ص ٣٥٩ .

وكانت تؤخذ في خلافة الراشدين من المسلمين المسجلين في ديوان العطاء ، ذكر أبو عبيد ان رجلا أتى علياً بزكاة ماله فقال له أتاخذ عطائنا قال لا قال فاذهب فانا لا نأخذ منك شيئا لا نجمع عليك ان لا نعطيك ونأخذ منك[1] • أما في العصر الاموي فقد أخذت من الاعطيات ، ذكر اليعقوبي ان معاوية سن اخذ الزكاة من الاعطية[2] ومن ذلك يظهر حرص بني امية على جمع الاموال من أي مصدر كان •

الخـــراج :

قبل أن نبحث ضريبة الخراج يجدر بنا أن نعرف موقف الفاتحين من أرض السواد وهل فتحت عنوة أم فتحت صلحا ، وما حكم الارض التي تفتح عنوة وما حكم الارض التي تفتح صلحا ، فاذا كانت فتحت صلحا فتكون فيئا للمسلمين[3] اما اذا كانت فتحت عنوة فتكون في حكم الغنيمـة التي يأخذ منها الخمس ليوزع بين من سمى الله للرسول وذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وما بقى بعد الخمس فهو للذين غلبوا عليها تقسم بينهم بالسوية ، وهذا ما يوضح لنا حكم أرض السواد فانها فتحت عنوة باتفاق أكثر المؤرخين والفقهاء كالبلاذري[4] وابي يوسف[5] ويحي ابن ادم[6] وابي عبيد[7] الا ارض الحيرة وعـين التمر واليس وبانقيا[8] فقد صالح أهل الحيرة خالد بن الوليد على شروط اتفقوا عليها وكتب بينه

---

(١) أبو عبيد ـ الاموال ص ٥٧١ •
(٢) اليعقوبي ـ التاريخ ج ٢ ص ٢٠٧ •
(٣) يحي بن ادم ـ الخراج ص ١٩ •
(٤) البلاذري ـ فتوح البلدان ص ٢٤٦ •
(٥) أبو يوسف ـ الخراج ص ٢٨ •
(٦) يحي بن ادم ـ الخراج ص ٢٧ •
(٧) أبو عبيد ـ الاموال ص ٥٧ •
(٨) أبو يوسد ـ الخراج ص ٢٨ •

وبينهم كتابا (بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من خالد بن الوليد لاهل الحيرة • ان خليفة رسول الله أبا بكر الصديق أمرني ان اسير بعد منصرفي من اهل اليمامة الى أهل العراق من العرب والعجم بان ادعوهم الى الله جل ثناؤه والى رسوله عليه السلام وابشرهم بالجنة وانذرهم من النار فان اجابوا فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين واني انتهيت الى الحيرة فخرج الى اياس بن قبيصة الطائي في اناس من أهل الحيرة من رؤسائهم واني دعوتهم الى الله والى رسوله فأبوا ان يجيبوا فعرضت عليهم الجزية أو الحرب فقالوا لا حاجة لنا بحربك ولكن صالحنا على ما صالحت عليه غيرنا من أهل الكتاب في اعطاء الجزية واني نظرت في عدتهم فوجدت من كانت به زمانه الف رجل فاخرجتهم من العدة فصاروا من وقعت عليه الجزية ستة الاف فصالحوني على ستين الفا)[1] فكانت اول جزية حملت من المشرق واول مال قدم به على أبي بكر وصالح خالد بن الوليد أهل بانقيا واليس وعين التمر على الجزية[2] وبذلك تكون هذه المناطق قد فتحت صلحا وتكون فيئا للمسلمين يجي من اصحابها ما اشترط عليهم •

أما باقي أرض السواد فانها كما ذكرنا قد فتحت عنوة وحكمها حكم الغنيمه الا انها لم تقسم بين الفاتحين حسب احكام الغنيمة وانما ابقاها عمر بن الخطاب في أيدي أصحابها يعمرونها ويؤدون عنها الخراج •

تعرض عمر بن الخطاب لمعارضة شديدة شنها عليه عدد من كبار الصحابة منهم بلال بن رباح وعبدالرحمن بن عوف والزبير بن العوام الذين طلبوا اليه أن يقسم أرض السواد على الذين غلبوا عليه بعد أن يخرج الخمس مستندين في آرائهم هذه الى احكام الدين الاسلامي وسنة الرسول (ص ع) الا ان عمر اصر على رأيه وتداول مع المهاجرين والانصار وتمكن من اقناعهم وبين لهم ان من الافضل ان تبقى أرض السواد في ايدي

---

(١) أبو يوسف ـ الخراج ص ٤٣ •
(٢) أبو يوسف ـ الخراج ص ١٤٥ •

اصحابها لتكون وقفا لعامة المسلمين من المقاتله والذريه فوافق على رأيه أكثر الصحابة وكتب بذلك كتابا الى سعد بن ابي وقاص (اما بعد فقد بلغني كتابك تذكر ان الناس سألوك ان تقسم بينهم ما افاء عليهم الله فاذا اتاك كتابي فانظر ما اجلب عليه العسكر بخيلهم من مال وكراع فاقسمهم بينهم بعد الخمس واترك الارض والانهار لعمالها ذلك في اعطيات المسلمين فانك ان قسمتها بين من حضر لم يكن لمن بقى بعدها شيء)[١] .

وبذلك يكون قرار عمر بابقاء الارض في أيدي أصحابها ان تحول حكم أرض السواد من الغنيمة الى الصلح دون ان يكون بين أهل الارض والمسلمين عهد أو شروط صلح اتفقوا عليها[٢] .

شذت عن هذا الحكم أرض بني تغلب التي عاملها عمر بن الخطاب معاملة خاصة فقد رفع عنها الخراج وضاعف عليها العشر .

رمى عمر بن الخطاب في ابقاء الارض المفتوحة في أيدي أصحابها أمورا عدة منها انه لم يرد ان يشغل جند المسلمين بالزراعة والارض وانما أراد ان يحتفظ بهم كقوة عسكرية تحمي الثغور وتستمر في الفتح لنشر الدين الاسلامي كذلك ليجعل هذه الارض وقفا لعامة المسلمين على مر السنين والاجيال لمن في اصلاب الرجل وارحام النساء[٣] بالاضافة الى هذين الامرين جهل المسلمين بأمور الزراعة وقد عبر عمر عن ذلك بقوله (اخاف ان قسمته ان تفاسدوا بينكم في المياه)[٤] كما ان اهل السواد كانوا اعلم بارضهم واعرف بأمور الزراعة والري ..

على هـذا الاساس يمكننا ان نقسم أرض العراق الى أربعة أقسام بصورة عامة :

---

(١) البلاذري ــ فتوح البلدان ص ٢٦٥ .
(٢) أبو يوسف ــ الخراج ص ٢٨ .
(٣) البلاذري ــ فتوح البلدان ص ٢٦٢ .
(٤) أبو عبيد ــ الاموال ص ٥٧ .

١ ـ أرض الصلح وهي أرض الحيرة واليس وبانقيا وعين التمر وهي أرض خراجية •

٢ ـ أرض بني تغلب وهي أرض عشريه فتحت عنوة الا ان عمر عاملها معاملة خاصة باضعافه العشر عليها •

٣ ـ أرض العنواة • وهي القسم الاكبر من أرض السواد واعتبرت وكأنها أرض صلح اذ ابقاها عمر في أيدي أصحابها يؤدون عنها الخراج فهي أرض خراجية •

٤ ـ الصوافي • وهي كل ارض كانت لـكسرى واهل بيته ومن قتل في الحرب أو فرّ عنها صاحبها فهذه تكون للامام يتصرف بها وهي أرض خراجية •

ممـا تقدم يتضح ان أغلب أرض السواد في بداية الفتح الاسلامي كانت أرض خراجية •

فرض المسلمون ضريبة الخراج وهي ما وضع على رقاب الارض من حقوق تؤدى عنها[١] وقد جبى الخراج نقدا وعينا بخلاف الجزية التي جبيت نقدا فقط فوضع عمر على كل جريب عامر أو غامر يناله الماء بدلو أو بغيره زرع أو عطل درهما وقفيزا واحدا[٢] •

وقد جبى الخراج من بعض المزروعات نقدا فقد فرض عمر بـن الخطاب على جريب العنب عشرة دراهم وعلى جريب النخل ثمانية دراهم وجريب الشعير درهمين وجريب القصب ستة دراهم والحنطة أربعـة دراهم ، وبذلك يكون الخراج ومقداره متوقفا على نوع المحصول وعلى مساحة الارض والوحدة القياسية هي الجريب[٣] وقـد مسح عمر بن

(١) الماوردي ـ الاحكام السلطانية ص ١٤١ •
(٢) أبو يوسف ـ الخراج ص ٣٨ •
(٣) أبو يوسف ـ الخراج ص ٣٦ •

الخطاب السواد فكانت مساحته ستة وثلاثين مليون جريب[1] وبلغ خراج العراق في خلافة عمر بن الخطاب مائة وعشرين مليون درهم وفي ولاية الحجاج ثمانية عشر مليونا فقط وفي خلافة عمر بن عبدالعزيز مائة وعشرين مليون درهم[2] وهذه الارقام تشمل الجزية والخراج معا .

اما الصوافي فقد بلغ ما جبي منها في خلافة عمر بن الخطاب سبعة ملايين درهم[3] وفي خلافة معاوية بن ابي سفيان خمسين مليون درهم من أرض الكوفة وسوادها[4] أما العشر فكان يجبى من الارض التي يمتلكها مسلم فالعشر هو زكاة الارض يدفعه المسلم كما يدفع زكاة الانواع الاخرى من الاموال كذلك كان العشر يجبى من أرض الموات أي من يحييها يدفع عنها العشر ولا يؤدي عنها خراجا[5] .

١ ـ شراء أرض الصلح وهي أرض الحيرة والقرى الاخرى اذ سمحت الدولة لهؤلاء ببيع ارضهم[1] .

٢ ـ الهبات التي كان يهبها الخلفاء والولاة لكبار الصحابة من أرض الصوافي فقد اقطع الخليفة عثمان بن عفان عددا من كبار الصحابة منهم عمار بن ياسر وعبدالله بن مسعود[6] كما تحول قسم كبير من هذه الصوافي الى ارض عشرية بعد ان احرق الديوان في معركة الجماجم التي وقعت بين الحجاج وعبدالرحمن بن الاشعث حيث ضم كل قوم ما يليهم من تلك الارض .

---

(١) الجريب ومساحته ثلاثة آلاف وستمائة ذراع مكسره .
(٢) البلاذري ـ فتوح البلدان ص ٢٦٨ .
(٣) ابن ـ المالك والممالك ص ٥٧ .
(٤) ابو يوسف ـ الخراج ص ٥٧
(٥) اليعقوبي ـ التاريخ ج ٢ ص ١٩٤ .
القفيز ـ وزنا ثلاثون رطلا ـ الماوردي ص ١٥١ .
(٦) أبو يوسف ـ الخراج ص ٢٢ .

٣ ـ انتقال قسم كبير من ارض الخراج الى أيدي المسلمين عن طريق البيع والشراء أو عن طريق الهبات أو بدخول اصحاب الارض الدين الاسلامي ، أما طريق الهبات والاقطاع فقد اقطع الى عدد من كبار المسلمين ارضا من ارض الخراج فكانت للحسين بن علي ارض من ارض الخراج وللقاضي شريح ارض يدفع عنها الخراج[١] .

أما طريق البيع والشراء ودخول أصحاب الارض في الدين الاسلامي فقد حدث أن بيعت أراضي من أرض الخراج بخلاف ما تقره كتب الفقه ولكن الحوادث التاريخية تثبت ان البيع والشراء قد تم واكبر دليل على ذلك قرار عمر بن عبدالعزيز ذلك القرار الذي حرم بيع الاراضي الخراجية وفرق عمر بين الجزية والخراج وكان لهذا التفريق بين الجزية والخراج بالنسبة لاصحاب الارض لان صاحب الارض اذا ما اسلم امتنع عن دفع الخراج الذي كان يشمل ضريبة الرأس وضريبة الارض وكان لهذا التفريق اهمية بالنسبة لوضع الارض وملكيتها وفرض الضرائب عليها وقد قرر عمر ان الجزية على الذمي ترفع عنه اذا ما دخل الاسلام اما الارض فهي ملك لعامة المسلمين فلا يجوز بيعها ويجبى منها الخراج سواء كان صاحب الارض مسلما أم غير مسلم فهو بمثابة كراء الارض .

وبذلك حل مشكلة المسلمين الجدد . أما مشكلة الارض فلم تحل بصورة نهائية ولو انه وضع الاساس في قراره ذلك بالنسبة لوضع الارض وفرض الضرائب عليها ولا أدل على ذلك مما ذكره البلاذري ان ارضا بالفرات اسلم اهلها عليها حين دخلها المسلمون وارضا خرجت من أيدي اصحابها الى قوم مسلمين بهبات وغير ذلك من أسباب الملك فصيرت عشرية وكانت خراجية فردها الحجاج الى الخراج ثم ردها عمر بن عبدالعزيز الى الصدقة ثم ردها عمر بن

(١) أبو يوسف ـ الخراج ص ٥٨ .

هبيرة الى الخراج ، فلما ولى هشام بن عبدالملك رد بعضها الى الصدقة[1] .

٤ ـ احياء الارض الموات واستصلاح أراضي البور التي لم يكن لها مالك فيكون حكمها حكم الارض العشرية وقد استخرجت مساحات كبيرة من تلك الارض في خلافة الراشدين وخلافة الامويين فقد استخرج عبدالله بن دراج مولى معاوية بن ابي سفيان وعامله على خراج العراق ارضا عظيمة من البطائح بلغت غلتها خمسة ملايين درهم وذلك انه قطع القصب وغلب الماء بالمسنيات ثم كان حسان النبطي الذي استخرج للحجاج أيام الوليد واستخرج لهشام بن عبدالملك ارضين من أراضي البطيحة[2] .

مما تقدم يتضح انتقال مساحات واسعة من أرض السواد الى أيدي الفاتحين الذين استقروا في العراق مما أدى الى ارتباك في وضع الارض وملكيتها وهل هي أرض خراجية أم أرض عشرية وكيف انتقلت من أرض خراجية الى أرض عشرية . مما دفع بهارون الرشيد الخليفة العباسي ان يطلب الى ابي يوسف قاضي القضاة وتلميذ الامام ابي حنيفة ان يضع كتابا عن الخراج فوضع كتابه المشهور بالخراج ليكون الخليفة على بينه من أمر أرض السواد التي كثر فيها الجدال والنقاش وتضاربت آراء الفقهاء حولها بحيث يصعب على الباحث ان يصل الى نتيجة دقيقة بشأن أرض السواد في خلافة الراشدين والامويين .

الضرائب غير الشرعية :

وهي الضرائب التي لم يشر اليها القرآن الكريم ولم يعمل بها الرسول (ص.ع) انما فرضها العرب على سكان العراق والبلاد الاخرى

(١) البلاذري ـ فتوح البلدان ص ٣٦١ .
(٢) البلاذري ـ فتوح البلدان ص ٢٩١ .

مقلدين الفرس والبزنطيين ومدفوعين الى جمع الاموال وبخاصة في العصر الاموي من اي سبيل وبأية وسيلة • وهذه الضرائب هي :

١ - ضرائب الصناعة والتجارة • فرضت ضريبة العشور على التجارة الداخلية والخارجية وكان اول من فرضها من خلفاء المسلمين الخليفة عمر بن الخطاب وذلك ان ابا موسى الاشعري كتب (ان تجارا من قبلنا من المسلمين يأتون ارض الحرب فيأخذون منهم العشر فكتب اليه عمر - خذ انت كما يأخذون من اهل الذمة نصف العشر ومن المسلمين من كل اربعين درهما درهما وليس فيما دون المائتين شيء فاذا كانت مائتين ففيها خمسة دراهم وما زاد فبحسابه)[١] كما كانت تؤخذ من اهل الحرب الذين يدخلون ارض الاسلام فكان يؤخذ منهم العشر[٢] •

فرضت هذه الضريبة على جميع الاموال ومختلف التجارة بما في ذلك الاموال المحرم على المسلمين بيعها أو شرائها مثل الخمر والخنازير وقد كره بعض الخلفاء اخذ ضريبة الخمر والخنازير منهم عمر بن عبدالعزيز الذي كتب الى عدي بن ارطاه واليه على البصرة يأمره ان يبعث اليه بفضل الاموال التي كانت عنده فذكر له عدي ان منها اربعة الاف اخذها من عشور الخمور فلما علم بذلك عمر أمر ان ترد هذه الاموال الى اصحابها[٣] •

كان على جباية هذه الضريبة موظف يسمى العاشر وكان اول موظف ولاه عمر بن الخطاب هو زياد بن حدير وكان على عشور العراق والشام[٤] •

اما ضريبة الصناعة فقد فرض المسلمون ضرائب على الصناع واصحاب

---

(١) ابو يوسف - الخراج ص ١٣٥
(٢) ابو يوسف - الخراج ص ١٣٥
(٣) ابو عبيد - الاموال ص ٥١
(٤) ابو يوسف - الخراج ص ١٣٥

الحرف والمهن مثل الخياط والصباغ والخراز والطبيب والمعالج[١] .

وفي العصر الاموي فرضت على اهل السواد ضرائب اخرى لحرص بني امية على جمع المال والاكثار منه فقد اعاد معاوية هدايا النيروز والمهرجان كما كانت تؤخذ في ايام الفرس وحصل اليه من هذه الهدايا عشرة ملايين درهم كما فرضت ضرائب اخرى وهي التي أمر عمر بن عبدالعزيز برفعها وعدم مطالبة اهل السواد بها وهي اجور الضرابين الذين يضربون النقد واذابة الفضة وثمن المصحف واجور البيوت ودراهم النكاح[٢] .

بالاضافة الى هذه الضرائب التي اثقلت كاهل اهل السواد فرض العرب فروضا اخرى والزموا بها اهل السواد فكان على اهل السواد ضيافة من مر بهم من المسلمين ثلاثة ايام[٣] كما فرض المسلمون على الفلاحين السخرة في اصلاح الطرق والجسور والاسواق وعليهم ارشاد من مر بهم من المسلمين[٤] .

نظام الجباية :

ابقى العرب بعد ان تم لهم فتح العراق النظم المالية والادارية التي كانت تنظم اموره في العهد الساساني واكتفوا بشغل المناصب الرئيسية ليشرفوا على الادارة بوجه عام .

اتبع العرب نظام جباية الضرائب كما كان الحال ايام الفرس فجعلوا دهقان القرية هو المسؤول عن جمع ما على قريته من ضرائب ، فقد ختم

---

(١) ابو يوسف ـ الخراج ص ١٢٣
(٢) ابو عبيد ـ الاموال ص ٤٦ ـ دراهم النكاح ما كان يؤخذ من البغايا
(٣) الماوردي ـ الاحكام السلطانية ص ١٣٩
(٤) الطبري ـ الامم والملوك جـ ٤ ص ١٨٤

عثمان بن حنيف على رقاب اهل الذمة وفرض على كل انسان اربعة دراهم في كل شهر ثم حسب اهل القرية وما عليهم وقال لدهقان كل القرية على قريتك كذا وكذا فاذهبوا فتوزعوها بينكم[١] واعتبر بذلك الدهقان هو المسؤول بجميع ما على قريته من ضرائب وعلى الدهقان ان يوزعها على اهالي قريته كل حسب حالته المالية كان دهقان القربه يسلم ما جمع من اهل قريته الى عامل الكورة الذي يسلمه بدوره الى الامير[٢] .

وفي العصر الاموي استعمل ولاة العراق الدهاقين في جباية الضرائب وجعلوا معهم امناء من العرب حتى يكونوا رقباء عليهم[٣] . تجبى الضرائب في اوقات معينة فالجزية تجبى بعد انقضاء سنة هلالية[٤] والخراج يجبى ابان النيروز وقد قلد العرب الفرس في هذا الشأن اذ كان الفرس يفتتحون الخراج ابان النيروز وقد اثر الفرس ذلك من قديم الزمان لانه وقت الانقلاب الصيفى الذي هو وقت ادراك الغلات فكان اصوب لافتتاح الخراج من غيره ، فلما جاء ملوك العرب اقتدوا بملوك الفرس في المطالبة بالخراج ابان النيروز[٥] تجمع هذه الضرائب العينية والنقدية في بيوت المال الموجودة في المدن الرئيسية اذ كان في الانبار بيت مال وفي المدائن بيت مال وفي عين التمر وواسط وهذه البيوت متفرعة من بيت المال الرئيسي في الكوفة والبصرة ويشرف على كل بيت من هذه البيوت الفرعية موظف اطلق عليه اسم صاحب بيت المال . وار ى ان هذه البيوت المنتشرة في مدن السواد ما هي الا مخازن موقتة لخزن الغلال والضرائب العينية والنقدية ومن ثم يرسل ما جمع فيها من اموال الى المركز الرئيسي في العاصمة في الكوفة والبصرة ، وبعد أن يستخرج من هذه الاموال اعطيات الجند والموظفين

---

(١) ابو عبيد ـ الاموال ص ٥٢
(٢) ابو يوسف ـ الخراج ص ١١٨
(٣) الطبري ـ الامم والملوك ج ٦ ص ٢٩
(٤) الماوردي ـ الاحكام السلطانية ص ١٤٠
(٥) ادم متنر ـ الخضارة العربية ج ١ ص ١٤٢

الاداريين يرسل الباقي الى العاصمة المدنية في خلافة الراشدين ودمشق في العصر الاموي •

كان في الكوفة والبصرة ديوانان احدهما بالعربية لتسجيل اسماء الجند واعطياتهم والآخر بالفارسية لتسجيل وجوه الاموال • وكان اغلب موظفي هذا الديوان من الاعاجم لمعرفتهم بامور الخراج ولذلك ترى العرب ابقوا هذا الديوان باللغة الفارسية حتى عربه صالح بن عبدالرحمن في ولاية الحجاج وخلافة عبدالملك بن مروان •

عومل دافعو الضرائب من اهل السواد في خلافة الراشدين معاملة حسنة ومنع الخلفاء استعمال الشدة من الممتنعين أو المتأخرين عن الدفع فكان عمر بن الخطاب حريصا كل الحرص على مراعاة احوال دافعي الضرائب ومنع عن عماله استعمال الضرب بالسياط أو التعليق أو ايقافهم في الشمس وغيرها •

اما في العصر الاموي فقد تعرض سكان السواد لصنوف من القسوة والشدة لحرص بني امية على جمع الاموال وجبايتها تدفعهم رغبتهم على الاكثار من جمع المال بكل وسيلة ومن أي سبيل فاطلقوا ايدي ولاتهم في العراق حتى يتمكنوا من جمع الضرائب غاضين عنهم عسفهم وبطشهمواجبار الناس على دفع الضرائب وقد لاقى المسلمون الجدد عنتا وشدة اذ اجبروا على دفع الجزية التي يرفعها عنهم دخولهم الاسلام وقد اشتهر الحجاج بقسوته وشدته ازاء المسلمين الجدد فارجعهم الى قراهم التي نزحوا منها وختم على يد كل واحد منهم اسم القرية التي اعيد اليها حتى يتمكن من جباية ما عليهم من ضرائب •

النظـــام النقـــدي

استقر النظام النقدي في العراق على عهد الدولة الساسانية على قاعدة العملة الفضية المسماة بالدرهم فكانت العملة الرسمية للدولة . وقد عرف العرب في الجاهلية الدرهم وتداولوه في مبادلاتهم التجارية ومعاملاتهم العادية[1] دخل العراق تحت الحكم الاسلامي وظل الدرهم هو العملة التي لم يحاول العرب تغييرها أو استبدالها بعملة اخرى شأنهم في الامصار الاخرى فانهم لم يغيروا العملة الرومية التي كانت متداولة في تلك الامصار وهي الدينار فكان الدرهم العملة المتداولة في الشرق الاسلامي والدينار العملة المتداولة في الغرب الاسلامي ولكن ذلك لم يكن معناه ان الدينار غير موجود في العراق فقد صالح بن صلوبا صاحب قس الناطف خالد بن الوليد على عشرة آلاف دينار[2] وهذا يدل على ان الدرهم والدينار عملتان متداولتان في العراق ولكن الغالب في الاستعمال والسك الدرهم .

ورث العرب دراهم مختلفة الاوزان وجدوها في ايدي الناس يتعاملون بها فكانت مضروبة على ثلاثة اوزان هي :

الدرهم البغلي ـ يزن ٣٠ قيراطا = ٨ دوانق = ٢/٣ ٤/٦٦ غرام

الدرهم الطبري ـ يزن ١٠ قراريط = ٤ دوانق = ١/٢ ٢/٨٣ غرام

الدرهم الجوارقي ـ يزن ١٢ قيراطا = ٤١/٢ دوانق = ٣/٤٠ غرام[3]

الى جانب هذه الدراهم استعمل العرب دراهم اخرى كالدراهم اليمنية

---

(١) المقريزي ـ شذور العقود ص ٢

(٢) الطبري ـ الامم والملوك جـ ٤ ص ١٦

(٣) المقريزي ـ شذور العقود ص ٣ والدوري ـ تاريخ العراق الاقتصادي ص ٢١٠ الطبرية ـ تنسب الى طبرستان في ايران ـ والجوارقية تنسب الى جورقان وهي قرب همدان . والبغلية تنسب الى ضراب اسمه رأس البغل .

انظر النقود العربية للاب الكرملي والمقريزي شذور العقود ص ٣ حاشية

ووزن منها دانقا والدراهم المغربية ووزن الدرهم منها ثلاثة دوانق[١] وكان التعامل بالوزن لا بالعدد ذكر البلاذري (ان قريش كانت تزن الفضة بوزن تسميه درهما وتزن الذهب بوزن تسميه دينارا[٢] ، اقر المسلمون هذه النقود ولم يغيروا منها فلما كانت خلافة عمر بن الخطاب ضرب الدرهم على نقش الكسروية وشكلها باعيانها وكان ذلك في سنة ثمان عشرة من الهجرة ويذكر المقريزي ان سبب ضرب عمر لتلك الدراهم ان وفدا من اهل البصرة وفيهم الاحنف بن قيس وفد على عمر وكلمه في مصالح اهل البصرة فبعث عمر معقل بن يسار فاحتفر نهر معقل ووضع الجريب والدرهمين في الشهر فضرب عمر الدراهم وزاد في بعضها (الحمد لله) وفي بعضها (محمد رسول الله) وفي بعضها (لا اله الا الله وحده)[٣] ثم ضرب عمر الدراهم الشرعية وزن كل عشرة دراهم ستة مثاقيل[٤] وكان الدافع الذي دفع عمر الى تحديد وزن الدرهم هو مراعاة احوال دافعي الضرائب والزكاة بخاصة ويذكر الماوردي سببا لتحديد وزن الدرهم الشرعي ان عمر لما رأى اختلاف الدراهم منها البغلي وهو ثمانية دوانق ومنها الطبري وهو اربعة دوانق ومنها المغربي وهو ثلاثة دوانق ومنها اليمني وهو دوانق قال انظروا الاغلب مما يتعامل به الناس من اعلاها وادناه فكان الدرهم البغلي والطبري فجمع بينهما فكان اثني عشر دانقا فاخذ نصفها فكان ستة دوانق فجعل الدرهم الاسلامي في ستة دوانق[٥] الا ان ضرب عمر للدراهم الشرعية لم يكن مانعا لضرب الدراهم الاخرى على اوزانها المختلفة وعليها كتابات عربية فهلوية وعربية يونانية[٦] ثم

---

(١) الماوردي ـ الاحكام السلطانية ص ١٤٩
(٢) البلاذري ـ فتوح البلدان ص ٤٥٢
(٣) المقريزي ـ شذور العقود ص ٥
(٤) المقريزي ـ شذور العقود ص ٥
(٥) الماوردي ـ الاحكام السلطانية ص ١٤٩
(٦) الدوري ـ تاريخ العراق الاقتصادي ص ٢١١

ضربها بعد عمر الخليفة عثمان بن عفان ونقشها (الله اكبر)[١] وضربها معاوية بن ابي سفيان بتأثير عامله على العراق زياد بن ابي سفيان حيث ضربها هو ايضا وجعل وزنها انقص من وزن الدراهم التي ضربها عمر بن الخطاب وسميت السود الناقصة[٢] كذلك ضربها مصعب بن الزبير امير العراق من قبل اخيه عبدالله وجعل كل عشرة دراهم سبعة مثاقيل واعطاها الناس في العطاء حتى قدم الحجاج بن يوسف الثقفي من قبل عبدالملك بن مروان فجمعها واذابها[٣] وضرب الدراهم بامر من الخليفة عبدالملك سنة ٧٦ هـ وكان عبدالملك قد أمر بسك نقود عربية وكتب الحجاج على تلك الدراهم التي ضربها بسم الله الحجاج ثم كتب عليها بعد سنة (الله احد الله الصمد) فكره ذلك الفقهاء فسميت مكروهة[٤] .

أمر عبدالملك الحجاج ان يمنع الناس من تداول الدراهم الاخرى باقناع الناس بجلب الدراهم الى دار الضرب لطبعها من جديد[٥] . رمى عبدالملك من تعريبه النقود الى أن يستكمل سيادة الدولة بالقضاء على احتكار الاجانب لهذه الناحية المهمة وكان تعريب النقد بداية لتعريب الدواوين وبذلك كان عبدالملك اول من ضرب النقود الرسمية عربية مستقلة في الاسلام[٦] .

ضرب الامراء الذين توالوا امر العراق بعد الحجاج الدراهم واهتموا بتجويدها فلما ولي عمر بن هبيرة امر العراق ليزيد بن عبدالملك خلص الفضة ابلغ تخليص وجود الدراهم . فاشتد في الغيار ثم ولي خالد بن عبدالله القسرى العراق لهشام بن عبدالملك فاشتد في النقود اكثر من شدة

---

(١) المقريزي ـ شذور العقود ص ٥
(٢) المقريزي ـ شذور العقود ص ٥
(٣) المقريزي ـ شذور العقود ص ٦
(٤) البلاذري ـ فتوح البلدان ص ٤٥٤
(٥) المقريزي ـ شذور العقود ص ٧
(٦) البلاذري ـ فتوح البلدان ص ٤٥٢

بن هبيرة حتى احكم امرها من احكامه ثم ولي يوسف بن عمر الثقفي بعده فافرط في الشدة على الطباعين واصحاب الغبار وقطع الايدي وضرب الابشار فكانت الهبيرية والخالدية واليوسفية اجود نقود بني امية ولم يكن المنصور يقبل في الخراج من نقود بني امية غيرها[١] ٠

اتخذ الولاة مراكز عديدة لضرب النقود وسكها في انحـاء العراق حتى تولى هشام بن عبدالملك الخلافة فأمر عامله على العراق خالد بن عبدالله القسري سنة ١٠٦هـ أن يبطل السكة من كل بلد الا واسطا فضربت الدراهم في واسط فقط واستمرت واسط مركز لضرب النقود بعد خالد حتى خلافة مروان بن محمد آخر خلفاء بني امية فامر ان تضرب الدراهم في الجزيرة بحـران[٢] ٠

حرص الخلفاء والامراء على ان يجعلوا ضرب النقود تحت اشـراف الدولة ومنعوا الناس من ضربها على غير سكة السلطان ذكر البلاذري ان عبدالملك بن مروان اخذ رجلا يضرب على غير سكة المسلمين فاراد قطع يده ثم ترك ذلك وعاقبه[٣] وعاقب عمر بن عبدالعزيز رجلا ضرب النقود على غير سكة السلطان فسجنه واخذ حديده وطرحه في النار[٤] كما حرصوا على سلامتها وعاقبوا على الزيف فيها وكسرها فقد اخذ مروان بن الحكم رجلا يقطع الدراهم فقطع يده[٥] ٠

يتضح مما تقدم ان النقود الاسلامية في العراق مرت بمراحل عـدة حتى تم تعريبها في عهد عبدالملك بن مروان وبذلك خلصت الدولة الاسلامية من كل احتكار اجنبي وبخاصة بعد ان عربت الدواوين ٠

---

(١) البلاذري ـ فتوح البلدان ص ٤٥٤
(٢) البلاذري ـ فتوح البلدان ص ٤٥٥
(٣) البلاذري ـ فتوح البلدان ص ٤٥٥
(٤) البلاذري ـ فتوح البلدان ص ٤٥٥
(٥) البلاذري ـ فتوح البلدان ص ٤٥٦

النظـام القضـائي

رافقت عملية الفتح العربي للعراق وضع الاسس الاولى لادارتـه وتنظيم اموره وقد اوجد العرب نظاما قضائيا يستند على الشريعة الاسلاميـة يخص المسلمين وحدهم اول الامر فكان اول قاض في العراق سليمان بن ربيعـة الباهـلي ثم شهـد القادسية وكـان قاضيها ثم قضي بالمدائن ثـم عزله عمر[1] .

كان عمل القاضي اول الامر قسمة الغنائم بين المسلمين فلما استقر المسلمون في امصارهم اصبح للقاضي وظائف اخرى هي الفصل بين الناس في الخصومات حسما للتداعي وقطعا للتنازع[2] والنظر في المسائل الشرعية كالزواج والطلاق والعناية بالايتام وانواع العقود[3] .

لم يقتصر عمل القاضي على حسم التنازع بين المسلمين فقط بـل تعدى الى غير المسلمين وكان القاضي يتخذ المسجد محلا لجمع الخصـوم والنظر في الاحكام .

كان القضاة على عهد الخلفاء الراشدين يعينون من قبل الخلفـاء باعتبار ان القضاء من وظائف الخلافة ومندرجا من عمومها[4] ومن قضاة العراق في عهد الخلفاء الراشدين شريح القاضي الذي ولاه عمر بن الخطاب سنة ١٨ هـ وبقي في منصبه حتى سـنة ٧٨هـ وكعب بن سـوار الازدي وابو موسى الاشعري وعبدالله بن مسعود وعمير بن يثرب الضبي فكـان القضاة على عهد الخلفاء الراشدين مستقلين عن الولاة يتلقون اوامرهم من الخليفة مباشرة . أما في العصر الاموي فقد اختلف الحال واصبح امـراء

---

(١) ابن قتيبة ـ عيون الاخبار جـ ١ ص ٦١

(٢) ابن خلدون ـ المقدمة ص ٢٢٠

(٣) ديموبين ـ النظم الاسلامية ص ٢٠٣

(٤) ابن خلدون ـ المقدمـة ص ٢٢٠

العراق الذين يختارون القضاة ويعزلونهم ويرتبون لهم ارزاقهم هذا التغير نتج عن موقف العراق المعارض للدولة الاموية وسماح خلفاء بني امية للامراء بحرية واسعة لادارته ولكن ذلك لا يعني ان الخلفاء كانوا بعيدين عن تعين القضاة • من الامثلة على تعين القضاة من قبل الامراء ان زياد بن ابي سفيان اخرج شريحا معه الى البصرة واستقضي مكانه على الكوفة مسروق الاجدع سنة ٥٠ حتى قدم شريح[١] وكان عبيدالله بن زياد قد استقضى بعد موت عميره بن يثرب الضبي هشام بن هبيرة سنة ٥٩ هـ[٢] واعفي الحجاج شريحا عن القضاة وولي القضاء ابو بردة بن ابي موسى الاشعري والزمه سعيد بن جبير كاتبا ووزيرا سنة ٧٨ هـ[٣] واستقضي خالد القسري بلال بن ابي برده سنة ١١٠ هـ •

أما الخلفاء فقليلا ما كانوا يعينون القضاة فقد استقضى عبدالملك بن مروان عامر الشعبي على قضاء البصرة[٤] ومن الخلفاء من كان يرشح اكثر من شخص ويدع أمر تعين احدهم الى الامير بعد أن يأخذ رأي الناس فيهم فقد رشح عمر بن عبدالعزيز اياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة لقضاء البصرة وامر عامله عدي بن ارطاة ان يأخذ رأى الناس فيهم ويعين احدهم فولى عدي اياس بن معاوية[٥] •

يتضح مما تقدم ان القضاة في العراق كانوا خاضعين لسلطان الامراء يعينون ويعزلون من قبلهم • ومع ان مركز القضاة كان متعلقا بامير المصر الا انهم كانوا اكثر استقرارا في مناصبهم لا يؤثر عليهم تغير الامراء أو الخلفاء فكان هشام بن هبيرة قد ولي القضاء سنة ٥٩ هـ على عهد عبيدالله

---

(١) ابن قتيبة ــ عيون الاخبار جـ ١ ص ٦١
(٢) ابن قتيبة ــ عيون الاخبار جـ ١ ص ٦٢
(٣) الطبري ــ الامم والملوك جـ ٨ ص ٢٠٤
(٤) ابن عبد ربه ــ العقد الفريد جـ ١ ص ١٥
(٥) المبرد ــ الكامل في الادب جـ ٢ ص ٣٦٥

بن زياد وبقي في منصبه ثمان عشر سنة وعمل مع امراء مختلفين منهم من كان تابعا للدولة الاموية ومنهم من كان تابعا لعبدالله بن الزبير ثم عمل ثانية مع امراء الدولة الاموية كذلك كان عبدالرحمن بن اذينة فقد ولي القضاء في البصرة ثمان عشرة سنة وعمل مع ولاة مختلفين[1] وكان بلال بن ابي بردة قد ولي قضاء البصرة عشر سنين أما اطول هؤلاء القضاة بقاء فهو شريح بن الحارث الكندي وكان يسمى شريح العراقي أو شريح القاضي فقد ولي القضاء لعمر بن الخطاب وبقي في منصبه حتى ولاية الحجاج ولما طلب من الحجاج اعفاءه سنة ٧٨هـ لم يعفه الا بعد أن اختار له من يخلفه على قضاء الكوفة[2] عاصر شريح الخلفاء الراشدين وخلافة عدد من خلفاء الدولة الاموية الا انه لم يتعاون مع المختار الثقفي الذي ثار في الكوفة سنة ٦٧هـ ولم يجبره المختار على تولي القضاء وولي محله عبدالله بن عتبة بن مسعود ثم مرض فولى المختار مكانه عبدالله بن مالك الطائي[3] • ومن القضاة الاخرين الذين بقوا في منصب القضاء مدة طويلة ابو بردة بن موسى الاشعري من سنة ٨٧ هـ - ٩٨ هـ وحسين بن الحسن الكندي قضى ثلاث عشرة سنة من سنة ١٠٧ - ١١٩ هـ • ولما كان هؤلاء القضاة تابعين للولاة الا انه لم يحدث أن عزل قاضي مع الوالي الذي عينه الا بعد ان تولى يوسف بن عمر امارة العراق سنة ١٢٠ هـ بعد عزل خالد القسري فقد استقضى يوسف بن عمر ابن شبرمة وعزل حسين بن حسن الكندي •

من الامور الاخرى التي انفرد بها بعض قضاة العراق توليهم امارة المصر مع وظيفة القضاة فقد ولي منبر البصرة اربعة من القضاة فكانوا قضاة

---

(١) راجع الملحق الخاص باسماء الولاة والقضاة في العصر الاموي •
(٢) ابن قتيبة - عيون الاخبار ج ١ ص ٦٢
(٣) ابن الاثير - الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٣٦٤

امراء وهم بلال بن ابي بردة وسوار وعبدالله واحمد بن ابي رياح[1] وجمع خالد القسري لبلال بن ابي بردة الصلاة والقضاء والشرطة والاحداث وعزل عنهما ثمامه بن عبدالله بن انس عن القضاء[2] .

حظي القضاة باحترام الناس ورجال الدولة لما لهذه الوظيفة من المكانة السامية وكان القاضي لا يرضى لاحد التدخل في اعماله ولم يحدث ان تدخل احد الامراء في اختصاصه بل على العكس كان القاضي يتدخل لرد الامير فيما اذا خالف الشرع الاسلامي فقد خالف القاضي خالد القسري ومنعه من حد أحد رجال ابن هبيرة مرتين[3] كما كان يوجب على الناس احترام مكانة القاضي وكان القاضي لا يفرق بين زعيم أو صغير كما حدث للاشعث بن قيس وهو من زعماء الكوفة مع شريح القاضي ، دخل الاشعث على شريح القاضي وهو في مجلس الحكم فقال له شريح مرحبا واهلا بشيخنا وسيدنا واجلسه معه بينما هو جالس معه اذ دخل رجل يتظلم من الاشعث فقال له شريح قم فاجلس مجلس الخصم وكلم صاحبك قال الاشعث بل اكلمه من مجلسي فقال شريح لتقومن أو لامرن من يقيمك[4] كذلك كان للقاضي ان يقتص من الذي يحقره وهو في مجلس القضاء أو يطعن في حكمه ضرب الشعبي رجلا تحاكم مع امرأة جميلة واتهمَ الرجلُ الشعبي بالميل اليها لجمالها فما كان من الشعبي الا ان ضربه ضربا مبرحا[5].

الا ان القضاة لم يكونوا كلهم على شاكلة شريح والشعبي بل كان منهم ضعفاء الشخصية ويدارون زعماء المصر ، ذكر المبرد ان رجلا نصرانيا

---

(١) الجاحظ ـ البيان والتبين جـ ١ ص ٩٤

(٢) الطبري ـ الامم والملوك جـ ٨ ص ٢٠٣

(٣) الطبري ـ الامم والملوك ج ٨ ص ١٧٦ واظنه الحسين بن الحسن القاضي .

(٤) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد جـ ١ ص ٤٩

(٥) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد جـ ١ ص ٥٠

اختلف الى ابي دلامة مولى بني اسد يتطبب لابن له فوعده ان براه على يديه ان يعطيه الف درهم فبرأ ابنه فقال للمتطبب ان الدراهم ليست عندي ولكن والله لاوصلنها اليك ادع على جاري فلان بالدراهم فانه موسر وانا وابني نشهد لك فليس دون اخذها شيء فصار النصراني بالجار الى شبرمة فسأله البينة فطلع عليه ابو دلامة وابنه ففهم القاضي فلما جلس بين يديه قال ابو دلامة :

ان الناس غطوني تغطيت عنهم وان يحثوني كان فيهم مباحث
وان حفروا بئري حفرت بأرهم ليعلم قوم كيف تلك النبائث

فقال ابن شبرمة من الذي يحثك ابا دلامة ثم قال للمدعي عرفت شاهديك فخل عن خصمك وروح العشية الى فراح اليه نغرمها من ماله[1].
كذلك حدث لاياس بن معاوية المزني قاضي البصرة فقد خاصم اليه رجل رجلا في دين فطلب منه البينة فلم يأته بمقنع فقيل للطالب استجرو كبع بن ابي اسود يشهد لك فأن اياس لا يجترى على رد شهادته ففعل فقال له وكبع والله لاشهدن فان رد شهادتي لاعممنه بالسيف فلما طلع وكبع فهم القاضي عنه فاقعده الى جانبه ثم سأله عن حاجته فقال جئت شاهدا فقال له اياس يا ابا المطرف اتشهد كما تفعل الموالي والعجم انت تجل عن هذا فقال اذن والله لا اشهد فقيل لوكبع ان خدعك فقال اولى لابن اللخناء[2]
نخرج من هذا ان مركز القاضي واحترام الناس له يتوقف على قوة شخصيته ومكانته في المصر .

ومع اتصاف القاضي بالنزاهة ومراعاة العدل الا ان بعضهم ظهر منه الجور في الاحكام وقبول الرشوة ، استعمل الحجاج المغيرة بن عبيدالله الثقفي على الكوفة فكان يقضي بين الناس فاهدى اليه رجل سراجا من شبه وبلغ

(١) المبرد ـ الكامل في الادب جـ ١ ص ٢٦٤
(٢) المبرد ـ الكامل في الادب ـ جـ ١ ص ٢٦٤

ذلك خصمه فبعث اليه ببغله فلما اجتمعا عند المغيرة جعل يحمل على صاحب السراج وجعل صاحب السراج يقول ان امرى اضواء من السراج فلما اكثر عليه قال ويحك ان البغلة رمحت السراج فكسرته[1] واشتهر قاض آخر بالجور بالاحكام وكان يقال ان اول من اظهر الجور في القضاء في الحكم بلال بن ابي بردة[2] •

كان القضاة يعقدون مجالسهم في المسجد الجامع في البصرة والكوفة ولم يحدث ان ولي القضاء في العراق رجل واحد طيلة العصر الاموي ولم يقتصر وجود القضاة في البصرة والكوفة بل كان قضاة في بعض المدن الاخرى فكان ابو شيبة قاضي واسط[3] كما كان في المدن الاخرى قضاة ذكر صاحب العقد الفريد ان الحجاج ولي يحي بن يعمر قضاء بلده لما احسن اليه الجواب[4] •

استمد القضاة احكامهم من القرآن والسنة والاجتهاد والرأي أو القياس والرأي معناه بانه ما يراه القلب بعد فكر وتأمل وطلب لمعرفة وجه الصواب وكان العراق موطن مدرسة الرأى ويرجع ذلك الى اسباب ثلاثة كما يقول احمد امين •

اولا - تأثير عبدالله بن مسعود وميله الى الرأى يشارك فيه استاذه عمر بن الخطاب •

ثانيا - ما ذكر ابن خلدون من ان الحديث كان في العراق قليلا وكان اكثر رواة الحديث في الحجاز لانه موطن الرسول وكبار الصحابه •

ثالثا - ان العراق قطر ممدن فقد تأثر الى درجة كبيرة بالمدينة الفارسية

(١) ابن قتيبة - عيون الاخبار جـ ١ ص ٥٢
(٢) المبرد - الكامل في الادب جـ ١ ص ٢٦٨
(٣) الجاحظ - البيان والتبين جـ ٢ ص ٢٢٢
(٤) ابن عبد ربه - العقد الفريد جـ ١ ص ٢٤٧

واليونانية والمدنية تضع تحت اعين المشرع جزئيات كثيرة تحتاج الى التشريع لا يقاس بها القطر البدوي وما في حكمه فاذا انظم الى ذلك ما وصل اليهم من الحديث انتج ذلك لا محالة اعمال الرأي(١) .

ويظهر ذلك واضحا ما كتب به عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري (الفهم الفهم فيما تجلج في صدرك مما ليس في كتاب الله تعالى ولا سنة نبيه ثم اعرف الامثال والاشياء وقس الامور بنظائرها)(٢) وهذا دليل على ان قضاة العراق قد اعملوا الرأى منذ البداية وكان من نتيجة ذلك ظهور مدرسة الرأي في العراق التي تزعمها ابو حنيفة النعمان بن ثابت.

اختير القضاة في العصر الاموي من العرب وقد حاول الحجاج تولية سعيد بن جبير قضاء الكوفة فعارضه العرب وقالوا لا يصلح للقضاء الا عربي(٣) واشترط في القاضي ان يكون عالما بعلوم القرآن والحديث وان يتصف بالعدالة وهي ان يكون صادق اللهجة ظاهر الامانة عفيفا عن المحارم متوقيا المآثم بعيدا عن الريب مأمونا في الرضا والغضب مستعملا لمرؤة مثله في دينه ودنياه(٤) .

ولما كانت هذه الشروط صعبة التحقيق فقد كره كثير من الفقهاء تولي منصب القضاء ذكر صاحب العقد الفريد قال (طلب ابو قلابة لقضاء البصرة فهرب الى الشام فاقام حينا ثم رجع فقيل له لو انك وليت القضاء وعدلت كان لك اجران قال اذا وقع السابح في البحر فكم عسي أن يسبح)(٥) وعن ابن سيرين قال (كنا عند ابي عبيدة بن ابي حذيفة

---

(١) احمد امين ــ فجر الاسلام ص ٢٤١
(٢) الماوردي ــ الاحكام السلطانية ص ٦٨
(٣) المبرد ــ الكامل في الادب ج ١ ص ٢٩٧
(٤) الماوردي ــ الاحكام السلطانية ص ٦٢
(٥) ابن عبد ربه ــ العقد الفريد ج ١ ص ١٤ وابو قلابة اسمه عبدالله بن زيد .

في قبة وبين يديه كانون له فيه نار فجاءه رجل فجلس معه على فراشه فساره بشيء لا ندري ما هو فقال له ابو عبيدة ، ضع لي اصبعك في هذه النار فقال له الرجل سبحان الله اتأمرني ان اضع لك اصبعي في النار فقال له ابو عبيدة اتبخل علي باصبع من اصابعك في نار الدنيا وتسئلني ان اضع لك جسدي كله في نار جهنم قال فظننا انه دعاه الى القضاء[1] .

كان للقاضي من يعاونه في اصدار احكامه كالذي حدث بعد تخلي شريح القاضي عن القضاء واختياره لابي بردة بن ابي موسى الاشعري فولاه الحجاج قضاء الكوفة وعين سعيد بن جبير مساعدا له كما كان له كاتب يكتب بين يديه ليدون اقوال الخصوم والشهود ذكر ابن قتيبة ان رجلا شهد عند سوار في دار قد ادعاها رجل فقال اشهد انها له من الماء الى السماء وشهد آخر فقال سوار للكاتب اكتب شهادتهما فقال اي شيء اكتب فقال كل شيء يخرج الدار من يد هذا ويجعلها في ملك هذا فاكتبه[2] .

رتب للقضاة رواتب شهرية فكان رزق سلمان بن ربيعة الباهلي خمسمائة درهم في الشهر وكان راتب شريح القاضي مائة درهم على عهد عمر بن الخطاب وقد زاد راتبه الى خمسمائة درهم في الشهر على ايام علي بن ابي طالب[3] .

عني القضاة بالشهود وكانوا يتحرون عن الذين يشكون في شهادتهم ويحق للمدعي أو المدعي عليه أن يطلب الى القاضي التحري عن الشهود وحسن سيرتهم بين الناس[4] شهد رجل من جلساء الحسن البصري بشهادة عند اياس فرد شهادته فشكاه الرجل ذلك الى الحسن فاتاه الحسن

(١) ابن قتيبة ـ عيون الاخبار جـ ١ ص ٦٥
(٢) ابن قتيبة ـ عيون الاخبار جـ ١ ص ٦٩
(٣) علي ـ الادارة العربية ص ٦٣
(٤) المبرد ـ الكامل في الادب جـ ١ ص ٢٦٥

فقال يا ابا وائلة لم رددت شهادة فلان فقال يا ابا سعيد ان الله تعالى يقول فمن ترضون من الشهداء وليس فلان ممن ارضى[1] وذكر المبرد ايضا ان رجلا تقدم الى سوار يدعي دارا وامرأة تدافعه وتقول لسوار انها والله خطة ما وقع فيها كتاب قط فاتى المدعي بشاهدين يعرفهما سوار فشهدا له بالدار وجعلت المرأة تنكر انكارا يعضده التصديق وقالت سل عن الشهود فان الناس يتغيرون فرد المسألة فحمدا الشاهدين فلم يزل يريث امورهم ويسأل الجيران عنهم[2] .

واخيرا نذكر ان من حق القاضي تعيين مقايس الذراع كما فعل بلال بن ابي بردة بن ابي موسى الاشعري وكان من عمله ايضا انه كان يعاقب من يكسر الدرهم عقابا شديدا[3] الى جانب القاضي كان موظف آخر يقوم على ديوان المظالم نيابة عن امير المصر ذكر الشعبي قال لما ولي بشر بن مروان الكوفة كنت على مظالمه[4] .

والخلاصة ان النظام القضائي في العراق تطور بمرور الزمن فظهر الاختصاص القضائي وانتشر القضاة في المدن والقرى وظهر منصب قاضي القضاة في العصر العباسي ذلك المنصب الذي يخول صاحبه الاشراف على قضاة الدولة وتوجيههم .

والناحية المهمة الاخرى ظهور المدرسة العراقية وهي مدرسة الرأى الذي تزعمها ابو حنيفة ٨٠ ـ ١٥٠ هـ تلك المدرسة التي وضع اسسها الاولى قضاة العراق في العصر الاموي .

---

(١) المبرد ـ الكامل في الادب جـ ١ ص ٢٦٤
(٢) المبرد ـ الكامل في الادب جـ ١ ص ٢٦٥
(٣) الماوردي ـ الاحكام السلطانية ص ١٥١
(٤) الاصفهاني ـ الاغاني جـ ٢ ص ٢٤٢

النظـام الحـربي

الجيـــش :

عنى العرب عناية خاصة بأمور الجند وتهيأتهم لكل مناسبة تحتـاج فيها الدولة للدفاع أو الهجوم • كان من تأثير الدين الاسلامي وبثه فيهم تلك الروح العالية وترغيبه اياهم على الجهاد في سبيل الله ونشر كلمة الحق والعدل وتشجيع الخلفاء من أهم العوامل التي دفعت العرب للانخراط في صفوف الجيوش المنطلقة من انحاء الجزيرة العربية الى ما جاورها مـن الاقطار والامصار سعيا وراء نشر الدين الجديد وانقاذ الناس من الضلالة الى الهدى ومن الظلمات الى النور •

فتح العرب العراق وانتهوا من فتحه في عام (٢٠)هـ بعد معركـة نهاوند تلك المعركة التي كانت آخر امل للفرس لاسترجاع العراق وقـد قضي العرب فيها على ذلك الامل الذي حاول الفرس تحقيقه •

مصر العرب بعد أن تم لهم فتح العراق المصرين الكبيرين الكوفـة والبصرة ليكونا معسكرين للجيوش العربية ومركزين لانطلاق تلك الجيوش نحو الفتح في بلاد فارس وخراسان وغيرها من الاصقاع فكانت بمثابـة محطات استقبال تستقبل القبائل العربية الاتية من الجزيرة العربية لتشارك غيرها من القبائل في اعمال الفتوح مما ادى الى استقرار كثير منها في تلك المناطق البعيدة •

كانت الجيوش في عصر الراشدين من العرب فقط ولم يشترك سكان العراق الاصليين في اعمال الفتوح لحداثة عهدهم في الاسلام أو لانهـم لم يكونوا قد دخلوا في الدين الجديد كذلك لكونهم شعبا مغلوبا فلم ير المسلمون حاجة للاستعانة بهم أو اجبارهم على الاشتراك في عملية الفتـح

تلك العملية التي كانت تحمل معها مبادىء الدين الجديد كما ان العرب لم يروا حاجة للاستعانة بهم ما داموا يرون الاعداد الكثيرة من العرب تتزاحم على الاشتراك في تلك الجيوش .

احتفظ الخلفاء الاولون بهذه الجيوش على اهبة الاستعداد للحرب متى دعت الحاجة الى ذلك ولم يكن هذا الاحتفاظ بهذه الجيوش في معسكرات خاصة وتحت تنظيم حربي منظم كالذي نعرفه الآن انما احتفظوا بهم في تلك الامصار وقد حرموا عليهم الاشتغال بأية حرفة زراعية كانت أو تجارية أو امتلاك أرض لئلا يركنوا الى الكسل ويسيطر عليهم حب النعيم ، فكان عمر بن الخطاب اول من وضع ديوان الجند أو ديوان العطاء وفرض للمسلمين ارزاقا سنوية لهم ولذريتهم تعويضا لهم عن الاشتغال بالمهن الاخرى فكان في كل مصر ديوان لتسجيل اسماء الجند واعطياتهم[١] .

تعرض هذا النظام لتغيرات هامة في العصر الاموي نتج عن موقف العراقيين المعارض للدولة الاموية وسعي الامويين للاحتفاظ بسلطانهم على العراق وتسخير العراقيين في اعمال الفتوح التي كانت تقوم بها الدولة الاموية في الشرق وتمكين سلطانهم على تلك البقاع فكان لزاما على الامويين لتمكين سلطانهم في العراق أن يضعوا قوات شامية لتقضي على معارضة العراقيين وثوراتهم فكان هؤلاء الجند من المرتزقة يستلمون رواتب شهرية فكان راتب الجندي الشامي مائة درهم في الشهر يدفعها الحجاج[٢] وفي ولاية خالد بن عبدالله القسري على العراق بني اسواقا وجعل لاهل كل بياعة دارا وطاقا وجعل غلالها للجند وكان ينزل الكوفة من الجند الشامي عشرة آلاف[٣] . وضع الجند الشامي في العراق ليكونوا في يد الامير وتحت امرته وليساعدوه على تمكين سلطان الدولة على هذا المصر الشديد المراس الا انهم

---

(١) الجيهشاري ـ الوزراء والكتاب ص ٣٨
(٢) الطبري ـ الامم والملوك ج ٨ ص ٤٠
(٣) اليعقوبي ـ البلدان ص ٣١١

كانوا في نفس الوقت بعيدين عن الاشتراك في السياسة فلم يحدث أن ناصر هؤلاء الجندا احدا من الامراء ووقفوا معه ضد أمير آخر متحدين اوامر الخليفة في دمشق فكان اكثر الولاة يأتون الى العراق وليس معهم قوات عسكرية فاذا ما وصلوا واعلنوا توليهم أمر العراق وعزل الامير السابق انظم اليهم قواد الجيوش ووضعوا انفسهم تحت امرتهم ومن الامثلة على ذلك تولى يوسف بن عمر ولاية العراق من قبل هشام بن عبدالملك وقد قبض على خالد بن عبدالله القسري ومع ما كان يتمتع به من سيطرة تامة على العراق مدة خمسة عشر عاما فلم يتمكن من أن يمنع عن نفسه العزل وغضب هشام وحقد يوسف بن عمر الذي قبض عليه وحبسه وعذبه عذابا اليما ونفذ الجند أمر يوسف بن عمر كما نفذوا اوامر خالد القسري من قبل ، كذلك حاول يوسف بن عمر ان يستغل الجند ويثيرهم ليقفوا معه ضد الخليفة يزيد بن الوليد حتى كان يخلو بالرجل بعد الرجل من المضرية فيقول له ما عندك ان اضطرب حبل أو انفتق فتق فيقول له انا رجل من أهل الشام ابايع من بايعوا وافعل ما فعلوا فلم ير عندهم ما يحب •

يتضح من هذا ان الجند الشامي في العراق كانوا لا يتدخلون ولا يعارضون في أمر عزل الوالي وتولية غيره فهم يتبعون السلطة العليا لا الاشخاص •

أما اهل العراق من عرب الكوفة والبصرة فقد وقع عليهم العبء الاكبر في اعمال الفتوح واستغلهم ولاة الدولة لتثبيت سلطانها على تلك البقاع وليتخلصوا من شرهم ومن ثوراتهم في ابعادهم عن امصارهم فقد أمر معاوية بن ابي سفيان عامله على العراق زياد بن ابيه ان يرسل العراقيين في البعوث البعيدة وجمع زياد جيشا بلغ عدده خمسون الفا خمسة وعشرون الفا من اهل الكوفة وخمسة وعشرون الفا من اهل البصرة ، وكان زياد قد نظم البصرة والكوفة وقسمها الى قطعات قبلية فقسم الكوفة الى اربعة

اقسام بدلا من سبعة اقسام كما كانت سابقا وقسم البصرة الى خمسة اقسام ، كانت الغاية من هذا التقسيم هو ان يسهل حشر المقاتلة وفقا للقيادات والتعبئة عند النفير والخروج للجهاد في المواسم ثم توزيع الغنائم والاعطيات بعد العودة من قبل رؤوس القطعات القبلية لذلك لم يكن تقسيم الكوفة والبصرة محلات بلدية بل قطعات قبلية بالنسبة الى النسب والحلف .

تابع ولاة العراق الذين جاءوا بعد زياد هذه السياسة في تشكيل الجيوش وارسال العراقيين في البعوث البعيدة وقد اجبروهم على الخروج وظهر التجنيد الالزامي والسبب في ذلك ان تغلب الحزب الاموي وظهور احزاب مناوئة لهم جعل اكثر الناس يرون انه لم يعد هنالك ما يدفعهم الى الحرب طوعا فجعلوا يتقاعدون فاضطر الخلفاء الى التجنيد الالزامي واول من فعل ذلك الحجاج بن يوسف الثقفي على عهد عبدالملك بن مروان[1] ونرى الحجاج يأمر العراقيين الى محاربة الخوارج واوعدهم في خطبته الاولى التي القاها في الكوفة في اليوم الاول لوصوله بالقتل لمن يتأخر عن الخروج كذلك ارسل ابن الاشعث في جيش الطواويس وقد أمر الحجاج ابن الاشعث ان يأمر افراد ذلك الجيش بحرث الارض وزرعها والاقامة فيها حتى يكملوا فتحها ، ولم يكتف الحجاج بفرض التجنيد الالزامي على القادرين بل تعدى الى الاحداث والصبيان فقد ضرب البعث على المحتلمين ومن انبت من الصبيان فكانت المرأة تجيء الى ابنها وقد جرد فتضمه اليها وتقول بأبي جزعا فسمي ذلك الجيش جيش (بابي)[2] .

اثارت هذه السياسة العراقيين ودفعتهم الى الثورة على الحجاج لاخراجه من العراق فكانت ثورتهم مع ابن الاشعث اوضح مظهر لمحاولتهم تلك واضاف الحجاج الى هذه السياسة ان انقص من عطاء العراقيين متبعا

---

(١) زيدان ــ التمدن الاسلامي ج ١ ص ١٤٥

(٢) الاصفهاني ــ الاغاني ج ٤ ص ٢٩٤

سياسة الخليفة عبدالملك الذي كان يقطع العطاء عمن يشاء[١] وكان انقاص عطاء العراقيين وحرمانهم منه في اغلب الاحيان سياسة سار عليها اكثر خلفاء الدولة الاموية وولاتهم على العراق حتى عمر بن عبدالعزيز الذي زاد في عطاء الشاميين عشرة دنانير ولم يزد في عطاء العراقيين[٢] وكان عطاء الرجل من الثلثمائة الى الاربعمائة في السنة[٣] .

لم تكن الجيوش العراقية في العهد الاموي عربية خالصة كالذي كان على عهد الخلفاء الراشدين فقد اشترك الموالي واهل الذمة مع العرب في تلك الجيوش فكان في جيوش الشرق عند تولي عمر بن عبدالعزيز الخلافة عشرون الفا من الموالي يحاربون بدون عطاء ومثلهم من اهل الذمة يؤخذون بالخراج[٤] .

واخيرا يجدر بنا ان نذكر ان تجهيز الجيوش بالدواب والسلاح كان يقع عبئه على الدولة فكانت الدواب تختم بختم الدولة ويكتب على افخاذها (عدة)[٥] كما كان السلاح يختم بختم خاص[٦] . وكان تجهيز الجيوش يكلف الدولة مبالغ كبيرة فقد بلغ ما صرف على جيش الطواويس الذي ارسله الحجاج لمحاربة رتبيل ملك الترك بقيادة عبدالرحمن بن الاشعث مليون درهم عدا اعطيات الجند وارزاقهم[٧] . أما الاسطول البحري فلم يحض بعناية الخلفاء أو الولاة كما حظي الاسطول العربي في البحر الابيض المتوسط اذ لم يكن ثمة خطر يهدد سواحل العراق الجنوبية من ناحية الخليج الفارسي كالخطر الذي كان يهدد سواحل الشام ومصر الناجم عن وجود اسطول بزنطي قوي سعي لاسترجاع تلك البلاد من ايدي العرب .

---

(١) البلاذري ــ فتوح البلدان ص ٤٤٥
(٢) اليعقوبي ــ التاريخ ج ٣ ص ٤٨
(٣) ابو يوسف ــ الخراج ص ٤٤
(٤) الطبري ــ الامم والملوك ج ٨ ص ١٣٤
(٥) ابن عبد ربه ــ العقد الفريد ج ١ ص ٧٦
(٦) الطبري ــ الامم والملوك ج ٦ ص ٩٤
(٧) الطبري ــ الامم والملوك ج ٨ ص ٥

تعريب العراق

سكان العراق قبل الفتح • الفتح الاسلامي وأثره • موقف أهل العراق من عملية الفتح • موقف العرب من السكان الاصليين • السياسة المالية • القبائل العربية في العراق • تمصير الكوفة والبصرة • عملية المزج والاختلاط •

توطئة :

تداولت على ارض العراق أمم مختلفة منذ فجر التاريخ فقد استقبلت ارضه عددا من الموجات السامية الآتية من الجزيرة العربية فكان لغناه وخصب أرضه ووفرة مياهه أثر في جذب سكان الجزيرة اليه تدفعهم الرغبة الى تحسين احوالهم الاقتصادية والمعاشية وللتخلص من شظف العيش الذي كانوا يلاقونه في براري الجزيرة • كما استقبلت اقواما من العناصر الآرية كالسومريين والعلاميين والفرس والكيشيين واليونانيين فتضافرت جهود هذه الاقوام على انشاء حضارة ان لم تكن الاولى من حضارات البشر فانها من الحضارات القديمة التي كانت اساسا لقيام الحضارات الانسانية قديما وحديثا •

خضع العراق لدول متعددة بعد أن فقد استقلاله السياسي بدخول الفرس الفرثيين في القرن السابع قبل الميلاد بان قضوا على مملكة الكلدانيين • ولم يكن لهؤلاء تأثير حضاري على سكان العراق اذ كان العراقيون اسبق منهم في الحضارة واكثر تقدما ولكنهم مع ذلك تأثروا ببعض مظاهر الحياة الفارسية • ثم دالت دولة الفرثيين بأن قضى عليها الاسكندر

الاكبر فخضع العراق لتأثير الحضارة الهيلينية ثم خضع العراق أخيرا قبل الفتح الاسلامي للدولة الساسانية الفارسية التي انشأها اردشير بن بابك في القرن الثالث الميلادي فخضع العراق مرة ثانية للفرس ولتأثير الحضارة الفارسية • من هنا يتضح ان العراق قبل الفتح الاسلامي خضع لمؤثرات سياسية واجتماعية وثقافية عديدة كما انتشرت في ارجائه اديان عديدة وثنية واديان سماوية فانتشرت المزدكية والزرادشتية والمانوية واليهودية والمسيحية فلما دخل العرب المسلمون ارض العراق فاتحين ومقوضين لدولة الفرس كان يعيش على ارضه أجناس مختلفة تدين باديان عديدة وتتكلم لغات شتى منها العربية والفارسية والآرامية ولما بسط العرب سلطانهم اضمحلت هذه الأديان بانتشار الدين الاسلامي كما سادت العربية غيرها من اللغات فلم يمضي قرن واحد على فتح العراق حتى اصبح الدين الاسلامي دين الاكثرية من سكانه وانتشرت اللغة العربية وحلت محل اللغات الاخرى وتم بذلك قيام شعب عربي مسلم نتج من امتزاج عناصر سكانه بالعرب المهاجرين اليه واصهرت هذه العناصر في بوتقة القومية العربية الاسلامية •

العناصر المكونة لسكان العراق قبل الفتح الاسلامي :

سكنت العراق قبل الفتح الاسلامي عناصر متعددة ابرزها ثلاث (١) النبط (٢) الفرس (٣) العرب مع وجود عناصر اخرى كالاكراد واليهود والاحباش •

١ ـ النبط :

اطلق العرب المسلمون على سكان السواد اسم النبط[١] وهم بقايا سكان العراق القدماء من الكلدان السريان وكان يطلق عليهم قبل الفتح الاسلامي اسم الآراميين[٢] •

---

(١) ابن الفقيه ـ مختصر البلدان ص ٨

(٢) المسعودي ـ التنبيه والاشراف ص ٣٦

كان للآراميين دولة في العراق قبل قيام اردشير بن بابك مؤسس الأسرة الساسانية وقد تمكن هذا من القضاء على آخر ملوكهم المسمى اردوان[١] وخضع العراق للحكم الفارسي وقد اعتبر ملوك الفرس أرض السواد ملكا للدولة وسمحوا لسكانه أن يبقوا في اراضيهم يزرعونها على أن يدفعوا الضرائب التي تفرضها عليهم السلطة الحاكمة فانصرف النبط بكليتهم الى الزراعة يخضعون لاسيادهم من الامراء والدهاقين وارباب الأملاك من الفرس واطلق الفرس عليهم أسم الطبقة العامة تفريقا عنهم باعتبارهم الطبقة الخاصة[٢] .

ولم يكن النبط يشكلون وحدات قومية خاصة بهم بل كان نسبهم يعود الى قراهم التي يسكنونها فاذا سئل احدهم عن نسبه قال من قرية كذا وكذا[٣] .

اعتنق هؤلاء الديانة المسيحية على المذهب النسطوري[٤] (نسبة الى نسطوريوس من مدينة مرعش والمتوفي سنة ٤٥٠م) الذي كان في حماية الدولة الفارسية لمعارضته الكنيسة البيزنطية وقد ساعد اعتناقهم النصرانية على انتشارها بين عرب العراق وبعض القبائل العربية في الجزيرة العربية .

أما لغتهم فكانت اللغة الآرامية احدى اللهجات السامية وقد اصبحت بعد انتشار المسيحية اللغة التي يستعملها رجال الدين في كنائسهم وبذلك انتشرت بين القبائل العربية المتنصرة باعتبارها لغة رجال الكنيسة يرتلون بها صلواتهم وبها يكتبون[٥] .

---

(١) حمزة الاصفهاني ـ التاريخ ص ٦٥
(٢) الطبري ـ تاريخ الامم والملوك جـ ٤ ص ١٧
(٣) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ٢٣٤
(٤) جواد علي ـ العرب قبل الاسلام جـ ٦ ص ٧
(٥) جواد علي ـ العرب قبل الاسلام جـ ٦ ص ٧

كان لخضوعهم للفرس أن تأثروا بالثقافة الفارسية وعرفوا لغة اسيادهم .

الفرس :

انتشر الفرس في انحاء العراق بعد أن خضع للحكم الساساني وازداد انتشارهم بعد أن اتخذ ملوكهم المدائن في قلب السواد عاصمة لهم ولم يقتصر وجودهم على المدائن والمدن الاخرى كالانبار والحيرة وغيرها بل انبثوا في القرى والريف يمتلكون[1] الاراضي ويجبون خراجها فاصبحوا بحكم سيادة دولتهم ملاكا وأرباب اقطاعيات كما كانوا يشكلون الحاميات العسكرية في المدن والقرى وعلى حدود السواد الغربية ليمنعوا عنه الغزاة والطارئين وقد اطلق على مجموعهم اسم الطبقة الخانة تمييزا لهم عن النبط الا وهم الطبقة العامة .

اعتنق اكثر الفرس الديانة المجوسية ولم يحاولوا أجبار الناس على اعتناقها لعدهم هذه الديانة خاصة بهم فلم يهمهم دخول احد فيها[2] أما لغتهم الفارسية فقد انتشرت بين سكان العراق من نبط وعرب لكونها لغة الدولة الحاكمة فكان كثير من عرب الحيرة يعرفونها الى جانب لغتهم العربية وقام هؤلاء بدور الترجمة بين العرب والفرس اثناء الفتح الاسلامي .

أثر وجود الفرس وسيادتهم على العراق بأن اصطبغ بالصبغة الفارسية من ثقافة وتقاليد ونظم وقد دالت دولتهم وزال سلطانهم بعد اندحارهم أمام المسلمين فانتقل من بقي منهم في ارض السواد من ديانته القديمة الى الدين الاسلامي وتركوا لغتهم ليتكلموا لغة القرآن .

العرب :

كان لقرب العراق من الجزيرة العربية وخصوبه ارضه اثر كبير في

---

(١) الطبري ـ تاريخ الامم والملوك ج ٤ ص ٨

(٢) جواد علي ـ العرب قبل الاسلام ج ٦ ص ٢٨٧

جذب سكان الجزيرة اليه فقد نزحت اليه موجات سامية عديدة في ازمان مختلفة من التاريخ كما نزح اليه عدد من القبائل العربية قبل الفتح الاسلامي فلما خضع العراق للحكم الساساني عول ملوك هذه الدولة على ان يضعوا حدا لتسرب هذه القبائل التي كانت تغير على أرض السواد في فترات مختلفة فاقاموا بذلك امارة عربية هي امارة الحيرة لتكون عونا لهم على صد غارات المغيرين من القبائل العربية وانتشرت بعض القبائل العربية الاخرى في انحاء السواد فلما كان الفتح الاسلامي كان الشق الغربي لنهر الفرات اكثر سكانه من العرب منهم المستقر في القرى والريف ومنهم الذي ضل يعيش عيشة البداوة ينتقل من مكان لآخر •

اقدم قوم من العرب سكن العراق قوم كانوا قد سكنوا الانبار منذ عهد بختنصر احد ملوك الكلدانيين ذكر الطبري (ان خالد بن الوليد بعد أن فتح الانبار رأى اهلها يكتبون بالعربية ويتعلمونها فسألهم ما انتم فقالوا قوم من العرب نزلنا الى قوم من العرب كانوا قبلنا فكانت اوائلهم نزلوها ايام بختنصر حين اباح العرب ثم لم نزل عنها فقال مم تعلمتم الكتاب قالوا تعلمنا الخط من اياد[1] الى جانب هؤلاء سكنت الحيرة جماعات من العرب قبل نزول قبائل تنوخ[2] ثم كان نزول قبائل تنوخ قادمة من اليمن فاستقرت على ضفاف الفرات واتخذت الحيرة مقرا لها وساعدهم على الاستقرار ملوك الفرس باقامة امارة الحيرة • كان عرب الحيرة يتألفون من ثلاثة اقسام (١) تنوخ وهم سكان المظال وبيوت الشعر والوبر سكنوا غرب الفرات بين الحيرة والانبار فما فوقها (٢) العباد وهم الذين سكنوا رقعة الحيرة فابتنوا فيها (٣) الاحلاف وهم الذين لحقوا بأهل الحيرة[3] وشاركت بعض القبائل الاخرى من العرب سكن الحيرة مع العباد من تميم وطي وغسان

(١) الطبري ـ تاريخ الامم والملوك ج ٤ ص ٢٠
(٢) جواد علي ـ العرب قبل الاسلام ج ٤ ص ١٠
(٣) حمزة الاصفهاني ـ تاريخ ص ٦٦

والعدسين وكلب وغيرهم[1] فأهل الحيرة لم يكونوا ينتسبون الى قبيلة واحدة بل كانوا اخلاطا من افناء العرب جمعت بينهم وحدة الدين وليس وحدة النسب كما سكن الحيرة أقوام من النبط فتأثروا بهذا المحيط العربي وتكلموا اللغة العربية تشوبها رطانة فتأثر عرب الحيرة بهذه الرطانة وبدت على السنتهم[2] الى جانب النبط كانت تسكن الحيرة اقلية من الفرس مع العرب وهم الذين كانوا يكونون طبقة الموظفين والتجار فتأثر عرب الحيرة بهم وكثيرا منهم من كان يتكلم الفارسية ومع هؤلاء كانت اقلية من اليونان وهم من الاسرى الذين كانوا يقعون في ايدى الفرس في حروبهم مع البزنطيين .

اعتنق عرب الحيرة الديانة المسيحية كما اعتنق منهم الديانة الزرادشتية والمزدكية والمانوية[3] ولكن الديانة الغالبة عليهم هي الديانة المسيحية وقد أثر أهل الحيرة في نقل المسيحية الى القبائل العربية الساكنة في العراق وفي الجزيرة العربية عن طريق التبشير ورافق انتشار المسيحية انتشار اللغة الارامية اذ كانت لغة الكنيسة ورجال الدين .

أما القبائل العربية الاخرى التي سكنت العراق قبل الفتح الاسلامي فكانت جماعات من قبائل النمر واياد سكنت عين التمر[4] وقبيلة بني تغلب سكنت في اعالي الفرات من ناحية الجزيرة العربية وسكنت قبيلة بني بكر بن وائل الولجة[5] وسكنت قبائل كندة صندوريا بالقرب من اليس في سواد العراق[6] الى جانب هذه القبائل التي تكاد تكون مستقرة في اراضيها كانت قبيلة اياد التي كانت تشتو في بوادي الجزيرة وتصيف في ارض العراق

(١) قدامة بن جعفر – الخراج وصناعة الكتاب ص ١٠٢
(٢) جواد علي – العرب قبل الاسلام ج ٤ ص ٦٠
(٣) الاصفهاني – الاغاني مجلد ٢ ص ٦٠
(٤) الطبري – تاريخ الامم والملوك ج ٤ ص ٢١
(٥) الطبري – تاريخ الامم والملوك ج ٤ ص ٩
(٦) ابو يوسف – الخراج ص ١٤٦

وقبيلة بني شيبان التي كانت تتجول على تخوم العراق من ناحية الجزيـرة العربيـة[1] .

اعتنق اكثر هذه القبائل الديانة المسيحية متأثرة بنصارى الحيرة .

هذه هي العناصر الرئيسية الثلاث التي كانت تكون المجتمع العراقي قبل الفتح الاسلامي باديانها ولغاتها المختلفة مع وجود اقليات اخرى مـن الاكراد والاحباش والصائبة والسامرة واليهود .

تعرضت هذه العناصر لعملية الفتح الاسلامي ذلك الفتح الذي كـان يحمل معه دينا جديدا دين الاسلام واللغة العربية فطغى الاسلام على كـل العقائد والاديان واصبح بعد فترة من الزمن لا تتجاوز المائة عام ديـن الاكثرية من سكان العراق كما سادت اللغة العربية غيرها من اللغات .

عملية الفتح وموقف هذه العناصر منها :

الفـرس :

قاوم الفرس وهم حكام العراق الجيوش الاسلامية مقاومة عنيفـة وحشدوا الجيوش الكبيرة للوقوف في وجه العرب ولكن هذه المقاومة لـم تلبث الا قليلا حتى انهارت امام ضربات المسلمين القوية فاندحر الفرس في القادسية والمدائن وجلولاء وفي جلولاء جمعوا كل ما تبقى لهم من قـوة وحاولوا محاولة اخيرة لاسترجاع العراق ولكنهم فشلوا وتم للعرب تحرير أرض السواد كلها ولكن الفرس لم ييأسوا بل حاولوا محاولة ثانيـة في نهاوند وحشدوا كل ما تبقى لهم من قوة ولكنهم منوا بهزيمة منكرة لـم تقم لهم بعدها قائمة فتحطمت قواهم وزال نفوذهم وخضع العراق للحـكم العـربي .

هذا ما كان من أمر الدولة الفارسية أما الفرس من سـكان العراق

---

(١) الطبري - تاريخ الامم والملوك ج ٤ ص ١٤

الذين فضلوا البقاء في املاكهم واراضيهم فقد دخل كثير منهم منذ بدء عملية الفتح في الصلح مع العرب ودخلوا الدين الاسلامي ومنهم من بقي على دينه يدفع الجزية للمسلمين[١] فقد اسلم بعد معركة جلولاء بعض الدهاقين من الفرس وهم جميل بن بصهري دهقان الفلاليج والنهرين وبسطام بن نرس دهقان بابل وخطرنيه والرفيل دهقان العال وفيروز دهقان نهر الملك وكوثى وغيرهم فلم يعرض لهم عمر بن الخطاب ولم يخرج الارض من ايديهم وازال الجزية عن رؤوسهم وفرض لهم العطاء[٢] .

لم يكن هؤلاء الدهاقون وحدهم قد سارعوا الى مصالحة العرب والدخول في دينهم بل سبقتهم فئات من الجنود الفارسية . ففي معركة القادسية انضم الى جيش المسلمين جماعة من الفرس وقاتلوا الفرس معهم فمنهم من اسلم قبل القتال ومنهم من اسلم بعد القتال[٣] وبعد القادسية انضم الى جيش سعد بن ابي وقاص اربعة آلاف من الديلم كانوا قد تخلفوا عن الجيش الفارسي وطلبوا الى سعد أن يسمح لهم بالانضمام الى جيش المسلمين بعد أن يدخلوا الاسلام فوافق سعد على طلبهم واشتركوا مع المسلمين في معركة جلولاء وسكنوا الكوفة بعد تمصيرها[٤] وانضم الى العرب كثير من الفرس الذين ساعدوهم ولم يكونوا قد اسلموا فلما رأوا انتصارهم وانهزام الفرس وقتل رستم استجابوا للمسلمين ودخلوا الدين الاسلامي . قال الديلم ورؤوساء المسالح الذين استجابوا للمسلمين وقاتلوا معهم على غير الاسلام (اخواننا الذين دخلوا في هذا الامر من اول الشأن اصوب منا وخير لا والله لا يفلح أهل فارس بعد رستم الا من دخل في هذا الامر فاسلموا)[٥] واخرون اسلموا بعد أن رأوا قوة المسلمين وانتصاراتهم

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٦٨
(٢) البلاذري ـ فتوح البلدان ص ٢٦٥
(٣) الطبري ـ تاريخ الامم والملوك ج ٤ ص ١٢
(٤) البلاذري ـ فتوح البلدان ص ٢٧
(٥) البلاذري ـ فتوح البلدان ص ١٣٤

على الفرس وان الدولة الفارسية على حافة الانهيار فراسلوا العرب وطلبوا اليهم الدخول معهم في الاسلام من هؤلاء سيان الاسواري وكان على مقدمة جيش يزدجرد فقد ارسل الى ابي موسى الاشعري يعلمه انهم احبوا الدخول في الاسلام واشترط على ذلك شروطا قال (انا قد احببنا الدخول معكم في دينكم على أن نقاتل معكم عدوكم من العجم على أن وقع بينكم اختلاف لم نقاتل بعضكم مع بعض وعلى انه ان قاتلنا العرب منعتمونا واعتمونا عليهم على أن تنزل بحيث شئنا من البلدان ونكون فيمن شئنا منكم على ان نلحق بشرف العطاء ويعقد لنا بذلك الامير) فلم يرض ابو موسى الاشعري وكتب الى عمر بأمره فأمر عمر ان يعطيهم كل ما طلبوه ونزلوا بعد ذلك البصرة(١) واسلم كثير من الاسرى الذين وقعوا بايدي العرب وسكنوا العراق وارتبطوا مع العرب المسلمين برباط الولاء ورباط الدين(٢) اضف الى ذلك ان كثيرا من الموظفين الفرس الذين بقوا في مراكزهم مفضلين ذلك على خروجهم فلما خضعوا للعرب ابقوهم في مراكزهم بابقاء العرب النظام الاداري والمالي على حال ما وجدوه فادى ذلك الى اسلام كثير منهم تقربا من السلطة الحاكمة(٣) ومنهم من بقي على دينه ولم يجبر على الاسلام ذكر صاحب الاموال ان رجلا قال لعبدالله بن عمر بن الخطاب (اندفع صدقات اموالنا الى عمالنا فقال نعم فقال ان عمالنا كفار)(٤) واخلص هؤلاء الموظفون في اعمالهم ونفذوا اوامر امير العراق لتثبيت سلطانه واستندوا عليه لما قد يحصلون عليه من رواتب ومنافع مادية اخرى • استعمل زياد بن ابيه الموالي في جباية الخراج(٥) كما افرد كتاب الرسائل من العرب والموالي المتفصحين وكان يقول (ينبغي أن يكون كتاب الخراج من رؤوساء

(١) البلاذري ـ فتوح البلدان ص ٣٦٦
(٢) ولهاذرن ـ الدولة العربية وسقوطها ص ٣٩١
(٣) ولهاذرن ـ الدولة العربية وسقوطها ص ٣٢
(٤) ابو عبيدة ـ الاموال ص ٥٤٩
(٥) اليعقوبي ـ التاريخ ج ٢ ص ٢٠٩

الاعاجم العاملين بامور الخراج)[1] . ولم يقتصر استخدام الفرس على امور الخراج والاعمال الادارية الاخرى بل كانت غالبية الشرط في الكوفة والبصرة منهم[2] .

تمتع الموالي بحرية التملك فكان منهم من يملك الملايين من الدراهم ويمتلك القرى والضياع . ذكر الطبري ان الحجاج سأل فيروز حصين وكان قد اشترك في ثورة عبدالرحمن بن الاشعث ان يكتب له امواله فذكرها الف الف الفي الف وذكر مالا كثيرا فقال الحجاج اين هذه الاموال قال عندي[3] .

وصفوة القول ان موقف الدولة الاسلامية من الفرس في العراق من اسلم منهم والذين لم يسلموا كان غاية في التسامح ولين المعاملة فكفلت لهم الحرية الشخصية في عقيدتهم وتعبدهم وادت هذه السياسة الى اندفاع الفرس الى اعتناق الاسلام وكان اسلامهم اول الامر بدافع الرغبة الذاتية والمصلحة الشخصية ولم يكن عن عقيدة وايمان لما قد يحصلون عليه من وراء دخولهم على منافع مادية ومجاراة للسلطة الحاكمة قال ولهاوزن جذب الاسلام الفرس أول الامر للمنافع التي يجلبها اكثر من جذبه لذاته واستعملوه للتقرب من الطبقة الحاكمة لمشاركتها في مزاياه ولتعريب انفسهم اتخذوا اسماء عربية ودخلوا في القبيلة العربية وتزلف للعرب الافراد الطامعون منهم[4] وقول ولهاوزن هذا ينطبق على الذين دخلو الاسلام منهم في بدء عملية الفتح ولكن الحال تتغير بعد ان ثبتت اقدام المسلمين الفاتحين فجذب الاسلام الفرس واعتنقوه عن رغبة صادقة وايمان ورغبة .

(١) الطبري ـ تاريخ الامم والملوك ج ٦ ص ١٥٨
(٢) الطبري ـ تاريخ الامم والملوك ج ٦ ص ١٥٨
(٣) الطبري ـ تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ٣٤
(٤) ولهاوزن ـ الدولة العربية وسقوطها ص ٣٩١

النبط :

اصرف النبط وهم عامة سكان قرى السواد منذ خضوعهم للفرس الى الاشتغال بالزراعة فلم يكن لهم رأى في ادارة البلاد والدفاع عنها وتركوا الامور تسير حيثما شاءت فقد عولوا على ان يكونوا سامعين مطيعين لكل حاكم فهم كما قال احد زعماء الحيرة لخالد بن الوليد (ما نحن الا كعلوج السواد عبيد لمن غلب)[1] .

وقف هؤلاء اول الامر من الفتح الاسلامي موقفا ينم عن ولائهم للفرس ولكنه في الحقيقة لم يكن ولاء بل كان احتماء بهم من هذه الجيوش التى جاءتهم من الجزيرة العربية فقد اجفل هؤلاء امام تلك الجيوش والتفوا حول الفرس يساعدونهم فى حربهم ضد المسلمين وتحصنوا في حصونهم ولكن ذلك لم يمنع بعضهم من الدخول في الصلح مع المسلمين كأهل بانقيا واليس وبارسما[2] وقد نقض هؤلاء عقد الصلح لما رأوا اجتماع الفرس على يزد جرد واتحاد كلمتهم وعزمهم على مناهضة العرب فثاروا بالمسلمين فاضطر المسلمون الى التراجع الى اطراف السواد واضطر المثنى ان يكتب الى عمر بن الخطاب مستعجلا المدد فلما وصلت اخبار انتفاض اهل السواد وتجمع الفرس جهز عمر بن الخطاب جيشا عهد بقيادته الى سعد بن ابي وقاص فلما اقترب ذلك الجيش وشعر النبط بالخطر ارسلوا الى الفرس يطلبون حمايتهم ويستنجدون بهم والا سلموا ما بايديهم فكتبوا الى يزد جرد (ان ابطأ عنا الغياث اعطيناهم ما بأيدينا)[3] .

من هذا يتبين ان النبط لم يوالوا الفرس أو يساعدونهم حبا في بقاء سلطانهم وانما احتماءا بهم من هذه الجيوش القادمة ظنا منهم ان هذه الجيوش ما هي الا غارات للسلب والنهب لما تعوده من سكان الجزيرة قبل

---

(١) الطبرى ـ تاريخ الامم والملوك ج ٤ ص ٩٤
(٢) الطبرى ـ تاريخ الامم والملوك ج ٤ ص ٣
(٣) اليعقوبي ـ التاريخ ج ٢ ص ١٢١

الاسلام . الا ان موقف النبط قد تغير بعد ان خضعوا للعرب ورأوا عظم الفارق بينهم وبين حكامهم السابقين فرحبوا بهم واطمأنوا لحكمهم[١] .

اعتبر المسلمون النبط وهم نصارى اهل ذمة عليهم أن يدفعوا الجزية عن رؤوسهم والخراج عن اراضيهم ولم يجبروا احدا على ترك دينه[٢] .

موقف القبائل العربية في العراق :

اختلفت القبائل العربية في موقفها من الفتح الاسلامي فمنهم من وقف موقف الحياد كاهل الحيرة[٣] ومنهم من عاون العرب واشترك في عملية الفتح كقبيلة بني شيبان[٤] والقسم الاكبر منهم عاون الفرس في حروبهم ضد المسلمين كقبيلة بني تغلب والنمر واياد وبكر بن وائل[٥] .

اول هذه القبائل التى اعتنقت الاسلام هي قبيلة بني شيبان وقسم كبير من تنوخ وربيعة[٦] وكثر دخول العرب في الاسلام بعد انتصارات العرب المسلمين في القادسية والمدائن وجلولاء وزوال نفوذ الفرس[٧] .

من هذه القبائل جماعات من قبائل النمر واياد وتغلب فقد اسلمت عندما حاصر العرب تكريت سنة ١٦ هـ وكانت بها حامية من الروم والعرب فلما طال الحصار ارسل العرب الى قائد المسلمين عبدالله بن المعتم يسألونه السلم واخبروه انهم استجابوا له فارسل اليهم(ان كنتم صادقين فاشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقروا ما جاء من عندالله فوافقوه واعلموه انهم على الاسلام وساعدوه على فتح تكريت[٨] .

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ جـ ٢ ص ٣١٤
(٢) الطبرى ـ تاريخ الامم والملوك جـ ٤ ص٧
(٣) الطبرى ـ تاريخ الامم والملوك جـ ٤ ص ٧
(٤) الطبرى ـ تاريخ الامم والملوك جـ ٤ ص ٩
(٥) الطبرى ـ تاريخ الامم والملوك جـ ٤ ص ٣
(٦) الطبرى ـ تاريخ الامم والملوك جـ ٤ ص ١٣
(٧) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ جـ ٢ ص ٣١٦
(٨) ارنولد ـ الدعوة الى الاسلام ص ٤٨

هذه فئات من مختلف القبائل العربية دخلت الاسلام في بدء عملية الفتح أما القسم الاكبر فقد بقى على عقيدته المسيحية منهم عرب الحيرة وبنو تغلب والنمر واياد ورفضوا الدخول في الدين الاسلامي حتى اضطرت قبيلة اياد الى الخروج الى بلاد الروم مفضلة الهجرة عن ديارها عن ترك دينها[1] اما بنو تغلب فكانوا شديدى التمسك بعقيدتهم ورفضوا ان يدفعوا الجزية فصالحهم عمر بن الخطاب على ان يدفعوا ضعف صدقة المسلم[2] .

يتضح مما قدمنا ان عرب العراق لم يدخلوا الدين الاسلامي جملة واحدة وفي وقت واحد فمنهم من دخل منذ بدء عملية الفتح ومنهم من دخل بعد الفتح بعد ان ثبتت اقدام المسلمين وكان يرغبهم كما يقول ارنولد في الدخول وخاصة النصارى منهم المثل الاعلى الذي يهدف الى اخوة المؤمنين كافة في الاسلام كما ان الانتصارات التي احرزها المسلمون والنجاح الواسع النطاق المنقطع النظير قد زعزع عقيدة الشعوب المسيحية التى اصبحت تحت حكمهم ورأت ان هذه الفتوح قد تمت بعون الله وان المسلمين قد جمعوا بين النعيم في الدنيا وبين التوفيق الالهي وان اله الحرب كما زعموا لم يجعل النصر الا في ايدى عباده المختارين وهكذا ظهر نجاح المسلمين دليلا على نجاح دينهم[3] وقد سهل على هؤلاء الداخلين لغتهم العربية وتجانسهم مع المسلمين في القومية اضف الى ذلك التسامح الذى اظهره العرب تجاه هؤلاء وحسن معاملتهم واحترام اماكن عبادتهم فقد صالح خالد بن الوليد زعماء الحيرة على ان لا يهدم لهم كنيسة ولا بيعة ولا قصر[4] واستخدم العرب في الوظائف فكان كاتب ابى موسى الاشعرى في ولايته

---

(١) الطبرى – الامم والملوك جـ ٤ ص ١٩٨
(٢) البلاذرى – فتوح البلدان ص ١٨٦
(٣) ارنولد – الدعوة الى الاسلام ص ٧٠
(٤) البلاذرى – فتح البلدان ص ٢٤٤

على البصرة نصرانيا[1] وفي ولاية الوليد بن عقبة على الكوفة في خلافة عثمان بن عفان كان على سجن الكوفة نصراني فادخل في السجن جندب بن كعب قاتل الساحر الذى ظهر ايام الوليد فرأى هذا النصراني جنديا يصوم النهار ويقوم الليل فقال (والله ان هذا شرهم لقوم صدق) ثم اسلم[2] . واتخذ الوليد بن عقبة الشاعر ابو زبيد الطائي نديما له وكان نصرانيا فاسلم على يده[3] وفي ولاية خالد بن عبدالله القسرى ١٠٥-١٢٠ هـ في خلافة هشام بن عبدالملك اكثر من الاستعانة بالنصارى واستخدمهم في الوظائف وبنى البيع والكنائس[4] امام هذه التسامح ولين المعاملة واستخدامهم في الوظائف اندفع كثير من عرب العراق الى اعتناق الاسلام رغبة منهم في المحافظة على وظائفهم ومجاراتهم للدولة الحاكمة اضف الى ذلك تخلصا من المضايقات الاجتماعية التى كانت مفروضة عليهم والتي كان بعض الخلفاء يتشدد في فرضها وبعضهم يتغاضى عنها ففي خلافة عمر بن الخطاب فرضت عليهم قيودا في الزى والمسكن ومنعوا من بناء كنائس جديدة فقد أمر عثمان بن حنيف (ان يختم في رقاب أهل السواد في وقت جباية رؤسهم حتى يفرغ من عرضهم ثم يكسر هذه الخواتم اذ سألوه كسرها وامر أن يتقدم ان لا يترك احدا منهم يتشبه بالمسلمين في لباسه ولا في مركبه ولا في هيئته وان يؤخذوا بان يجعلوا في اوساطهم الزنار مثل الخيط الغليظ يعقد في اوساطهم وان تكون قلانسهم مضربة وان يتخذوا على سروجهم في موضع القاربيس مثل الرمانة من خشب وبان يجعلوا اشراك نعالهم مثنية ولا يحذوا على حذوا المسلمين وتمنع نساؤهم من ركوب الرحائل ويمنعوا من أن يحدثوا بيعة لهم او كنيسة الا ما كانوا صولحوا عليه وصاروا ذمة فما كان كذلك تركت لهم ولم تهدم ويتركون يسكنون

(١) ابن قتيبة ـ عيون الاخبار جـ ١ ص ٤٣
(٢) الاصفهانى ـ الاغانى مجلد ٥ ص ١٣١
(٣) الاصفهاني ـ الاغانى مجلد ٥ ص ١٣١
(٤) الطبرى ـ الامم والملوك جـ ٨ ص ٢٤٣

في امصار المسلمين واسواقهم يبيعون ويشترون ولا يبيعون خمرا ولا خنزيرا ولا يظهرون الصلبان في الامصار ولتكن ملابسهم طوالا مضربة وامر ان يأمر عماله ان ياخذوا اهل الذمة بهذا الزى حتى يعرف زيهم من زى المسلمين[١] واضاف عمر بن الخطاب الى شروطه هذه شروطا اخرى كتب الى عمال الامصار في اهل الكتاب (ان يجزوا نواصيهم وان يربطوا الكستيجاء) (الكستيجاء خيط غليظ يشده الذمى فوق ثيابه دون الزنار مصرب كستى والكستيج كالحزمة من الليف) في اوساطهم وان يضيفوا من مر بهم من المسلمين ثلاثة ايام[٢] وان يركبوا على الاكف وان يركبوا عرضا ولا يركبوا كما يركب المسلمون وان يوثقوا المناطق[٣] هذه الشروط التى اوردتها المصادر التاريخية التي اشترطها عمر بن الخطاب تعود فتذكرها ثانية في خلافة عمر بن عبدالعزيز الذى اعادها واخذ بها أهل الذمة ولم تشر هذه المصادر الى أى خليفة آخر من خلفاء الراشدين أو الامويين اشترط مثل هذه الشروط مما يدل على ان الخلفاء لم يكونوا كلهم يهتمون بها ولم يلزموا احدا باتباعها ولم يدققوا في محاسبة اهل الذمة عليها فلما ولى الخليفة عمر بن عبدالعزيز اعاد هذه الشروط والزم بها اهل الذمة وابعدهم عن الوظائف واستبدلهم بموظفين من المسلمين كتب الى عماله (اما بعد ان المسلمين كانوا فيما مضى اذا قدموا بلدا فيها أهل الشرك يستعينون بهم لعلمهم بالجباية والكتابة والتدبير فكانت لهم في ذلك مدة فقد قضاها الله بامير المؤمنين فلا اعلم كاتبا ولا عاملا في شيء من عملك على غير دين الاسلام الا عزلته واستبدلت مكانه رجلا مسلما فان محق اعمالهم محق اديانهم[٤]واضاف عمر بن عبدالعزيز الى ذلك ان فرض على اهل الذمة نفس الشروط التى كان عمر بن الخطاب قد اشترطها عليهم وكتب الى

(١) ابو يوسف ـ الخراج ص ١١٧
(٢) ابو عبيدة ـ الاموال ص ٥٣
(٣) ابو عبيدة ـ الاموال ص ٥٣
(٤) ابن عبدالحكم ـ سيرة عمر بن العزيز ص ١٣٦

عماله • ان انظر فلا يركبن نصراني على سرج ويركبون بالاكف ولا تركبن أمرأة من نساءهم راحلة وليكن مركبها على اكاف ولا يفحجوا على الدواب وليدخلوا ارجلهم من جانب وتقدم في ذلك الى عمالك حيث كانوا واكتب اليهم كتابا بالتشديد ولا قوة الا بالله[1] وكتب الى عماله مرة اخرى (ان لا يمشين نصراني الا مفروق الناصية ولا يلبس قباء ولا يمشي بزنار من جلود ولا يلبس صليبا ولا سراويل ذات خرمة ولا نعلا لها عذبة ولا وجد في بيته سلاحا الا انتهب)[2] •

هذه الشروط التي فرضت على أهل الذمة جعلتهم في المرتبة الدنيا من المسلمين وشعروا بمرارة ذلك التفريق والتميز وربما كانت هذه المضايقات عاملا كبيرا دفعتهم الى الدخول في الاسلام بالاضافة الى ان نصارى العراق من عرب ونبط لم تكن لهم كنيسة تشرف على امورهم الدينية يحتمون بها وتكون لهم رمزا يسعون في الالتفاف حولها مع قلة كبار رجال الدين من قسس ورهبان كما كان الحال في مصر يشجعونهم ويبثون بهم روح الثبات على دينهم كما ان الرابطة بين نصارى العرب والنبط لم تكن وثيقة لاختلاف القومية واللسان فكان لهذا التفكك بين عامة النصارى قد ادى الى ان يندفع كثير منهم الى الدخول في الدين الاسلامي •

السياسة المالية :

عنى الخلفاء بوجه عام بامور العراق الذى كانت موارده تشكل أهم بند من بنود مالية الدولةوحاولوا استغلاله استغلالا منظما يكفل لهم المحافظة على مقدار الدخل الحكومي وقد اختلفت وسائلهم في درجة ذلك الاستغلال فمنهم من راعى امور دافعي الضرائب ومنهم من اشتط محاولا الابقاء على مقادير تلك الموارد •

تأثرت السياسة المالية للدولة في العراق بالفترات التي كان يزداد

---

(١) ابن عبدالحكم ــ سيرة عمر بن العزيز ص ١٣٦
(٢) ابن عبدالحكم ــ سيرة عمر بن العزيز ص ١٣٦

فيها عدد الداخلين في الاسلام تخلصا من الضرائب التي كانت عليهم واهمها الجزية .

اتبع الخلفاء في ادارة امور العراق المالية السياسة التي انتهجها عمر بن الخطاب . اعتبر عمر بن الخطاب ارض السواد فيئا افاه الله على المسلمين ولكنه لم يوافق على قسمته بين المسلمين الذين تم على ايديهم فتحه بل ابقى الارض في ايدي اصحابها على أن يدفعوا الخراج عنها والجزية عن رؤسهم[١] فارسل عثمان بن حنيف وحذيفة بن اليمان ليمسحا الارض واوصاهما بان يرفقا بالناس ولا يحملان الارض ما لا تطيق[٢] .

يتألف اهل الذمة في العراق من النصارى واليهود والصابئة والسامرة والمجوس[٣] . ادخل عمر المجوس في عداد اهل الذمة بعد ان اعياه امرهم قال عمر ما ارى ما اصنع بالمجوس وليسوا اهل كتاب فقال عبدالرحمن بن عوف سمعت رسول الله (ص ع) يقول : سنوا بهم سنه اهل الكتاب[٤] . وقد فرض عمر على هؤلاء الجزية ما عدا نصارى بني تغلب الذين رفضوها وابو دفعها فصالحهم على ان يدفعوا ضعف صدقة المسلم وكان عمر حريصا على ادخالهم الدين الاسلامي لكونهم عربا فتشدد معهم أول الامر ولما رأى عزمهم على الرحيل والخروج الى بلاد الروم رضخ لمطلبهم فوافق على رفع الجزية وابدلها بالصدقة المضاعفة وعلى تجارتهم نصف العشر وان لا يصبغوا صبيانهم ولا يكرهوا على دين غير دينهم[٥] وبذلك عوملوا معاملة خاصة لرفضهم الشديد دفع الجزية انفة منهم وحرصا من الخليفة عمر بن الخطا ب على بقاءهم والحيلولة دون خروجهم الى بلاد الروم ولكنهم

(١) ابو يوسف الخراج ص ٣٥
(٢) ابو يوسف الخراج ص ٣٨
(٣) ابو يوسف الخراج ص ١٢٢
(٤) ابو عبيدة الاموال ص ٣٢
(٥) ابو عبيدة الاموال ص ٢٨

نقضوا العهد في خلافة علي بن ابي طالب فقال : لئن فرغت لبني تغلب ليكونن لي فيهم رأى لاقتلن مقاتلتهم ولاسبين ذريتهم فقد نقضوا العهد وبرئت منهم الذمة حين نصروا اولادهم[1] الا ان قسما كبيرا منهم كان قد دخل الاسلام في عهود بعض الخلفاء الامويين ذكر الطبرى انهم اشتركوا مع جيوش الدولة الاموية في قتال شبيب الخارجي الذى خرج في ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي على العراق سنة ٧٦ هـ وكانوا قد اسلموا[2] من هذا يتبين ان التغالبة حظوا بمعاملة خاصة لتمسكهم الشديد بعقيدتهم ولكنهم لم يلبثوا ان انساقوا مع التيار فدخلوا الدين الاسلامي ولكن هذا لا يعني دخولهم دفعة واحدة وفي وقت واحد بل كان ياتى على مر الايام تدفعهم الرغبة الى مجاراتهم اخوانهم العرب المسلمين وان يحصلوا على ما كان يحصل عليه هؤلاء من امتيازات • ومع كل ذلك فقد بقى منهم على عقيدته لم يغيرها •

الى جانب التغالبة قوم آخرون من النصارى حظوا بمثل ما حظى عليه التغالبة من معاملة خاصة وهم نصارى نجران الذين اجلاهم عمر بن الخطاب من ديارهم في اليمن واسكنهم العراق وعقد معهم عقدا واعطاهم ارضا يسكنونها[3] بدل ارضهم التي فقدوها في اليمن وقد تعرض هؤلاء لنوع من سوء المعاملة في خلافة عثمان من جانب الوليد بن عقبة امير الكوفة فشكوه الى الخليفة الذى كتب اليه يطلب اليه أن يحسن معاملتهم وان يخفف عنهم ـ كتب يقول اما بعد فان الاسقف والعاقب وسراة اهل نجران الذين بالعراق اتوني فشكوا الي واروني شروط عمر لهم وقد علمت ما اصابهم من المسلمين واني قد خففت عنهم ثلاثين حلة من جزيتهم تركتها لوجه الله تعالى جل ثناؤه واني وفيت لهم بكل ارضهم التي تصدق بها عليهم عمر

(١) البلاذرى فتوح البلدان ص ١٨٧
(٢) الطبرى الامم والملوك جـ ٧ ص ٢٤١
(٣) ابو يوسف الخراج ص ٧٤

مكان ارضهم باليمن فاستوصي بهم خيرا فانهم اقوام لهم ذمة وكانت بيني وبينهم معرفة وانظر صحيفتهم كان عمر كتبها لهم فاوفهم ما فيها واذا قرأت صحيفتهم فارددها عليهم والسلام[١] . وقد تابع علي بن ابي طالب سياسة سلفه في معاملة نصارى نجران وكانوا قد رجوه الرجوع الى نجران اليمن فابى عليهم[٢] .

أما باقي اهل الذمة فقد عوملوا معاملة حسنة طيلة ايام الخلفاء الراشدين ولم يشتد احد منهم في اخذ الجزية منهم التي كانت ترفع عمن يدخل الاسلام فكان عمر يقول : والله لئن بقيت لارامل العراق لادعنهم لا يفتقرون الى امير بعدى[٣] وقد بلغ خراج العراق ايام عمر بن الخطاب ١٢٠ مليون درهم في السنة وهذا يدل على كثرة عدد دافعي الضرائب من اهل الذمة .

الا ان عهد عمر لم يخلو من التناقض في اخذ الجزية من أهل الذمة والذين اسلموا منهم بصورة خاصة بعد اسلامهم الامر الذى دفع بعضهم الى الشكوى ومطالبة الخليفة بأن ترفع عنهم ما داموا قد دخلوا الدين الاسلامي الذى يساوى بين العربي وغير العربي ذكر ابو عبيد (ان رجلا من الشعوب (الاعاجم) اسلم فقال يا امير المؤمنين اني اسلمت والجزية تؤخذ مني فقال لعلك اسلمت متعوذا فقال أما في الاسلام ما يعيذني قال بلى فكتب عمر بن الخطاب ان لا تؤخذ منه الجزية)[٤] من هذا يظهر ان الجزية كانت عاملا في دفع اهل الذمة الى الدخول في الاسلام للتخلص منها باعتبارها عنوان الذل والصغار وكذلك للتخلص من العقوبات التي كانوا يتعرضون لها فيما اذا تأخروا عن دفعها من هذه العقوبات التى كان يتعرض

---

(١) ابو يوسف الخراج ص ٧٤
(٢) ابو يوسف الخراج ص ٧٤
(٣) ابو يوسف الخراج ص ٣٧
(٤) ابو عبيدة الاموال ص ٤٨

لها أهل الذمة حلق الرأس وكان الحلق عندهم عظيما[١] كما كانوا يتعرضون للعقاب والضرب بالسياط • اورد ابو عبيد ان عياظا بن غنم رأى نبطا يعذبون في الجزية فقال لصاحبهم (اني سمعت رسول الله يقول ان الله تبارك وتعالى يعذب يوم القيامة الذين يعذبون الناس في الدنيا)[٢] الا ان الخلفاء الراشدين لم يكونوا يرضون عن اعمال العمال هذه في تعذيب اهل الذمة للحصول على الجزية او غيرها من الضرائب بل كانوا يوصونهم بحسن السيرة ولين المعاملة ويمنعونهم من استعمال الشدة والقسوة (أتي بمال كثير الى عمر بن الخطاب من اموال الجزية فقال لعماله اظنكما قد اهلكتما الناس قالوا لا والله ما اخذنا الا عوفا صفوا قال بلا سوط ولا نوط (المتعليق)[٣] وقال عمر بن الخطاب عند وفاته اوصي الخليفة من بعدى بذمة رسول الله هذه السياسة التي انتهجها عمر واتبعها الخلفاء الراشدون الذين جاءوا من بعده والتى اتسمت بالتسامح والرفق بالرعية ومراعاة احوال دافعي الضرائب كما كانوا يامرون برفع الجزية عن من يدخل الاسلام من اهل الذمة • فكانت هذه السياسة سببا مهما في ان يدخل عدد كبير منهم في الاسلام الذى يتيح لهم نفس الامتيازات والحقوق التى يتمتع بها المسلم ويشاركوا اخوانهم المسلمين على ما كانوا يحصلون من منافع مادية كذلك ليرفعوا انفسهم من الطبقة الدنيا في المجتمع الى طبقة اسيادهم المسلمين وبذلك يرتفع مستواهم الاجتماعي •

الا ان هذه السياسة التي رغبت اهل الذمة الى الدخول في الاسلام قد تغيرت في عهد الدولة الاموية اذ ان خلفاء الامويين ساروا على سياسة مالية جديدة هدفهم جمع الاموال وتوفير الدخل الكافي للدولة لتقوم باعباءها والتزاماتها نحو ناصريها ومعارضيها في اغداق الاموال على

(١) ابو عبيدة الاموال ص ٥٣
(٢) ابو عبيدة الاموال ص ٤٧
(٣) ابو عبيدة الاموال ص ٤٧

المؤيدين وجذب المعارضين كذلك لاشباع رغبة الخلفاء الخاصة في الترف ووسائل العيش ومتطلبات الحياة الجديدة التى يحياها هؤلاء الخلفاء لذلك نرى حرص معاوية اول خلفاء هذه الدولة على جمع الاموال وتوفيرها فولى خراج العراق مولاه عبدالله بن دراج وكتب اليه (ان احل الى من مالها ما استعين به واستصفي ما كان لكسرى فبلغت جبايته خمسين مليون درهم من ارض الكوفة وسوادها وكتب الى عبدالرحمن بن ابي بكره مثل ذلك في أرض البصرة[1] كما ارجع معاوية سنة الفرس في حمل هدايا النيروز والمهرجان فكان يحمل اليه في كل سنة عشرة ملايين درهم[2] كان لهذه السياسة التى انتهجها معاوية قد اثقلت كاهل اهل الذمة الذين كان يقع عليهم العبء الاكبر من الضرائب فقد سار اكثر خلفاء الدولة على هذه السياسة الجديدة التي كان نتيجتها ان اعتنق كثير من اهل الذمة الدين الاسلامي للتخلص من تلك الضرائب •

كان لكثرة من دخل منهم الاسلام ان تأثرت مالية الدولة وجابهت هذه المشكلة الحجاج بن يوسف الثقفي امير العراق من سنة ٧٥ـ٩٤ هـ في خلافة عبدالملك بن مروان • حرص الحجاج على أن يبقى الدخل ثابتا واتبع سياسة جديدة هي ابقاء الجزية على من اسلم من اهل الذمة على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم على كفرهم[3] كما أمر باعادة من اسلم منهم الى قراهم التي خرجوا منها والزمهم بدفع الجزية عن رؤوسهم والخراج عن اراضيهم كتب اليه عماله ان الخراج قد انكسر وان اهل الذمة قد اسلموا ولحقوا بالاعصار فكتب الى البصرة وغيرها من كان له اصل في قرية فليخرج اليها فخرجوا خارج البصرة وهم يبكون ويصيحون يامحمداه يامحمداه وجعلوا لا يدرون اين يذهبون فلما قدم عبدالرحمن بن الاشعث

---

(١) اليعقوبى التاريخ جـ ٢ ص ١٩٣
(٢) اليعقوبي التاريخ جـ ٢ ص ١٩٤
(٣) الطبرى الامم والملوك جـ ٨ ص ١٦٧

سنة ٨٣ هـ ثائرا على الحجاج انضموا اليه واشتركوا معه في حرب الحجاج[١] ولم يكتف الحجاج بذلك بل حاول اخذ الفضل من اموال اهـل السواد فمنعه عبدالملك وكتب اليه (لتكن على درهمك المأخوذ احرص منك علـى درهمك المتروك وابق لهم لحوما يعقدون بها شحوما)[٢] .

بالاضافة الى هذا كله استعمل الحجاج مع اهل الذمة الشدة والقسوة ليدفعوا ما عليهم من ضرائب ذكر ابن عبد ربه ان الحجاج دفع رجلا ذميا الى محمد بن المنتشر احد كتاب ديوان العراق وامره بالتشدد عليه وتعذيبه لاستخراج منه ما كان عليه من ضرائب متأخرة فقال الذمي لمحمد يا محمد ان لك لشرفا ودينا واني لاعطي على القسر شيئا فاستأذني وارفق بي قـال محمد ففعلت فادى الى في اسبوع واحـد خمسمائة الف درهم فبلغ ذلك الحجاج فاغضبه فانتزعه مني ودفعه الى الذى كان يتولى له العذاب فـدق يديه ورجليه فلم يعطه شيئا[٣] كان لهذه السياسة التي اتبعها الحجاج مع اهل الذمة في ابقاء الجزية على من اسلم منهم وصبه العذاب على من يتأخر عن الدفع تأثير كبير في ايقاف تيار الداخلين في الاسلام ويظهر ذلك بوضوح من قول احد قواد المسلمين في خراسان لبكير بن وشاح السعدى الذى ثار على امية بن عبدالله بن خالد بن اسيد وقتله سنة ٧٧ هـ قال (اما يـكفيك ان ينادى مناد من اسلم رفعنا عنه الخراج فيأتيك خمسون الفا من المسلمين اسمع واطوع لك من هؤلاء الرجال[٤] من هذا يتبين خطأ تلك السياسـة التي سار عليها الحجاج كما يتبين تأثير الجزية في سياسة الدولة الماليـة وتاثيرها على دافعيها في تحولهم عن دينهم او البقاء عليه .

سار اكثر ولاة العراق الذين جاءوا بعد الحجاج على هذه السياسـة

(١) الطبرى الامم والملوك جـ ٨ ص ٣٥
(٢) الماوردى الاحكام السلطانية ص ١٤٤
(٣) بن عبد ربه العقد الفريد جـ ٥ ص ٢٦٦
(٤) الطبرى الامم والملوك جـ ٧ ص ٢٧٦

حرصا منهم على المحافظة على مقدار الدخل الحكومي وارضاء الخليفة الاموى ولم ينحرفوا عن هذه السياسة غير مبالين لاحوال الناس وما كان يلزمهم به الدين الاسلامي من الرفق بامور الرعية فلما تولى سليمان بن عبدالملك الخلافة وكان غاضبا على الحجاج وسياسته ولى امارة العراق يزيد بن المهلب الذى عول على ارضاء اهل العراق وارضاء الخليفة في نفس الوقت ورأى التوفيق بين هذين الهدفين تعترضهما مشكلة خطيرة هذه المشكلة هي بقاء الدخل الحكومي كما كان سابقا ورأى انه ملزم في سبيل ذلك ان يسير على سياسة الحجاج المالية التى كان سببا من اسباب كراهية العراقيين لهم وهي الوسيلة الوحيدة لارضاء الخليفة فرأى انه من الاصوب له ورغبة منه في الابقاء على حسن ظن العراقيين به ان يعتزل امور الخراج فاشار على سليمان بن عبدالملك ان يولي امور الخراج صالح بن عبدالرحمن حتى يكون بعيدا عن الناحية المالية ويوقع عبء ذلك على غيره[1] .

فسياسة الحجاج هذه التى ابتدعها كانت حاجزا ومانعا لاهل الذمة في اعتناق الاسلام ويظهر مقدار اثرها في هذه الناحية عندما تولى الخلافة عمر بن عبدالعزيز الذى عرف بالتقوى والصلاح وحسن السيرة ومراعاة امور الدين فلما اعلن في سنة ١٠٠ هـ رفع الجزية عمن يدخل الاسلام سارع الكثير من اهل الذمة الى اعتناق الدين الاسلامي[2] واصدر اوامره الى عماله بان يمتنعوا من اخذ الجزية ممن دخل الاسلام كتب الى عبد الحميد بن عبدالرحمن امير الكوفة قال (كتبت الي تسألني عن اناس من اهل الذمة يسلمون من اليهود والنصارى والمجوس وعليهم جزية عظيمة وتستأذنني في اخذ الجزية منهم ان الله جل ثناؤه بعث محمدا داعيا الى الاسلام ولم يبعثه جابيا فمن اسلم من اهل تلك الملل فعليه في ماله الصدقة ولا جزية عليه)[3] .

---

(١) الطبرى الامم والملوك ج ٨ ص ١١٣
(٢) الطبرى الامم والملوك ج ٨ ص ١٤٨
(٣) ابو يوسف الخراج ص ١٣١

كانت هذه السياسة لها تأثير كبير على كثرة الداخلين في الاسلام مما ادى الى نقصان في عدد دافعي الضرائب مما اثر على مالية الدولة ولكن عمر بن عبدالعزيز استن سياسة مالية جديدة راعى فيها امور الدين وشؤون الخلافة ففرق بين الجزية والخراج اذ رفع الجزية عمن اسلم ولكنه ابقى الخراج على ارضه على اعتبار ان الارض ملك عام للمسلمين افاءها الله عليهم عن طريق الفتح وحرم بيع الاراضي الخراجية وسمح للمسلمين الجدد بالهجرة الى الامصار وذلك أمر لم يكن يرضى به الحجاج[١] وبهذه السياسة وفق عمر بن عبدالعزيز بين الهدفين اللذين كان يسعى اليهما وهما مراعاة امور الدين وشؤون الدولة وبذلك كانت هذه الفترة التي لم تتجاوز السنتين وهي مدة خلافته اهم الفترات التى كثر فيها عدد الداخلين في الدين الاسلامى الى جانب ذلك راعى عمر بن عبد العزيز احوال اهل الذمة ولم يشتد عليهم او يقسو في جباية ما عليهم من ضرائب فقد سمح لهم بان يدفعوا تلك الضرائب في الوقت الذى يكونون فيه قادرين على الدفع ذكر ابو يوسف انه (قيل لعمر بن عبدالعزيز ما بال الاسعار غالية في زمانك كانت في زمن من كان قبلك رخيصة قال ان الذين كانوا قبلي كانوا يكلفون اهل الذمة فوق طاقتهم فلم يكونوا يجدون بدا من ان يبيعوا ويكسد ما في ايديهم وانا لا اكلف احدا الا طاقته فباع الرجل كيف شاء)[٢] ولم يقتصر عمله تجاههم عن ذلك بل رفه عنهم ووسع عليهم امر عمر بن عبدالعزيز واليه : ان دع لاهل الخراج من اهل الفرات ما يتختمون به الذهب ويلبسون الطيالسة ويركبون البراذين وخذ الفضل [٣] .

ازاء هذه السياسة السليمة التى سار عليها عمر بن عبدالعزيز تجاه

(١) ولهوزن ـ الدولة العربية وسقوطها ص ٢٣٢
(٢) ابو يوسف ـ الخراج ص ١٣٢
(٣) ابن قتيبة ـ عيون الاخبار ج ١ ص ٥٣

اهل الذمة سارع كثير منهم الى اعتناق الاسلام مدفوعا بعاملين الرغبة في التخلص من الجزية وعامل الاندماج في هذا المجتمع الاسلامى . الا ان هذه السياسة لم يكتب لها البقاء فلم يكد يتولى الخلافة يزيد بن عبدالملك ١٠١-١٠٥ هـ حتى سارع الى شجبها والرجوع الى سياسة الحجاج واتهم عمر بن عبدالعزيز بانه كان مغرورا واضر بمالية الدولة كتب الى عمال عمر يامرهم بالعدول عن سياسته وان يشتدوا في اخذ الضرائب كتب اليهم اما بعد فان عمر كان مغرورا غررتموه انتم واصحابكم وقد رأيت كتبكم اليه في انكسار الخراج والضريبة فاذا اتاكم كتابي هذا فدعوا ما كنتم تعرفوه في عهده واعيدوا الناس الى طبقتهم الاولى اخصبوا أم اجدبوا احبوا أم اكرهوا أم ماتوا والسلام [١] . ولم يكتف بذلك بل امر عامله على العراق عمر بن هبيره سنة ١٠٥ هـ ان يمسح ارض السواد ولم يكن قد مسح منذ خلافة عمر بن الخطاب ليتأكد من مقدار الضرائب فوضع على النخل والشجر واضر باهل الخراج ووضع على الثانثة (الدهاقين) واعاد السخرة والهدايا وما كان يؤخذ من النيروز . والمهرجان [٢] وهكذا عمل يزيد بن عبدالملك على اعادة سياسة الحجاج كاملة مع ما اضاف اليها من مسح الارض ليكون على بينة من مقدار الضرائب .

سار هشام بن عبدالملك الذى تولى الخلافة من ١٠٥-١٢٥ هـ على هذه السياسة وعهد بادارة العراق الى خالد بن عبدالله القسرى ١٠٥-١٢٠هـ الذى عرف عنه بانه كان يحسن الى اهل الذمة ويستخدمهم في الوظائف فاوعز بذلك صدور العراقين وبخاصة الخوارج وقد حاولوا اغتياله لانه كما قالوا (كان يهدم المساجد ويبني البيع ويولي المجوس على المسلمين وينكح اهل الذمة المسلمات) [٣] ولكنه الى جانب ذلك نفذ اوامر الخليفة

(١) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد جـ ٥ ص ١٧٦
(٢) اليعقوبى ـ التاريخ جـ ٣ ص ٥٥
(٣) الطبرى ـ الامم والملوك جـ ٨ ص ٢٤٣

هشام بابقاء الجزية على من دخل الاسلام منهم فكانت ثورة زيد بن علي بن الحسين التي كانت من اهدافها الدفاع عن المستضعفين يقصد بذلك الموالي كذلك ادت هذه السياسة الى نشوب ثورة اخرى في الشرق بزعامة الحارث بن سريج فكانت هاتان الثورتان اوضح مثل على سخط الموالي على سياسة الدولة المالية وقد سبقت هاتين الثورتين ثورات اخرى اشترك فيها الموالي الى جانب عرب العراق كرها منهم لسياسة الدولة المالية فاشتركوا في ثورة المختار الثقفي سنة ٦٧ هـ وكانوا عمادها كما اشتركوا في ثورة عبدالرحمن بن الاشعث سنة ٨٣ هـ وانظموا الى الخوارج في ثوراتهم العديدة على الدولة وكان هدفهم التخلص من الدولة الاموية التى اثقلتهم بالضرائب وابقت عليهم الجزية التى يرفعها دخولهم الدين الاسلامى •

أما اهل الذمة فلم تذكر المصادر التاريخية انهم قاموا بثورة على الدولة الاموية وسياستها المالية كما انهم لم يشتركوا في تلك الثورات العديدة التي حدثت في العراق كما لم تحدثنا تلك المصادر عن هجرة اهل الذمة وانتقالهم من بلد الى آخر الا ما كان من امر قبيلة اياد التي ابت دفع الجزية فخرجت الى بلاد الروم وقبيلة بني تغلب التي حاولت الخروج من ارض العراق فصالحها عمر بن الخطاب على ان تدفع ضعف صدقة المسلم واسقط عنها الجزية •

نخرج من هذا ان السياسة المالية للدولة الاموية كانت تثير المسلمين الجدد الذين كان عددهم يزداد باستمرار وتدفعهم الى الثورة أما اهل الذمة فلم يكن ما يدعوهم الى الثورة ما داموا متساوين مع اخوانهم الذين اسلموا في دفع الضرائب كما ان قلتهم وتفرقهم وحاجتهم الى زعيم ديني أو سياسي يقودهم جعلتهم بعيدين عن اثارة الثورات أو الاشتراك فيها •

القبائل العربية في العراق :

رافقت عملية الفتح العربي للعراق هجرة قبائل عربية عديدة استقرت

في الامصار التي مصرها المسلمون كما استقرت في المدن والقرى الاخرى في انحاء السواد وادي استقرارها وانتشارها الى اختلاطها بعناصر السكان الاصليين مما ساعد ذلك على انتشار الاسلام واللغة العربية واستمرت هجرة القبائل العربية بعد الفتح الاسلامي في اوقات مختلفة في خلافة الراشدين والامويين والعباسيين وكان لقرب العراق من الجزيرة العربية وتمصير الكوفة والبصرة واندفاع المسلمين في فتوحاتهم نحو الشرق من الاسباب الرئيسية التي ادت الى استمرار تلك الهجرة .

اما سكان العراق قبل الفتح لم يكن عددهم معروفا بالضبط لان المصادر التاريخية لم تشر الى عدد اجمالي بل اقتصرت على ذكر ارقام لعدد سكان بعض المدن وطوائف من الناس . ذكر البلاذري ان عدد سكان الحيرة في بدء عملية الفتح كان سبعة آلاف ممن تجب عليه الجزية اسقط منهم ألف لعجزهم وفرضت الجزية على ستة آلاف فقط[١] أما النبط فيذكر البلاذري ان عثمان بن حنيف ختم في رقاب خمسمائة وخمسين الفا من علوج السواد الذين الزموا على دفع الجزية[٢] .

أما الفرس فلم تذكر المصادر التاريخية عددهم بل اقتصرت على ذكر من دخل منهم الاسلام في بدء عملية الفتح فقد انظم الى جيش سعد بن ابي وقاص بعد القادسية اربعة آلاف من الديلم كانوا قد تخلفوا عن جيش الفرس بعد أن اندحروا واشتركوا مع المسلمين في اعمال الفتوح المكملة لفتح العراق . كان عدد المسلمين الذين دخلوا العراق في المراحل الاولى للفتح قليلا لم يلبث أن ازداد على مرور الايام . كان عدد المسلمين في القادسية بضعة وثلاثين الفا[٣] يضاف اليهم ٨٠٠ رجل كانوا مع عتبة بن غزوان في البصرة[٤] ينتمي هؤلاء الى قبائل عديدة من قبائل الشمال والجنوب من

(١) البلاذرى ـ فتوح البلدان ص ٢٤٥
(٢) البلاذرى ـ فتوح البلدان ص ٢٧٠
(٣) الطبرى ـ تاريخ الامم والملوك جـ ٤ ص ٨٧
(٤) البلاذرى ـ فتوح البلدان ص ٢٣٧

قريش والانصار وكنانة والازد وبجيلة والنخع وكنـدة وغطفان ومراد وهمدان وبني أسد[1] نزل جيش سعد بن ابي وقاص في المدائن اول الامر ثم تحول منها الى الكوفة التي مصرت بامر عمر بن الخطاب سنة ١٧ هـ ونزل عتبة بن غزوان وجيشه الخريبة ثم تحول عنها الى البصرة سنة ١٦ هـ كان لتمصير هذين المصرين اثر كبير في تثبيت الفتح الاسلامي وانتشار الاسلام واللغة العربية وساعد على عملية المزج بين العرب المسلمين والسكان الاصليين فقد اتخذت هذه الامصار مراكز حربية وادارية ساعدت على جذب القبائل العربية من انحاء الجزيرة العربية الى الهجرة الى العراق لوقوعها على اطراف السواد مما يلي الجزيرة العربية •

تمصير البصرة :

نزل عتبة بن غزوان سنة ١٤ هـ الخريبة بعد أن تم له فتح الابلة وبنى بها جيشه سبع دساكر ثم تحول هذا الجيش الى أرض البصرة سنة ١٦ هـ[2] بامر عمر بن الخطاب بعد أن كتب اليه عتبة بن غزوان مبينا له صلاحيتها للسكنى فكتب اليه عمر (ان اجمع اصحابك في موضع واحد وليكن قريبا من الماء والمرعى واكتب الي بصفته فكتب اليه اني وجدت ارضا كثيرة القصب في طرف البر الى الريف ودونها منافع ماء وقصباء فلما قرأ عمر الكتاب قال هذه ارض نضرة قريبة المشارب والمرعى والمحتطب[3] وكتب اليه ان انزلها الناس فنزلها عتبة وجيشه واختط المسجد واختط الناس خططهم حول المسجد •

كان لاختيار موقع البصرة وقربه من البحر على اطرا فالبر والريف ان اصبحت في مركز تجاري ذا اهمية كبيرة حتى حلت محل الابلة الميناء

---

(١) الطبرى ـ الامم والملوك جـ ٤ ص ٨٥
(٢) البلاذرى ـ فتوح البلدان ص ٢٣٦
(٣) ألبلاذرى ـ فتوح البلدان ص ٣٤١

القديم[١] وصارت ميناء لتبادل البضائع والتجارات بين البادية والخليج الفارسي فكانت كما قال ابو بكر الهذري اذ يفضلها على الكوفة (نحن اكثر ساجا وعاجا ودياجا وخراجا ونهرا عجاجا)[٢] .

سميت البصرة نسبة الى الارض التي شيدت عليها والتي كانت مكونة من الحجارة الرخوة البيضاء[٣] .

كان عدد من نزل البصرة في اول اختطاطها (٨٠٠) رجل ولم يمض على تمصيرها وقت طويل حتى تضاعف عدد سكانها لكثرة هجرة القبائل العربية اليها فبلغ عدد سكانها في خلافة علي بن أبي طالب ٣٥ ــ ٤٠هـ ستون الفا اكثرهم من المضربة مع قلة من اليمانية[٤] وازدادت الهجرة اليها في خلافة معاوية ٤١ ــ ٦٠ هـ بعد أن أصبحت مركزا لارسال الجيوش الى الشرق للفتح فبلغ عدد سكانها في أمارة زياد بن ابيه (٣٠٠) الف نسمة[٥] ويدخل ضمن هذا العدد الاجناس الاخرى من غير العرب أما العرب فكان عدد مقاتلتهم (٨٠) الف وعيالاتهم (١٢٠) الفا[٦] يتبين من هذه الارقام ان الهجرة الى البصرة في خلافة معاوية ازدادت عما سبق والسبب في ذلك كثرة الفتوح الاسلامية في الشرق التي وقع عبئها على البصرة حيث حلت محل الكوفة في تلك الاعمال لقربها من ساحات تلك الفتوح .

أما القبائل العربية التي نزلتها فكانت قبائل متعددة منها بنو تميم والازد وسدوس وهلال وبنو عامر وقيس[٧] .

---

(١) الطبرى ــ الامم والملوك جـ ٤ ص ١٤٨
(٢) ابن قتيبة ــ عيون الاخبار ص ٢١٧
(٣) ابن منظور ــ لسان العرب مجلد ٤ ص ٦٧
(٤) ابن الاثير ــ الكامل في التاريخ جـ ٣ ص ١٧٢
(٥) دائرة المعارف الاسلامية ص ٦٧٠
(٦) ياقوت ــ معجم البلدان جـ ٢ ص ٦٤٤
(٧) الطبرى ــ الامم والملوك جـ ٦ ص ٨٢

كما نزلها عدد من الصحابة منهم ابو بكره وزياد بن ابي سفيان وشبل بن معبد العجلي ونافع بن الحارث بن كلدة كما نزلها ايام أبي موسى الاشعري بعض الانصار بامر عمر بن الخطاب منهم البراء بن مالك وعمران بن حصين وابو نجيب الخزاعي وعوف بن وهب الخزاعي[1] . وسكن البصرة من غير العرب اقوام آخرون من الاساورة كانوا قد اسلموا واقوام من السبابجة وكانوا قبل اسلامهم في السواحل وهم الفرس استخدمهم الولاة في حراسة بيت المال والمسجد الجامع ودار الامارة والسجن ثم خدموا في الاسطول الاسلامي في الخليج الفارسي كما نزلها قوم من الزط وفي ولاية عبيدالله بن زياد نقل خلقا من سبي بخاري فاسكنهم البصرة[2] .

اتخذ المسلمون الاولون في البصرة لسكناهم اول الامر اكواخا من القصب وبنى المسجد ايضا من القصب ثم استبدلت ببيوت من اللبن بعد ان شب حريق في الكوفة اتى على اكواخها فأستأذن اهل الكوفة عمر ببناء بيوتهم من اللبن فوافق على ذلك وامر المسلمين في البصرة بأن يحذوا حذوا أهل الكوفة[3]ثم توسع البناء في ولاية زياد بن ابيه فبنى المسجد الجامع بالجص وسقفه بالساج وحول دار الامارة من الدهناء الى قبلة المسجد فكان الامام يخرج من الباب الذي في حائط القبلة[4] .

بنيت البيوت من دور واحد طيلة خلافة الراشدين والامويين ففي خلافة عمر بن عبدالعزيز حاول عدي بن ارطاة امير البصرة ان يبني غرفا فوق دارالامارة فمنعه عمر حتى كان العصرالعباسي فاقيمت تلك الغرف[5] .

غلبت على البصرة الصفة التجارية واندفع سكانها يشتغلون بالتجارة

(١) البلاذرى ـ فتوح البلدان ص ٣٤٠
(٢) البلاذرى ـ فتوح البلدان ص ٣٦٩
(٣) الطبري ـ الامم والملوك جـ ٤ ص ١٩١
(٤) البلاذري ـ فتوح البلدان ص ٣٤٤
(٥) البلاذري ـ فتوح البلدان ص ٣٤٤

منتشرين في طول العالم الاسلامي وعرضه وقد حرص أهل البصرة على شؤونهم التجارية وقاوموا كل حركة رمت الى عرقلة تجارتهم وبذلك قل أهتمامهم بالامور السياسية ولم يكونوا كأهل الكوفة الذين اهتموا بتلك الامور وكرسوا كل جهودهم لها فكانت ثوراتهم العديدة على الدولة الاموية والثورة الوحيدة التي اشترك فيها أهل البصرة هي ثورة يزيد بن المهلب على يزيد بن عبد الملك سنة ١٠٢ هـ وضعت في البصرة أسس علم النحو واسس الزهد الاسلامي فكان الحسن البصري من اشهر زهادها واكثرهم علما وفقها كما ظهر في اواخر العصر الاموي مذهب الاعتزال واول من قال بالاعتزال واصل بن عطاء وعمر بن عبيد(١) كما كانت البصرة في العصر الاموي مركزا مهما من مراكز الخوارج • وصفوة القول ان تمصير البصرة كان له أثر كبير في عملية المزج بين العرب المسلمين والعناصر الاخرى التي كانت تسكن العراق والعناصر التي كانت تهاجر اليها من الامصار الشرقية وما كان يجلبه المسلمون من الاسرى الذين يقعون في ايديهم ونتج عن ذلك المزج ان تعربت هذه العناصر باعتناقها الدين الاسلامي وتعلمها اللغة العربية •

تمصير الكوفة :

مصرت الكوفة سنة ١٧ هـ مصرها سعد بن ابي وقاص بأمر الخليفة عمر بن الخطاب • نزل سعد قبل تمصير الكوفة المدائن وقد أثر جو المدائن على المسلمين فتغيرت الوانهم كتب حذيفة بن اليمان الى الخليفة عمر بن الخطاب (ان العرب قد اترفت بطونها وخفت اعضادها وتغيرت الوانها) فكتب عمر بن الخطاب الى سعد (انبئني مالذي غير الوان العرب ولحومهم) فكتب سعد اليه (ان العرب خددهم وكفى الوانهم وخومة المدائن ودجلة) فأجابه عمر (ان العرب لا يوافقها الا ما وافق ابلها من

(١) البغدادي - الفرق بين الفرق ص ٩٨

البلدان وامره أن يبعث سلمان وحذيفة ليرتادا منزلا بريا بحريا ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جسر)[1] نفذ سعد اوامر الخليفـــة وارسل سليمان وحذيفة ليرتادا اطراف السواد فوقع اختيارهم على أرض الكوفة وهي بين الحيرة والفرات واختط سعد الكوفة ونزلها مع جيشه سنة ١٧ هـ • وقــد لائم جوها احوال العرب كما لائم موقعها رغبة الخليفة عمر فهي كما قال ذلك العبادي الذي اشار على المسلمين بموقعها • أنا ادلـكم عــلى ارض ارتفعت عن البقعــة وتطأطــأت عن السبخة وتوسطت الريف وظعنت في انف البرية[2] •

سميت الكوفة لاستدارتها وتجمع الناس من قولهم قد تكوف الرمـــل أي تجمـــع[3] •

عهد سعد بن ابي وقاص الى السائب الاقرع وابي الهياج الاســـدي باختطاط الكوفة وطلب اليهما تنفيذ ما امر به عمر بن الخطاب في الطـــرق والمناهج على ان تكون المناهج اربعين ذراعا وما يليها ثلاثين ذراعا وبـــين ذلك عشرين ذراعا والازقة سبعة اذرع ليس دون ذلك شيء وفي القطـائع ستون ذراعا[4] وعين موقع المسجد ثم اختط الناس خططهم على بعد مرمى سهم من المسجد وبنى بحيال المسجد بيوتا جعلت فيها الاموال ودار الامارة •

نزل المسلمون اول الامر على سبع خطط بامر الخليفة عمر بن الخطاب فكانت كنانه وحلفاؤها من الاحباش وغيرهم وجديلـــه وهم بنو عمرو بن قيس عيلان سبعا وصارت قضاعة ومنهم يومئذ غسان بن شبام وبجيلـــه وخثعم وكندة وحضرموت والازد سبعا وصارت مذحج وحمير وهمـــدان وحلفاؤهم سبعا وصارت تميم وسائر الرباب وهوازن سبعا وصارت غطفان

---

(١) الطبري ـ الامم والملوك ج ٤ ص ١٨٩
(٢) الطبري ـ الامم والملوك ج ٤ ص ١٨٩
(٣) ابو يوسف ـ الخراج ص ٣٠
(٤) الطبري ـ الامم والملوك ج ٤ ص ١٩٨

ومحارب والنمر وضبيعة وتغلب سبعا وصارت اياد وعك وعبد القيس واهل هجر والحمراء سبعا فما زالوا حتى ربعهم زياد[1] وكان تربيع زياد على النحو التالي (١) اهل العالية (٢) تميم وهوازن (٣) ربيعة وكندة (٤) مذحج واسد[2] .

كان الغرض من هذا التقسيم هو أن يسهل حشر المقاتلة وفقا للقيادات والتعبئة عند النفير والخروج للجهاد في المواسم ثم توزيع الغنائم والاعطيات بعد العودة من قبل رؤس الاسباع لذلك لم تكن اسباع الكوفة محلات بلدية بل قطعات قبليه بالنسبة الى النسب والحلف .

كان عدد من نزل الكوفة في بدء تمصيرها عشرين الفا اثني عشر الفا من أهل اليمن وثمانية آلاف من نزار[3] ثم ردفتهم الروادف البداء والثناء وكثروا عليهم وهذه الروادف كل حسب قبيلته[4] وتابعت هجرة القبائل العربية الى الكوفة فنزلتها قبائل جذام وهوازن وخزاعة وغطفان ومراد والخزرج وتيم الرباب والاشعريين وانمار وخثعم وعبد القيس وهمدان[5] كما نزلتها بعد تمصيرها بزمن بنو عبس واياد وبنو رياح[6] .

وقد استمرت الهجرة الى الكوفة بعد ذلك وخاصة في خلافة عثمان بن عفان الخليفة الثالث حتى غلبت تلك الروادف على أهل الرياسة والبيوتات واضطرب امرها كتب سعد بن ابي وقاص الى الخليفة عثمان (ان اهل الكوفة قد اضطرب أمرهم وغلب اهل الشرف منهم والبيوتات والسابقة والقدمة والغالب على تلك البلاد روادف وردفت واعراب لحقت

---

(١) الطبري ـ الامم والملوك جـ ٤ ص ١٩٤
(٢) ماسنيون ـ خطط الكوفة ص ١٦
(٣) الطبري ـ الامم والملوك جـ ٤ ص ١٩٤
(٤) الطبري ـ الامم والملوك جـ ٤ ص ١٩٢
(٥) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ جـ ٣ ص ١١٨
(٦) ماسينون ـ خطط الكوفة ص ١١

حتى ما ينظر الى ذي شرف وبلاء من نازلتها وتابعتها[١] حتى بلغ عـــدد سكانها في خلافة علي بن ابي طالب ٦٥ الفا[٢] وازدادت الهجرة في خلافة معاوية بن ابي سفيان حتى بلغ عدد مقاتلتها ستين الفا وعيالاتهم ثمانين الفا[٣].

شارك العرب في سكن الكوفة اجناس آخرون من غير العرب فقـد نزلها في بدء تمصيرها اربعة الاف من الديلم كانوا قد تخلفوا عن جيش الفرس بعد معركة القادسية وانضموا الى المسلمين واشتركوا في اعمال الفتوح الاخرى كما سكنها عدد كبير من الفرس فبلغ عددهم في خلافـة يزيد بن معاوية ٦٠ ـ ٦٤ هـ عشرين الفا[٤].

اتخذ العرب في بدء تمصير الكوفة بيوتا من القصب اذ غزوا قلعوهـا واذا ما عادوا بنوها فشب حريق في هذه الاعراش فارسل سعد بن ابي وقاص نفرا من اهلها يستأذنون الخليفة عمر بن الخطاب بالبناء باللبن ويعلموه ما حل بهم من جراء الحريق فوافق عمر على طلبهم وقال لهم (افعلوا ولا يزيد احدكم على ثلاث ابيات ولا تطاولوا في البناء والزموا السنة تلزمكم الدولـة ولا ترفعوا بنيانا فوق القدر فقالوا ما القدر قال مالا يقربكم من السـرف ولا يخرجكم عن القصد[٥]. ثم استبدل اللبن بالاجر في ولاية زياد بـن ابي سفيان[٦]. كان لتمصير الكوفة اثره في تثبيت القبائل العربية المهاجرة الى العراق لوقوعها على اطراف السواد مما يلي البادية كما ساعدت عـلى جذب كثير مـن تلك القبـائل ممـا ادى الى انتشـارها في ارض السـواد وخراسان[٧] ونتج عن ذلك انتشار الدين الاسلامي واللغة العربية بفضل

---

(١) الطبري ـ الامم والملوك جـ ٤ ص ٦٣
(٢) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ جـ ٣ ص ١٧٢
(٣) البلاذري ـ فتوح البلدان ص ٣١٤
(٤) الدنيوري ـ الاخبار الطوال ص ٢٨٢
(٥) الطبري ـ الامم والملوك جـ ٤ ص ١٩١
(٦) ياقوت ـ معجم البلدان جـ ٧ ص ٢٢٤
(٧) ولهاوزن ـ الدولة العربية وسقوطها ص ٣٣١

نزول القبائل العربية واختلاطهم بالسكان الاصليين بالاضافة الى من يرتحل اليها من الفرس والنبط واجناس اخرى من النصارى والمجوس واليهود •

واسـط :

مصرت مدينة واسط سنة ٨٦ هـ مصرها الحجاج بن يوسف الثقفي وسميت واسط لتوسطها بين البصرة والكوفة حتى يكون قريبا من المصريين الكبيرين واتخذها معسكرا للجنود الشامية •

شيدت على شاطيء دجلة وكان يربط بين الجانبين جسر وانشأ فيها المسجد ودار الامارة وانزلها مع العرب واقواما من الزط والسيايجة اتى بهم من البصرة كما نزلتها اقوام من الفرس وقد احتفظت بمكانتها طيلة العصر الاموي الا انها فقدت اهميتها في العصر العباسي بعد بناء بغداد •

ساعد تمصير واسط كما ساعد تمصير الكوفة والبصرة على اكمال عملية تعريب العراق لم يقتصر انتشار العرب على هذه الامصار التي مصرها العرب بل انتشروا في المدن اول الامر فلما زادت الهجرة انتشروا في انحاء السواد وقراه فكان في جلولاء جماعة من العرب وهم بقايا الحامية التي وضعها سعد بن ابي وقاص بعد انتصاره على الفرس[١] ونزل حلوان قوم من ولد جرير بن عبدالله البجلي فاعقابهم بها[٢] كما استقر العرب في المدائن والانبار وبنوا المساجد[٣] كما انتشرت قبيلة همدان في قرى السواد وامتلكت الاراضي[٤] •

نستخلص من هذا كله ان استقرار العرب في الامصار وانتشارهم في المدن والقرى قد ساعد على اختلاطهم واحتكاكهم بعناصر السكان الاصليين

---

(١) الطبري ـ الامم والملوك ج ٤ ص ١٩٠
(٢) البلاذري ـ فتوح البلدان ص ٢٩٩
(٣) البلاذري ـ فتوح البلدان ص ٢٨٨
(٤) الطبري ـ الامم والملوك ج ٧ ص ١٦٩

مما عجل باتمام عمليـة تعريب العراق وذلـك بانتشار الـدين الاسـلامي واللغة العربية .

ومما ساعد على اتمام هذه العملية عوامل اخرى لها اهميتها وشأنهـا منها : بساطـة الدين الاسلامي وخلوه من التعقيد والمعميات ومسايرتـه للطبيعة البشرية كما كان لانتصار العرب وتسامحهم مع الشعوب المغلوبـة واحترامهم لعقائدهم واديانهم ان ادى الى جذب هذه العناصر نحو الـدين الاسلامي بالاضافة الى رغبتهم في ان يتمتعوا بنفس الامتيازات التي كـان يتمتع بها العربي المسلم كما كان لابقاء العرب النظام المالي والاداري عـلى ما كان في عهد الدولة الساسانية وابقائهم الموظفين في مراكزهم ان اندفـع هؤلاء لاعتناق الاسلام ليحافظوا على مراكزهم ويزدادوا قربا من العـرب الحاكمين . كما ان سقوط الدولة الساسانية كان عاملا فعالا لدخـول هؤلاء في الاسلام لفقدهم السند الذي كانوا يحتمون به ويصف آرنولـد دخول الفرس في الدين الاسـلامي قولـه (رحب الفرس بالعرب حبا في الخلاص من ظلم الحكام ورغبة في اعفائهم من الخدمة العسكرية ثم أملا في تمتعهم بالحرية الدينية آخر الامر وذلك ان الاسلام كان يبيح لغير المسلمين من يهود ومسيحيين وزرادشتين وصابئة وعبدة الاوثان والنار والحجارة ان يدينوا بما يرضون لانفسهم من دين على ان يدفعوا الجزية للمسلمين . وعامل آخر ادى الى انتشار الاسلام في سرعة مدهشة في بلاد الفرس هـو الشعور السياسي والوطني لهذا الشعب المغلوب ذلك الشعور الذي ادى بهم الى انضوائهم تحت لواء هذا الدين الجديد)[1] كما ان سكان المدن والقرى وخاصة الصناع واصحاب الحرف والطبقة العاملة رحبوا بالدين الجديـد واعتنقه عدد عظيم منهم في جماعات كبيرة ليتخلصوا من ديانة زرادشـت وليفوزوا بحرياتهم الشخصية التي يتيحها الدين الجديد كما لم يكـن

(١) ارنولد ـ الدعوة الى الاسلام ص ١٨٢

ارتدادهم عن ديانة زرادشت بالامر الصعب فقد تبع سقوط الأسرة الساسانية تدهور الكنيسة حتى انه لم يعد لاتباعها مركزا يجتمعون حوله فوجدوا السبيل سهلا ميسورا لاعتناق الاسلام[1] .

وهكذا نجد ان الاسلام انتشر بسرعة بين الفرس بخاصة بين من بقى منهم في العراق لخضوعهم بصورة مباشرة لتأثيرات اسلامية عديدة منها اختلاطهم المستمر بالعرب المسلمين واستمرارهم في اعمالهم الادارية تحت امرة ولاة الدولة وارتباط الكثير منهم بروابط اقتصادية وتجارية واجتماعية مع العرب المسلمين .

أما نصارى العراق من العرب فقد ظهر لهم ان انتصار المسلمين دليل على صلاح دينهم كما كان التقارب اللغوي والقومي بينهم وبين الفاتحين مما ساعدهم على الاندفاع لاعتناق الدين الاسلامي ليشاركوا اخوانهم في القومية ما يعتقدون .

أما النبط فلم تكن تجمعهم رابطة قومية لانتشارهم في قرى السواد ولاشتغالهم بفلاحة الارض فاندفعوا الى مسايرة حكامهم فاعتنقوا الاسلام وكان اعتناقهم الاسلام قد جاء متأخرا عن بقية العناصر الاخرى لقلة احتكاكهم بالمسلمين اول الامر وترفع المسلمين عنهم باعتبارهم من الطبقة الدنيا لاشتغالهم بالزراعة تلك الحرفة التي كان يحتقرها العربي .

من العوامل التي ساعدت على انتشار الاسلام وعملية المزج زواج العرب بالاعجميات والكتابيات من أهل السواد وقد بدأ ذلك منذ المراحل الاولى للفتح الاسلامي ، ذكر الطبري عن ابن الزبير عن جابر قال (شهدت القادسية مع سعد فتزوجنا نساءا من اهل الكتاب ونحن لا نجد كبير مسلمات فلما قفلنا فمنا من طلق ومنا من امسك[2]) واكثر المسلمون بالزواج من

(١) ارنولد ـ الدعوة الى الاسلام ص ١٨٢

(٢) الطبري ـ الامم والملوك جـ ٤ ص ١٤٧

القادسيات بعد فتح المدائن ووقوع كثير من السبايا في ايديهم الا ان عمر بن الخطاب كان يمنع المسلمين من الزواج بالفارسيات حتى لا يغلبن على نسائهن العربيات فقد أمر حذيفة بن اليمان وكان على المدائن وقد تزوج امرأة فارسية أن يطلقها فرفض حذيفة أول الامر الا ان يبين له أحلال أم حرام فكتب اليه عمر بل حلال ولكن في نساء الاعاجم خلابة فان اقبلتم عليهن غلبنكم على نسائكم فقال حذيفة الآن فطلقها[1] لكن عمر الى جانب ذلك كان يمتدح اولاد المولدين من نساء فارسيات فكان يقول ليس قوم اكيس من اولاد السرارى لانهم يجمعون عز العرب ودهاء العجم[2] الا ان امر المنع الذي اتخذه عمر بن الخطاب ازاء حذيفة اليمان لم يسر على بقية المسلمين فقد تزوج عدد منهم كن لكسرى وقعن في ايديهم فكانت أم الشعبي الاخباري والفقيه المشهور والذي تولى القضاء في خلافة عمر بن عبدالعزيز احداهن • كان لاكثار العرب من السرارى والجواري مما كانوا يحصلون عليهن من عمليات الفتوح تأثيرا كبيرا على عملية المزج والاندماج فظهر جيل يحمل الدم العربي والاجنبي معا بل يحمل مع ذلك خصائص الامم المختلفة وقد ظهر ذلك جليا في الكوفة قال دينار الفارسي (يا معشر أهل الكوفة انتم أول ما مررتم بنا كنتم خيار الناس فعمرتم لذلك زمان عمر وعثمان ثم تغيرت وفشت فيكم خصال اربعة بخل ، وخب ، وغدر ، وضيق ، ولم يكن فيكم واحدة منهن فرمقتكم فاذا ذاك في مولديكم فعلمت من اين اتيتم فاذا الخب من قبل النبط والبخل من قبل فارس والغدر من قبل خراسان والضيق من قبل الاهواز)[3] يتضح من هذا النص تأثير العرب بالعناصر التي ادى اختلاطها وامتزاجها الى عملية صهر تلك العناصر في بوتقة القومية العربية الاسلامية كما يظهر تأثير ذلك على صفات العربي

---

(١) الطبري ـ الامم والملوك ج. ٤ ص ١٤٧

(٢) الادارة العربية ـ كرد علي ص ٤٣

(٣) الطبري ـ الامم والملوك ج. ٤ ص ٢٤٥

واخلاقه حتى ظهر جيل جديد يحمل الصفات المختلفة • وظهر من هذا الجيل اشخاص لهم مكانتهم العلمية والدينية والادبية والادارية امثال عامر بن شراحيل الشعبي وعبيدالله بن زياد عامل العراق في خلافة معاوية بن ابي سفيان وابنه يزيد وشبيب الخارجي وغيرهم كثيرون •

رافق انتشار الاسلام انتشار اللغة العربية فحلت محل اللغات الاخرى واصبحت لغة الاكثرية الساحقة من سكان العراق •

ساعد على انتشارها كون الصلاة بها فرضا على كل مسلم انتحل الاسلام كما ان قراءة القرآن اضطرت المسلمين الجدد الى تعلمها وبذلك تم التساوي بين الاسلام والعروبة • بحيث لا يصح لاحد ان يصبح مسلما دون أن ينتمي للعروبة أو ان يلتحق باسرة عربية[١] فالاعجمي يسلم ويتعرب واذا لم يسلم تضطره الحال الى تعلم لغة الدولة الحاكمة • الى جانب ذلك سعى العرب منذ كانت البلاد تحت طاعتهم ان يجعلوا العربية لغة علم كما هي لغة دين وادب وسياسة ولم يحارب العرب لغة البلاد الاصلية على رسوخها بل ساروا في نشر لغتهم بتعقل وراعى دعاتهم سنن الطبيعة والنشوء[٢] كما كان انتشارها عن رضى واختيار فلم تستغل الدولة العربية سلطانها لاجبار الناس على تعلم لغتهم[٣] بل سايرت هذه الشعوب حكامها والمغلوب دائما مجبول على تقليد الحاكم قال بن خلدون (لما هجر الدين اللغات الاعجمية وكان لسان القائمين بالدولة الاسلامية عربا هجرت كلها من جميع ممالكها لان الناس تبع للسلطان وعلى دينه فصار استعمال اللسان العربي من شعائر الاسلام وطاعة العرب وهجرت الامم لغاتهم والسنتهم من جميع الامصار والممالك وصار اللسان العربي لسانهم ورسخ ذلك لغة في جميع امصارهم ومدنهم وصارت الالسنة الاعجمية دخيلة فيه

---

(١) ولهاوزن ــ الدولة العربية وسقوطها ص ٢٧
(٢) كرد علي ــ الاسلام والحضارة العربية ج ١ ص ١٧٢
(٣) بارتولد ــ تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٣٠

وغريبة عنه[1] •

ثم ان اللغة نفسها كانت لغة ادبية متقدمة في ساحة الفكر تقدما واضحا واخذت البلاغة والشعر مكانة عظيمة عندهم واخترعت الاشكال الادبية المعلومة اليوم والنثر المسجع وانواع عديدة من الاوزان واتخذت المنظومات اساليب معروفة فراج قول الشعر كثيرا لمدح ابطالهم وقبائلهم وذم اعدائهم وبذلك سادت اللغة العربية اللغات الاخرى وراجت في الامصار التى فتحها العرب[2] •

ومن العوامل الاخرى التى ساعدت على انتشارها في العراق منها انها كانت منتشرة وتتكلها قبائل عديدة تسكن العراق قبل الفتح الاسلامي وان العرب المسلمين لما فتحوا العراق وقضوا على الدولة الفارسية وانتشر الدين الاسلامى سارعت العناصر الاجنبية الى تعلمها تقربا من السلطان فان عددا من هؤلاء الاعاجم وخاصة الاغنياء وذوى النفوذ منهم كونوا علاقات مع العرب فاضطرتهم الحال الى تعلم اللغة العربية التي كان الجهل بها عائقا خطيرا لحسن التفاهم واخيرا ان عددا منهم شغل وظائف ادارية تجعلهم باحتكاك مستمر مع العرب لما لها من علاقات بهؤلاء هذا الى ان رجال الاعمال والفنين كانوا يقدمون خدماتهم للعرب[3] •

اضف الى ذلك ان ابناء الموالى الذين كانوا يعيشون في وسط عربي قد سهل عليهم تعلم اللغة العربية كما ان زواج العرب من الاعجميات واتخاذهم الجوارى والسرارى قد ساعد على انتشارها بين هذه العناصر الاجنبية يضاف الى ذلك عوامل اخرى هي تعريب الدواوين وتدوين الحديث ونقل الكتب الفلسفية من اليونانية الى العربية[4] • وساقتصر على

---

(١) ابن خلدون ـ المقدمة ص ٣٧٩

(٢) بارتولد ـ تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٣٠

(٣) صالح العلي ـ التنظيمات الاجتماعية في البصرة ص ٧٨

(٤) عبدالحميد العباوي ـ صور من التاريخ الاسلامي ج ٢ ص١٢٢

ذكر العاملين الاولين باعتبارهما ضمن التحديد الزمني لتعريب العـــراق في العصر الاموى •

تعـريب الدواوين :

الديوان كلمة فارسية معناها الكاتب ثم اطلقت بعد الفتوحات العربية على السجلات التى تشمل حساب الاموال ثم اطلقت فى العصـر العباسى على كل ادارة من ادارات الدولة الماليةواول من دون الـديوان عمر بن الخطاب فدون ديوان الجيش ليسجل به اسماء الجند وانسابهم واعطياتهم ثم تلاه ديوان المال والجباية وكان مقر ديوان الاموال هذه في عواصـم الاقطار المفتوحة وكانت تسجل فيها اسماء القرى ومساحاتها ومقـادير ارتفاعها وتوزيع ذلك على اهلها على هيئة خراج او جزية فكان هـــذا الديوان يكتب فى كل قطر بلغة اهله فكان ديوان العراق يكتب بالفارسيـة حتى كانت خلافة عبدالملك بن مروان وولاية الحجاج بن يوسف الثقفي على العراق فنقل ديوان العراق من الفارسية ا لىالعربية • قـام بنقـل ديوان العراق صالح بن عبدالرحمن سنة ٨٧ هـ •

أما سبب نقله فيذكر البلاذرى ان كاتب الحجاج كان يسمى زادان فروخ وكان يكتب معه صالح بن عبدالرحمن فوصله زادان فروخ بالحجاج فخف على قلبه فقال صالح لزدان فروخ ان الحجاج قد قربني ولا آمن عليك ان يقدمني عليك فقال لا تظن ذلك فهو الي احوج منى اليه لانـــه لا يجد من يكفيه حسابه غيرى فقال صالح والله لو شئت احول الحساب الى العربية لفعلت قال فحول منه ورقة او سطرا حتى ارى ففعل فقال لـــه تمارض فبعث اليه الحجاج طبيبا فلم يجد به علة وبلغ زاذان فروخ ذلك فامره ان يظهر ثم ان زاذان فروخ قتـــل فى ثورة بن الاشعث فاستكتب الحجاج صالحا مكانه واعلمه الذى كان يجرى بينه وبين زاذان فروخ في نقل الديوان فعزم الحجاج على ان يجعل الديوان بالعربية وقلد ذلك صالحا

فقال مراد نشاه بن زاذان فروخ كيف تصنع بدهوبه وشيشوه قال اكتب عشرا ونصف عشر قال كيف تصنع يويد قال اكتب ايضا والويد النيف والزيادة تزداد فقال قطع الله اصلك من الدنيا كما قطعت اصل الفارسية وبذلت له الفرس مائة الف درهم على ان يظهر العجز عن نقل الديوان ويمسك عن ذلك فابى فكان عبدالحميد بن يحي كاتب مروان بن محمد يقول لله در صالح ما اعظم منته على الكتاب ويقال ان الحجاج اجل صالحا أجلا حتى قلب الديوان[1] وبذلك قضى الحجاج على احتكار الفرس للمناصب الادارية والمالية وتمكن من مراقبتهم باجبارهم على استعمال اللغة العربية فاضطروا الى تعلمها بعامل المصلحة الذاتية للانتظام في اعمال الكتابة والخراج وما يتصل بهما .

الى جانب تعريب الدواوين عربت النقود اول من ضرب النقود الاسلامية في العراق الحجاج بن يوسف الثقفي بامر عبدالملك بن مروان وقد ضربها سنة ٧٤ هـ[2] . وكتب عليها الله احد الله الصمد فسميت النقود المكروهة وقال قوم من الفقهاء كرهوها لما عليها من القرآن وقد يحملها الجنب والمحدث[3] .

تدوين الحديث :ـ

بدء في تدوين الحديث في زمن الخليفة عمر بن عبدالعزيز[4] ولم يكن قد دون قبل ذلك لان المسلمين الاولين كانوا يكرهون كتابة الحديث حتى لا يكون الى جانب القرآن الكريم كتاب آخر يشغلهم عن تلاوته وتدبر معانيه وقد افاد تدوين الاحاديث النبوية ذلك ان هذه الاحاديث سواء كانت مرويه باللفظ او بالمعنى هي طبقة عالية من البلاغة فافادت

---

(١) البلاذرى ـ فتوح البلدان ص ٢٩٨
(٢) الماوردى ـ الاحكام السلطانية ص ٧٦
(٣) الماوردى ـ الاحكام السلطانية ص ١٥٠
(٤) الخطيب البغدادى ـ تقييد العلم ص ١٠٥

اللغة من تدوينها نموذجا للعبارة البليغة مكن للفصحى بعد المنزلة التي بلغتها بالقرآن الكريم أى تمكين[1] وعني المسلمون بروايتها وحفظها بدافع ديني الى جانب القرآن الكريم فكان لحفظهم وروايتهم لها ان رسخت في اذهانهم تلك المعاني والالفاظ البليغة التي كانت تمتاز بها تلك الاحاديث . تخرج من هذا كله ان تعريب الدواوين وتدوين الحديث كان له اهمية بالغة في نشر اللغة العربية واخيرا ساعد على انتشار العربية بين الموالي الذين اسلموا اشتراك هؤلاء في عمليات الفتوح الاسلامية فاختلطوا بالعرب واحتكوا بهم فكانوا يتلقفون الكلمات العربية من افواه العرب ففي خلافة علي بن ابي طالب اشترك عدد كبير منهم في الجيش الذى قاده الى صفين ولم يكونوا يعرفون اللغة العربية معرفة تامة فكانوا يخلطون بين لغتهم وبين ما عرفوه من الكلمات العربية حتى قال لهم علي اني لا اطيق كلامكم فولوا عليكم احدكم فقالوا نرضى ترسا[2] وهذا يدل على انهم كانوا يعرفون بعض الكلمات ثم تطور بهم الامر الى ان تعلموها كاملة مع مرور الزمن واشتركوا بالاضافة الى ذلك في كثير من الثورات التى حدثت في العراق على الدولة الاموية وشارك الموالى العرب في آرائهم السياسية والدينية فاندفعوا الى تفهم هذه الاراء وتثبيتها ونشرها الى دراسة القرآن والحديث وساعدهم على تعلم اللغة العربية والتضلع فيها .

ومع انتشارها الواسع فقد عاشت الى جنبها اللغة الفارسية بعض الوقت فكان زياد بن ابيه يشترط في صاحب الشرطة ان يكون زميتا قطوبا ابيض اللحية احنى اقنى ويتكلم الفارسية[3] كما كان موسى بن سيار الاساورى المحدث البصرى اذا ما جلس في المسجد جلس العرب عن يمينه والفرس عن يساره فيقرأ الاية من القرآن فيفسرها للعرب بالعربية ثم يفسرها

---

(١) عبدالحميد العبادى ـ صورة التاريخ الاسلامي ج ٢ ص ١٢٧
(٢) ابن مزاحم ـ وقعة صفين ص ١٨
(٣) الجاحظ ـ البيان والتبين ص ٩٥

للفرس بالفارسية[1] •

لاقى هؤلاء المتعلمون صعوبة في نطق الكلمات نطقا عربيا صحيحا شأنهم شأن كل اجنبي يتعلم لغة جديدة حتى يعجز السامع عن فهمها وهذا ما حدث للحجاج عندما سأل بن جهير الخراساني • اتبيع الدواب المعيبة من جند السلطان فقال شريكاتنا في هوازها وشريكاتنا في مداينها وكما تجيء تكون فقال الحجاج ما تقول ويلك فقال بعض من قد اعتاد سماع الخطأ من كلام العلوج بالعربية حتى صار يفهم مثل ذلك يقول شركاؤنا في الاهواز وشركاؤنا في المدان يبعثون الينا بهذه الدواب ونحن نبيعها على وجوهها[2] وهذا زياد النبطي اخو حسان النبطي وكان شديد اللكنه وكان نحويا دعى غلاما له ثلاثا فلما اجابه قال • فمن دأوتك حتى قلت لبى ما كنت تصنأ يريد من لدن دعوتك حتى اجابتنى ما كنت تصنع[3] •

ولم يقتصر خطأوهم على النطق فقط بل سرى الى تحريك الكلمة واخراجها على صورتها الصحيحة وبذلك ظهر اللحن وسرى الى كلام العرب انفسهم وهذا التحريف دفع ابا الاسود الدؤلى الى وضع علم النحو ليمكن هؤلاء الموالى من وزن الكلام واخراجه بحركاته الصحيحة ولم يكن العرب يحتاجون الى النحو لانهم يتكلمون لغتهم عن سليقه وغريزة ولم يكن العرب يعرفون الفاعل والمفعول بل يخرجون الفاعل مرفوعا والمفعول منصوبا ولكن الموالي الذين دخلوا الاسلام لم تكن لهم معرفة تامة باللغة العربية فادى جهلهم هذا الى تشويه اللغة العربية ففقدت رونقها مما دفع ابا الاسود الى وضع علم النحو والقصه التي يذكرها ابن النديم في الفهرست عن ذلك ان ابا الاسود الدؤلى مر برجل من اهل زندخان اسمه سعيد كان قدم البصرة مع جماعة من اهله فدنوا من قدامه بن مظعون وادعوا انهم

(١) الجاحظ ـ البيان والتبيين ص ٣٦
(٢) الجاحظ ـ البيان والتبيين ص ١٣٣
(٣) الجاحظ ـ البيان والتبيين ص ١٦٣

اسلموا على يديه وانهم بذلك من مواليه نمر سعيد هذا بابى الاسود وهو يقود فرسا فقال له ابو الاسود ما بالك ياسعيد لم تركب فقال ان فرسى ضالع يريد ضالعا قال فضحك من حضره فقال ابو الاسود هؤلاء الموالى قد رغبوا في الاسلام ودخلوا فيه فصاروا لنا اخوة فلو علمناهم الكلام فوضع باب الفاعل والمفعول[1] ومن الامثلة على ذلك ذكر الجاحظ في البيان والتبيين حديثا جرى بين يوسف السمني وعمرو بن عبيد قال يوسف لعمرو ما تقول في دجاجة ذبحت من قفاها قال له عمروا حسن قال من قفاؤها قال احسن قال من قفاءها قال عمر ما عناك بهذا قل من قفاها واسترح[2] .

هذا التحريف والخطأ في الكلام تسرب الى قراءة القرآن لعدم معرفتهم تمييز الحروف المتشابهة وظهر ذلك بصورة واضحة في عهد الحجاج ففزع الحجاج الى كتابه وسألهم ان يضعوا لهذه الحروف المشبهة علامات فيقال ان نصر بن عاصم قام بذلك فوضع النقط افرادا وازواجا وخالف بين اماكنها[3] .

وقد اندفع الموالى الى التخلص من الخطأ في الكلام الى تعلم اصول النحو ودراسته . مر الشعبي بقوم يتذاكرون النحو فقال لهم لئن اصلحتموه انكم اول من افسده[4] . وقد افادهم هذا فظهر جيل جديد من ابناء الموالي والمولدين في اواخر العصر الاموى فاق في بلاغته وعمق علمه باللغة العربية العرب انفسهم فكان ذلك مدخلا للعصر العباسى ومنهم سعيد بن جبير والحسن البصرى وابو حنيفة وبشار بن برد وعمرو بن عبيد . فكان هؤلاء في مقدمة الطليعة من الموالي الذين تقدموا غيرهم من كبار الشعراء والادباء في العصر العباسي ذلك العصر الذى اصبح فيه العراق مركز

---

(١) ابن النديم ـ الفهرست ص ٦٠
(٢) الجاحظ ـ البيان والتبيين جـ ٢ ص ٢١٢
(٣) ابن خلكان ـ وفياة الاعيان جـ ١ ص ١٥٥
(٤) المبرد ـ الكامل في الادب جـ ١ ص ٢٧٤

العروبة والاسلام وقبلة الطلاب من انحاء العالم الاسلامي واصبحت بغداد منارا للعلم يبدد نورها دياجير الجهل ليفتح للعالم ابوابا واسعة للعلم والمعرفة • وبذلك اصبح العراق مسرحا لتلاقي جميع الشعوب والعناصر الاجنبية والوان من الثقافات البشرية المعروفة آنذاك • وانتهى الامر بقيام حضارة اسلامية عربية صهرت العروبة هذه الالوان من الثقافات في بوتقة الثقافة العربية الاسلامية تلك الثقافة التي ما زالت آثارها باقية ما بقي العلم والفن •

وصفوةالقول ان العوامل التي ساعدت على تعريب العراق عوامل عديدة فلم يكن عامل من هذه العوامل التي اشرنا اليها بعمل وحده بل كانت تعمل مجتمعة وفي وقت واحد للتأثير في العناصر المكونة لشعب العراق من نبط وفرس وعرب وغيرهم ولازالة ما بينهم من فروق •

فالهجرات العربية والاختلاط والتزاوج بين العرب وغيرهم من الشعوب وتمصير الامصار ودخول الموالي في الدين الاسلامي افواجا وانتشار اللغة العربية وتعريب الدواوين وتدوين الحديث كل هذهالعوامل ظلت مشتركة طول العصر الاموى فلم تكد الدولة الاموية تشرف على نهايتها حتى كان العراق قد تعرب او كاد بمعنى ان معظم شعبه كان قد اصبح يدين بالدين الاسلامى ويتكلم اللغة العربية وستتم حركة التعريب في العصر العباسى نتيجة لاحداث جديدة اهمها حركة الترجمة التى كانت تهدف الى نقل علوم الفلسفة والطب والرياضيات وغيرها من اللغات اليونانية والفارسية والهندية الى اللغة العربية والامر الذى اصدره الخليفة المعتصم باسقاط العرب من الديوان واحلال الترك محلهم •

الفصل السادس

علاقة العراق بالدولة الاموية

موقف العراقيين من قيام الدولة الاموية • موقف خلفاء الدولة من العراقيين • موقف ولاة الدولة •

الثورات العراقية • اسبابها واسباب فشلها •

انواع تلك الثورات ـ ثورات علوية • ثورة حجر بن عدي الكندي • ثورة الحسين بن علي • ثورة زيد بن علي بن الحسين •

الثورات الاقليمية القومية ـ ثورة عبدالرحمن بن الاشعث • ثورة يزيد بن المهلب • غارات عبدالله بن الحر •

ثورات الخوارج ـ حوثرة الاسدي • فروة بن نوفل الاشجعي • المستورد الخارجي • حبان بن ظبيان • مرداس بن اودية • الازارقة شبيب الخارجي• شوذب الخارجي • البهلول • عمرو اليشكري العنزي•وزير السختياني•الصحاري بن شبيب

ثوارت شخصية ـ ثورة المختار بن ابي عبيد الثقفي • ثورة مطرف بن المغيرة بن شعبة • ثورة عبدالله بن معاوية •

١ ـ موقف العراقيين من الدولة الاموية :

كانت الخلافة اول مسألة اشتد فيها الخلاف بين المسلمين وتشعبت فيها اراؤهم وفرقتهم شيعا واحزابا • حدث هذا الخلاف بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان بين علي بن ابي طالب الذى بويع بالخلافة وبين طلحة بن عبدالله والزبير بن العوام من كبار الصحابة الذين انتهى امرهم بانتصار علي بن ابي طالب عليهم في معركة الجمل سنة ٣٦ هـ ثم تجدد ذلك الخلاف بين علي وبين معاوية بن ابي سفيان امير الشام الذى استغل قرابته من عثمان وجعلها اساسا لمعارضته لعلي فنجح في جمع اهل الشام حوله ووجههم الى قتال علي الذى اتخذ الكوفة مقرا له وجمع

حوله العراقيين وقد اتهمهم معاوية بقتل الخليفة عثمان بن عفان .

كان لاجتماع اهل العراق حول علي بن ابي طالب واجتماع اهل الشام حول معاوية وحدوث نزاع هائل مسلح بين الجانبين ارسى موقف العراقيين من الامويين واهل الشام على قواعد معينة تطورت بتطور الحوادث وموقف خلفاء بني امية وولاتهم منهم .

كان من اهم النتائج التى تمخض عنها ذلك النزاع بالنسبة لموقف العراقيين ظهور فرقتين فرقة الخوارج وفرقة الشيعة لكل من هاتين الفرقتين مبدؤها وموقفها الخاص من الدولة الاموية . ظهر الخوارج كفرقة دينية سياسية في معركة صفين وهي اول فرقة اسلامية دست الافكار الدينية في الاختلافات السياسية . سموا بهذا الاسم لخروجهم على علي بن ابي طالب لانه قبل التحكيم الذى عرضه معاوية بن ابي سفيان لوقف القتال في صفين بالرجوع الى القرآن الكريم ليكون حكما بينهم . قال الخوارج باكفار عثمان وعلي والخروج على الامام الجائر وتكفير مرتكب الكبائر والبراءة من الحكمين ابي موسى عبدالله بن قيس الاشعرى وعمرو بن العاص السهمي وحكمهما ومن صوب حكمهما او رضى به واكفار معاوية وناصريه ومحبيه[1] وقد تفرق الخوارج الى عشرين فرقة[2] اتفقوا على هذا الاصول واختلفوا في موقفهم من بقية المسلمين منهم المتطرف ومنهم المعتدل. كانت اغلبية هذا الحزب من اهل العراق من مختلف القبائل العربية اول الامر ثم انظم اليه عدد من الموالى لان الخوارج ساووا بين المسلمين فلا فرق بين عربي واعجمي الا بالتقوى كما جوزوا خلافة غير العربي اذا ظهر منه الصلاح والقدرة على تحمل المسؤولية .

لم يكن هذا الحزب كبيرا في عدد رجاله انما كان كبيرا في شجاعة افراده ، وقد قاتلوا عن مبدأ استقر في قلوبهم واستولى على عقولهم ومشاعرهم ورأوا ان حرب غيرهم من المسلمين الذين كانوا في نظرهم

---

(١) المسعودى ـ مروج الذهب ج ٣ ص ١٤٥

(٢) البغدادى ـ مختصر الفرق بين الفرق ص ٦٥

كفرة واجب مقدس يقودهم الى الجنة التي وعد الله بها عبـــاده المتقين فمعارضة هذا الحزب لم تكن تستند على اسس قومية اقليمية وانما استندت على مبادىء خاصة اعتنقوها وناظلوا من اجلها .

وقف الخوارج من الامويين كموقفهم من علي بن ابي طالب وهو موقف المعادى لهم وثاروا على ولاة الامويين اذ كان العراق مسرحا لثوراتهم العديدة والتى كانت تهدف القضاء على السلطان الاموى .

ازاء هذا الموقف الذى وقفه الخوارج اشتد خلفاء الدولة وولاتهـــا على العراق بتعقب الخوارج وابعاد خطرهم والقضاء عليهم .

أما شيعة علي بن ابي طالب فقد بايعوا معاوية مستسلمين للامر الواقع مكرهين على هذه البيعة هؤلاء كانوا قد وقفوا الى جانب علي وناصـروه وحاربوا معه ضد معاوية واهل الشام واعتقدوا ان الخلافة حق شرعي لعلي واولاده وذريته من بعده وانها تنحصر في البيت العلوى آل الرسول وورثته الشرعيين فلم يكونوا والحالة هذه مخلصين في بيعتهم لمعاوية ورأوه انـــه غير جدير بها ، قال سعد بن مالك لمعاوية بعد ان بايعه « السلام عليـــك يا ايها الملك فغضب معاوية فقال الا قلت السلام عليك يا أمير المؤمنين قال ذاك ان كنا امرناك انما انت منتز »[1] ولم يتغير رأى أهل الكوفة في معاوية حتى بعد أن استحكم له الامر وتوطدت دعائم خلافته فقد ظلوا يظهرون ذلك البغض ويقذفون في وجهه بتلك العبارات التي يظهرون بها شعورهم المعادى له قال صعصعه بن صوحان العبدى احد زعماء الكوفة ومن اشــد الناس حبا لعلي يخاطب معاوية (انى يكون الخليفة من ملك الناس قهرا ودانهم كبرا واستولى باسباب الباطل كذبا ومكرا أما والله مالك في يوم بدر مضرب ولا مرمى وما كنت الا كما قال القائل) (لا حلى ولا سيرى ولقـد كنت انت وابوك في العير والنفير ممن اجلب على رسول الله (ص) انما

---

(١) اليعقوبي ـ التاريخ ج ٢ ص ١٥٣

انت طليق بن طليق اطلقكما رسول الله فانى تصلح الخلافة لطليق)[1]
ويعود صعصعه في موقف آخر ليوجه الى معاوية باشد العبارات دخل صعصعة على معاوية ومعه عمرو بن العاص جالس على سريره فقال • وسع له على ترابية فيه فقال صعصعة (اني والله لترابي منه خلقت واليه اعود ومنه ابعث وانك لمارج من مارج من نار)[2] •

هذا شعور احد زعماء الشيعة ولم يكن الاخرون اقل منه كراهية لمعاوية قال الاحنف بن قيس احد زعماء العراق (اما والله ان القلوب التي ابغضناك بها لبين جوانحنا والسيوف التي قاتلناك بها على عواتقنا ولان مددت فترا من غدر لنمدن باعا من ختر)[3]وقال عدى بن حاتم الطائي يهدد معاوية لما توعده وذكره دم عثمان (لا ابالك شم السيف فأن سل السيف نسل السيف)[4] •

هذا الشعور الذى اظهره زعماء العراق لم يكن شعورهم وحدهم انما هم يعبرون عن شعور الاخرين من قبائلهم وعشائرهم لاستياءهم من خلافة معاوية واستئثاره بها كما ان هذا الشعور ظل ينمو ويتطور في نفوس العراقيين طيلة العصر الاموى فلم يكونوا مخلصين في طاعة الدولة الاموية وولاتها على العراق ولم يقصروا هذا الشعور على الخلفاء والولاة بل الى اهل الشام قيل للحسن البصرى وهو من فقهاء وزهاد البصرة (لكأنك والله يا ابا سعيد راضي عن اهل الشام قال أنا راضي عنهم قبحهم الله)[5] • هذا شعور الزاهد العابد فكيف يكون شعور العامة •

اقترن هذا الشعور بالعمل واثارة الثورات ضد الدولة الاموية فكانت

---

(١) المسعودى ـ مروج الذهب ج ٣ ص ٥١
(٢) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ج ٥ ص ١٠
(٣) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ج ٥ ص ٩٨
(٤) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ج ٥ ص ٩٨
(٥) الطبرى ـ الامم والملوك ج ٨ ص ١٥٠

ثورة حجر بن عدى الكندى وحركة الحسين بن علي وحركة التوابين وثورة زيد بن علي ، هذه الثورات استندت الى مبدأ التشيع لمساعدة آل البيت على استرجاع حقهم المغتصب في الخلافة الا ان العراقيين لم يدفعهم التشيع فقط الى الثورة على الحكم الاموى بل كانت ثورات اخرى اتسمت بطابع القومية الاقليمية رمت الى استقلال العراق عن الحكم الاموى والقضاء عليه منها ثورة عبدالرحمن بن الاشعث وثورة يزيد بن المهلب لكن ثوراتهم هذه لم تنجح في الوصول الى الهدف الذى كانوا ينشدونه لمقاومة الامويين لها واخمادها بكل قسوة فاضطر العراقيون وخاصة الموالى الى سلوك طريق آخر هو طريق التكتل السرى ونشر مبادىء جديدة غايتهم اضعاف الدين الاسلامي الذى هو قوة المسلمين ليصلوا الى غايتهم وهي التخلص من الحكم العربي فنشأ عن ذلك فرق الغلاة والمتطرفين تلك الفرق التي انبثقت عن مبدأ التشيع •

وصفوة القول ان موقف العراقيين ونظرتهم الى خلفاء وولاة الامويين كان موقفا معاديا لهم وكارها لخلافتهم وحاولوا ان يظهروا هذا الكره في كل مناسبة وسلكوا كل وسيلة ليصلوا الى هدفهم وهو التخلص من الحكم الاموى •

موقف الخلفاء :

على ضوء ما بينا اتخذ خلفاء بني امية من العراقيين موقفا يكاد ان يكون واحدا وهو موقف المتشدد عليهم والحذر من غدرهم واحتاط اغلبهم للامر فأن اهل العراق كما قال معاوية (اظهروا لنا ذلا تحته حقد)[1] •

رسم الامويون اذن لانفسهم خطة خاصة لمعاملة اهل العراق وهي خطة تقضى بأن ينظر اليهم كأعداء يجب معاقبتهم وانقاص اعطياتهم وحرمانهم من الفيئى ومن كثير ما كان يتمتع به اهل الشام كما انهم

---

(١) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ج ٨ ص ١٦٧

اتخذوا سياسة تعيين ولاة اقوياء وادخال القطع العسكرية السورية فيه واقامة حكومة حربية[1] وقد شذ عن هذه السياسة بعض الخلفاء الذين حاولوا مداراة العراقيين وتحقيق رغباتهم ليتقوا شرهم وبعضهم كان يعمل هذا متأثرا بالمثل الاسلامية العليا التي تهدف الى رعاية مصالح الناس دون تفريق كما فعل عمر بن عبدالعزيز • فمعاوية الخليفة الاول رأى في العراقيين اعداء له حاربوه وايدوا خصمه عليا وصرحوا له بذلك حتى بعد أن تنازل له الحسن بن علي عن الخلافة واجتمع المسلمون عليه فكان العراقي يقول لمعاوية (والله انى لابايعك واني لكاره لذلك) • فيقول معاوية بايع فأن الله جعل في المكروه خيرا كثيرا ويأتي الاخر فيقول (اعوذ بالله من نفسك)[2] هذا الاعلان الصريح للعداء السافر جعل معاوية يرى فيهم اكثر من كونهم اعداء حاربوه • وانتصر عليهم بل متربصين متحينين الفرص للوثوب عليه وانه من الواجب عليه أن لا يأمن جانبهم ولهذا كان حريصا ان يكون ولاته اكثر حذرا ويقظة وان لا يهملوا امر العراق قال للمغيرة بن شعبة لما وفد عليه (تركت العمل واخللت بالمصر واهل العراق اسرع الناس الى الفتن)[3] كان قد رأى معاوية في العراقيين سيئا ووصفهم بكل نقيصه ورأى انهم غير جديرين بالخلافة وكيف يحق لهم ان يطالبوا بها وهم على حد قوله (المنتهكين لمحارم الله والمحلين ما حرم الله والمحرمين ما أحل الله)[4] •

كان من نتيجة هذا الشعور المتبادل بينه وبين العراقيين ان اشتد في معاملتهم واوصى واليه على الكوفة المغير بن شعبة ان يشتم عليا ويبعد شيعته والا يستمع اليهم وان يترحم على عثمان ويقرب شيعته[5] كما اشتد في

---

(١) ولهاوزن ـ الدولة العربية وسقوطها ص ٥٢
(٢) اليعقوبى ـ التاريخ ج ٢ ص ١٩٢
(٣) اليعقوبى ـ التاريخ ج ٢ ص ١٩٢
(٤) المسعودي ـ مروج الذهب ج ٢ ص ٥٠
(٥) الطبري ـ الامم والملوك ج ٢ ص ١٤١

معاقبة زعمائهم فانه لم يعفوا عن حجر بن عدي الكندي الذي كان اول زعيم عراقي ثار عليه وعلى سياسته بل أمر بقتله ولم تشفع له مكانته وتقدمه من المصير الذي انتهى اليه • كذلك نفي المغيرة بن شعبة يأمر معاوية صعصعة ابن صوحان العبدي من زعماء الكوفة وظل منفيا حتى مات في منفاه[1] واخرى ان معاوية اجبر أهل الكوفة على محاربة الخوارج فخرجوا خوفا منه بعد ان عجزت جند اهل الشام من ابعاد خطرهم[2] •

بالاضافة الى هذا كله أمر معاوية واليه على العراق زياد بن ابيه أن يرسل العراقيين الى البعوث البعيدة للفتح ليتخلص من شرهم ويشغلهم عن التفكير بالثورة[3] ومع كل ذلك حاول معاوية ان يداريهم وان يجذبهم اليه بما كان يغدق عليهم ويجزل لهم في العطاء • قدم اليه الاحنف بن قيس وجارية بن قدامة والجون بن قتاده والحتات بن يزيد فاعطى كل واحد منهم مائة الف درهم الا الحتات فرجع الى معاوية وقد ساءه ان يكون عطائه اقل من اصحابه وقال له (ما ردك يا ابا منازل) قال فضحتني في بني تميم أو لست مطاعا في عشيرتي ؟ فقال معاوية بلى قال فما بالك خسست بي دون القوم فقال اني اشتريت من القوم دينهم ووكلتك الى دينك ورأيك في عثمان وكان عثمانيا[4] كما انه كان يستمع الى شكواهم عن الولاة فقد عزل عبيدالله بن زياد عن البصرة لما عرف ان الاحنف بن قيس غير راض عنه واعاده الى امارته بعد أن اقترح الاحنف على معاوية اعادته[5] ثم انه لم يعاقب اهل الكوفة لما طردوا واليهم عبدالرحمن بن ام الحكم وهو بن اخت معاوية[6] كل هذه الاساليب التي اتبعها معاوية حاول بها ان يشغلهم

---

(١) ابن حجر ــ الاصابة جـ ٢ ص ٢٠٠
(٢) الطبري ــ الامم والملوك جـ ٦ ص ٩٥
(٣) الطبري ــ الامم والملوك جـ ٦ ص ١٢٨
(٤) الطبري ــ الامم والملوك جـ ٦ ص ١٣٥
(٥) الطبري ــ الامم والملوك جـ ٦ ص ١٧٦
(٦) الطبري ــ الامم والملوك جـ ٦ ص ١٦٦

ويجذبهم الى صفه لعلهم ينسون عليا ويصيخون الى نداء السلم والجماعة .
بهذا أوصى ابنه يزيد حين قال له في وصيته (انظر اهل العراق فان سألوك ان تعزل كل يوم عاملا فافعل فأن عزل عامل احب الي من ان تشهر عليك مائة انف سيف ثم لا تدري على من تكون الدائرة[1] واوصاه ان يرفق بهم ويداريهم ويتجاوز عنهم مع ما عرف عنهم من سوء الطاعة وانهم لابد مخرجي الحسين باذلين له تأييدهم لنصرته .

وحدث ما كان يخشاه معاوية من اخراج العراقين للحسين وتشجيعهم اياه على الثورة على يزيد مطالبا بالخلافة فلم يمض وقت على وفاة معاوية حتى اخذ العراقيون يكثرون من رسائلهم الى الحسين (رض) يستعجلونه القدوم فليس لهم امام غيره واضطر يزيد بن معاوية الى ان يتخذ للموقف عدته وشعر بخطورة الامر فعزل النعمان بن بشير الانصاري عن الكوفة واضافها الى ولاية عبدالله بن زياد مع البصرة لما عرف عنه من شدة وحرص واخلاص في خدمة الدولة وتمكن عبيدالله بن زياد ان يقضي على تلك الحركة بقتله مسلم بن عقيل رسول الحسين الى الكوفة وقتل الحسين نفسه.

كان لهذه المأساة أثرها العميق في نفوس العراقين ووسعت الهوة التي كانت بين الشيعة وخلفاء بني امية ولم يعد هناك مجال للتفاهم بين الطرفين كما كان لها اثر كبير في تطور الحوادث فيما بعد .

توفي يزيد بن معاوية وولي الخلافة معاوية الثاني الذى رغب عنها ثم نشب خلاف في البيت الاموي انتهى بنجاح مروان بن الحكم في تولي الخلافة مخالفا عبدالله بن الزبير الذى دانت له وبايعته بالخلافة اكثر الامطار الاسلامية ـ العراق والحجاز ومصر واليمن وقسم كبير من اهل الشام فلم يكن لمروان أي سلطان على العراق اذ كان خاضعا لعبدالله بن الزبير الا ان العراقيين تعاونوا مع خليفته عبدالملك وساعدوه في القضاء على مصعب بن الزبير

(١) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ج ٥ ص ١١٥

امير العراق من قبل اخيه عبدالله[1] •

لم تكن معاونة العراقين لعبدالملك حبا به انما كانت كرها منهم لمصعب الذي وترهم بقتله عددا كبيرا من اهل الكوفة من الذين كانوا مع المختار الثقفي[2] وحتى كاد ان يفتك به زعيم أهل العراق بعد أن تم له النصر على مصعب • قال عبيدالله بن زياد بن ظبيان (لقد هممت أن اضرب رأس عبدالملك وهو ساجد فاكون قد قتلت ملكي العـرب وارحت الناس منهما • عرف عن عبدالملك انه كان من أحزم خلفاء بني امية واحسنهم سياسة وادراكا لصالح الخلافة الاموية فاولى العراق جل اهتمامه واحتاط لامره فولى عليه واليا اشتهر عنه بانه كان من اقسى الولاة واشدهم ضبطا واخلاصا للدولة وللخليفة نفسه الا وهو الحجاج بن يوسف الثقفي وقد اوصاه عبدالملك ان يطأ الكوفة وطأة يتضائل لها اهل العراق واطلق يد الحجاج في العراق والشرق كله الا انه لم يكن يوافقه على شدته وقسوته انما يرى ان يأخذ الامر بجميع اسبابه فأن لم تنفع فآخرها القتل وكان يريد من الحجاج ان يكون كيسا ماهرا يأتلف به المختلفون لا ان يختلف عليه المأتلفون[3] كما حاول ان يتجنب كل ما من شأنه أن يثير الحرب والفتن فاذا ما أثارها اهل العراق فأنه لا يدخر وسعا أوجهدا في سبيل القضاء عليها ومعاقبة مثيريها بكل قسوة وان يبعد العقاب عن المشتبه والمظنون عليه قال في احدى خطبه (ان اهل العراق استعجلوا قدري قبل انقضاء اجلي اللهم لا تسلطنا على ما هو خير منا ولا تسلط علينا من نحن خير منهم اللهم سلط سيف اهل الشام على أهل العراق حتى يبلغ رضـاك فاذا بلغه فلا تجاوز به سخطك)[4] يظهر من قوله هذا حبه للعدل في معاقبة الثائرين عليه وان

---

(١) البلاذري ـ انساب الاشراف ج ٥ ص ٣٤٠
(٢) البلاذري ـ انساب الاشراف ج ٥ ص ٣٤٠
(٣) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ج ٥ ص ١١٥
(٤) الطبري ـ الامم والملوك ج ٨ ص ١٠

لا يأخذ الولي بالمولى والمقيم بالضال كما كان يقسو على الحجاج في رسائله ويعزي سبب ثورات العراقيين الى سياسته وسوء ادارته كتب اليه في احدى رسائله خلال ثورة عبدالرحمن بن الاشعث (بضعفك قوى وبخوفك خلع)[١] الا انه وافقه على سياسته المالية في ابقاء الجزية على من اسلم من اهل السواد[٢] .

نفذت هذه السياسة في خلافة الوليد بن عبدالملك الذي ابقى الحجاج على العراق مؤيدا له سلوكه ذلك السبيل اما سليمان بن عبدالملك الذي تولى الخلافة بعد اخيه الوليد والذي كان غاضبا على الحجاج غير راض عنه سلوكه مع أهل العراق فانه كان مقتنعا بان الحجاج لم يكن الشخص الصالح ليأتلف به أهل العراق بل كان يكره الناس بالحكم الاموي وينجو الحجاج من عقاب سليمان فقد توفي قبل توليه الخلافة لكن سليمان قسا على اعوان الحجاج وقتل عددا من قواده واعوانه ، حاول سليمان ان يتودد الى العراقيين وان يتقرب من زعماء العلويين ويحسن معاملتهم[٣] لم تطل خلافة سليمان فعهد قبل وفاته الى عمر بن عبدالعزيز الذي انتهج سياسة جديدة اختلفت كل الاختلاف عن سياسة من سبقه فكانت سياسة تتسم بالعدل والمساواة ورعاية مصالح الناس بما يكفل كل ذي حق حقه ونال العراق في عهده القصير ما كان يرجوه من رعاية لمصالحه واهتمام بأموره . كتب عمر بن عبدالعزيز الى عامله في الكوفة عبدالحميد بن عبدالرحمن (سلام عليك أما بعد فأن أهل الكوفة قد اصابهم بلاء وشدة وجور في احكام وسنن خبيثة سنتها عليهم عمال السوء وان اقوم الدين العدل والاحسان فلا يكونن شيء أهم اليك من نفسك ان توطنها لطاعة الله فانه لا قليل من الاثم وامرتك ان تطرز عليهم ارضهم وان لا تحمل خرابا على عامر ولا

(١) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ج ١ ص ١٤
(٢) الطبري ـ الامم والملوك ج ٨ ص ١٦٧
(٣) ولهاوزن ـ الدولة العربية وسقوطها ص ٢١٤

عامرا على خراب ولا تأخذ من الخراب الى ما يطيق ولا من العامر الا وظيفة الخراج في رفق وتسكين لاهل الارض)[1] •

كما حاول أن يقضي على الكراهية المنبثة في الامصار ويزيل بصفة خاصة من اذهان اهل العراق انهم تحت حكم اهل الشام البغيض وعنى بكل المسلمين على السواء فقد رفع الجزية عمن اسلم من اهل الارض[2] فكان ذلك سببا في كثرة الداخلين في الاسلام وساوى بين المسلمين سواء كانوا عربا أو عجما فالاسلام يمنح حقوق العربي المسلم كاملة الى المولى ما دام قد دخل في الاسلام فخالف بذلك سياسة سلفة ولو اضر ذلك بخزينة الدولة •

لم يكتف عمر بن عبدالعزيز بذلك بل نظر الى اقل من هذه الامور شأنا فساعد المرضى والحجاج من اهل العراق ولم يقصر ذلك على أهل الشام كما كان يفعل الوليد بن عبدالملك[3] كما قرب زعماء العلويين وعطف عليهم وترك لعن علي بن ابي طالب (رض) وكاد أن ينجح مع الخوارج لولا انعاجلته المنية • كذلك كان يلبي رغبات أهل العراق في تعيين الولاة ويستمع الى ارائهم عن سلوك ولاته ويأمرهم ان يرفقوا بهم ذكر أبو يوسف عن رياح بن عبيد قال (اذن لي الخليفة عمر بالسفر الى العراق فلما جئته مودعا قال حاجتي ان تسأل عن اهل العراق وكيف سيرة الولاة فيهم • ورضاهم عنهم فلما قدمت العراق سألت الرعية عنهم فاخبرت بكل خير فلما قدمت عليه اخبرته بحسن سيرتهم بالعراق وثناء الناس عليهم فقال الحمد لله على ذلك لو اخبرت عنهم بغير هذا عزلتهم ولم استعن بهم بعدها ابدا ان الراعي مسؤول عن رعيته[4] • كذلك لم يكن عمر واثقا من ان سياسته

---

(١) ابو عبيد ـ الاموال ص ٤٦
(٢) ابو عبيد ـ الاموال ص ٤٧
(٣) ولهاوزن ـ الدولة العربية وسقوطها ص ٢٤١
(٤) ابو يوسف ـ الخراج ص ١١٩

هذه تنفع مع اهل العراق وتجد لها سبيلا الى نفوسهم وكان يشك في مظاهر طاعتهم وهدؤهم وتأييدهم لسياسته وكيف تكون طاعتهم لعمر وقد خذلوا من هو خير منه وكان اماما مرضيا كتب الى عدي بن ارطات واليه على البصرة قال (لا تطلب طاعة من خذل عليا وكان اماما مرضيا)[1] مع ما آثر عن عمر بن عبدالعزيز ومساواته للناس وكرهه للباطل وحبه احقاق الحق فانه لم يساو العراقين بالشامين في العطاء فقد زاد في عطاء الشامين عشرة دنانير ولم يزد في عطاء أهل العراق[2] .

كان عمر بن عبدالعزيز اذن هو الوحيد من خلفاء بني امية سار على سياسة مناقضة لسياسة من سبقه من الخلفاء كما ان من اتوا بعده لم يتابعوا هذه السياسة بل خالفوها ورجعوا الى سياسة عبدالملك والحجاج ازاء أهل العراق .

اعاد يزيد وهشام سياسة ابيهما عبدالملك وسياسة الوليد وقد تشدد يزيد بن عبدالملك في الناحية المالية فأمر عمر بن هبيرة عامله على العراق سنة ١٠٥ هـ أن يمسح العراق ولم يكن قد مسح منذ عهد عمر بن الخطاب فوضع على النخل والشجر واضره باهل الخراج ووضع على النائثه[3] واعاد السخرة والهدايا وما كان يأخذ في النيروز والمهرجان وكان قد ابطلهما عمر بن عبدالعزيز[4] الا انه لم يعامل العراقين بقسوة كما فعل عبدالملك وعامله الحجاج فانه بعد أن اخمد ثورة يزيد بن المهلب لم يعاقب من اشترك فيها من اهل العراق عقابا قاسيا كما فعل الحجاج بعد ثورة عبدالرحمن بن الاشعث وقد اكتفى بالقضاء على الثورة وتعقب من بقى من افراد عائلة يزيد

---

(١) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد جـ ٤ ص ٢٥٩

(٢) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد جـ ٤ ص ٢٥٩

(٣) اليعقوبي ـ التاريخ جـ ٣ ص ٤٨

(٤) التانئه ـ الدهاقين

(٥) الطبرى ـ الامم والملوج جـ ٨ ص ١٤

بن المهلب وقتلهم وعامل اهل الكوفة معاملة حسنة ومناهم الزيادة لانهم لم يشتركوا في تلك الثورة[1] .

أما هشام بن عبدالملك الذى ولي الخلافة عشرين عاما ١٠٥-١٢٥ هـ فقد سار على سياسة تتسم بالحكمة وبعد النظر فانه لم ينظر الى العراقيين وكونهم اعداء الدولة بل حاول ان يعطي كل ذى حق حقه ويمنع عن المبطل والمفسد ماله من حقوق واعطيات فولى على العراق خالد بن عبدالله القسرى الذى ظل في ولايته خمسة عشر عاما سار فيها سيرة حسنة اقام العدل وافاض السلام والعمل الصالح[2]ثم اعقبه يوسف بن عمر الثقفي الذى اشتهر بقسوته وشدته الا انه لم يكن مطلوق اليد وقد منعه هشام من استعمال القسوة والشدة قال يوسف في احدى خطبه (ولقد سألت امير المؤمنين ان يأذن لى فيكم ولو اذن لى لقتلت مقاتيلكم وسبيت ذراريكم)[3] لكن هشام لم يغير من سياسة سلفه المالية فقد انتهجها وسار عليها ثم تولى يزيد بن الوليد بعد أن قتل الوليد بن يزيد وقد حاول ان يسترضي العراقيين ويشعرهم بمكانتهم وتأثيرهم في مجرى الحوادث ويطلب اليهم ان يطمأنوا لسياسته المستندة على الحق والعدل كتب الى اهل العراق قال (أحببت ان اعلمكم ذلك واعجل به اليكم لتحمدوا الله وتشكروه فانكم قد اصبحتم اليوم على مثل حالكم اذ ولاتكم خياركم والعدل مبسوط لكم لا يسار فيكم بخلافه فاكثروا على ذلك حمد ربكم وتابعوا منصور بن جمهور وعليه أن يسير فيكم بأمر الله وسنة نبيه)[4] . الا ان خلافته لم تطل وتطورت الحوادث وسادت الجو اضطرابات كثيرة وتولى مروان بن محمد وسط هذا الجو المضطرب فكثرت الثورات في العراق ثورات خارجية وعلوية

---

(١) الطبرى - الامم والملوك جـ ٨ ص ١٤٨
(٢) كرد علي - الادارة العربية ص ١١٤
(٣) الطبرى - الامم والملوك ج ٨ ص ٢٧٩
(٤) الطبرى - الامم والملوك ج ٩ ص ٣٢

وعباسية والتف اهل العراق حول عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز الـــذى اعلن معارضته لخلافة مروان بن محمد وانتهى امر الدولة الاموية بمحاولة مروان القضاء على تلك الثورات الا انه عجز عن الصمود امام ذلك التيـار الجارف الذى جرف مروان وقضى على الدولة الاموية قضاء تاما وكـــان مصدره من الشرق حاملا معه الدعوة العباسية •

والخلاصة ان خلفاء بني اميـــة نظروا الى العراق نظرة اختلفت عن نظرتهم الى الامصار الاسلامية الاخرى وساروا في ادارته عـــلى سياسة اتسمت بطابع الشدة والقسوة غايتهم تثبيت سلطانهم واجبار العراقيين عـلى تقبل الحكم الاموى ولو ان بعض الخلفاء شذ عن هذه السياسة محـــاولا استرضائهم وتلبية رغباتهم فأن ذلك لم يكن بعامل العطف عليهم والحدب على مصالحهم بل ليتجنبوا المتاعب التى واجهت الخلفاء الاخرين • هـــذه السياسة املتها عليهم ظروف المعارضة العراقية تلك المعارضة التى كـــانت تهدف الى تقويض سلطانهم الذى عمل خلفاء بني امية عـــلى بقائه وتثبيت اركانه وتدعيم اسسه •

موقف الولاة :

شعر ولاة الدولة الاموية على العراق بخطورة مركزهم وجسامة العبء الملقى على عواتقهم لانهم انما يحكمون شعبا يكن لدولتهم البغض والكراهية شعر هؤلاء الولاة ان هزيمة شعب العراق امام شعب الشام قد احدثت جرحا بالغا في نفوسهم فمنهم من حاول ان يصـــرف اذهانهم عن تلك الهزيمة ويداريهم لعلهم ينسون ما لحق بهم ويشعرهم بانهم جزء من هذه الامـــة الاسلامية فلا ضير من ان يكون الشام مركز الخلافة ويكون الامويون هم الخلفاء كما نعل المغيرة بن شعبة ومنهم من رأى أن يشعرهم بتلك الهزيمة وما لحقهم من ذل وعـــار ويزيد في اذلالهم بان يذكرهم بذلك ويقســو عليهم ويشتط في البطش والاضطهاد فلا يعفو عن مسيئهم ولا يقبل مـــن

محسنهم من هؤلاء زياد بن ابيه وابنه عبيدالله والحجاج بن يوسف الثقفي ويوسف بن عمر واخرون استنوا لهم خطة تخالف ما سلف بان تقرب اليهم وتودد الى زعمائهم من البيت العلوي هم خالد القسري وعبدالله بن عمر بن عبدالعزيز ٠

تأثر هؤلاء كثيرا بظروف العراق السياسية وموقفه المعارض للدولة وما كانوا يلاقونه من متاعب وصعوبات في سبيل اقرار سلطانهم فاضطروا الى ان يتسلحوا بسلاح الشدة والحزم لتثبيت مركزهم واقرار سلطة الدولة على هذا المصر الشديد المراس منفذين ما يصدره اليهم خلفاء الدولة وما تفرضه عليهم تلك الظروف ٠

كان اول والي على الكوفة بعد استتباب الامر لمعاوية المغير بن شعبة وقد سار سيرة حسنة لما عرف عنه من حسن السياسة والدهاء وعول على ان لا يزيد الجرح الذى اصاب العراقين اتساعا كما حاول ان يجنب نفسه المتاعب التي ربما يحدثها اهل الكوفة فكان يأتي فيقال له ان فلانا يرى رأى الشيعة وان فلانا يرى رأى الخوارج وكان يقول قضى الله ان لا تزالوا مختلفين وسيحكم الله بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون[1] كذلك لم يشأ ان يتعقب زعماء المعارضة الكوفية ويعاقبهم حتى انتقده اقرباؤه واعوانه على تسامحه وتغاضيه عن حجر بن عدى الكندى الذى كان يقاطعه في خطبه امام الناس محتجا على شتم علي ومطالبا بأرزاق واعطيات اهل الكوفة التي منعت عنهم[2] الا انه اجبر اهل الكوفة على مساعدته في محاربة الخوارج[3] ٠ انتهت ولاية المغيرة بن شعبة سنة ٥٠ هـ وتولى زياد بن ابيه ولاية الكوفة مع ولاية البصرة فكان بذلك اول وال جمع له المصران ٠

اشتهر زياد بانه كان اكثر ولاة الدولة حزما وضبطا لامور ولايته

---

(١) الطبرى – الامم والملوك ج ٦ ص ١٠٠
(٢) الطبرى – الامم والملوك ج ٦ ص ١٤٢
(٣) الطبرى – الامم والملوك ج ٦ ص ١٠٨

لما عرف عنه من ذكاء وعبقرية فقد اخذ على نفسه ان يسير على سياسة اختطها لنفسه والتى عرفها لين في غير ضعف وشده في غير جبر[١] .

اوضح هذه السياسة في خطبته البتراء التى القاها على مسامع اهل البصرة واظهر فيها نوع الحكم العرفي الذى اعلنه وانه لم يكتف بالعقوبات الشرعية التى جاء بها الدين الاسلامي بل احدث عقوبات جديدة طبقها على العراقيين ليمكن من ضبط امور العراق وتثبيت سلطان الامويين الذى لم يكن ثابتا في يوم من الايام كما يقول ولهاوزن : قال زياد في خطبته (اني اقسم بالله لآخذن الولي بالمولى والمقيم بالضامن والمقبل بالمدبر والصحيح منكم بالسقيم حتى يلقى الرجل منكم اخاه فيقول انج سعد فقد هلك سعيد او تستقيم لي قناتكم وقد احدثتم احداثا لم تكن وقد احدثنا لكل ذنب عقوبة فمن غرق قوما غرقناه ومن حرق على قوم حرقناه ومن نقب بيتا نقبت عن قلبه ومن نبش قبرا دفنته حيا فكفوا عنى ايديكم والسنتكم اكفف يدى واذاى لا يظهر من احد منكم خلاف ما عليه عامتكم الاضربت عنقه ايم الله ان لي فيكم لصرعى كثيرة فليحذر كل امرىء منكم ان يكون من صرعاى[٢]هذه السياسة وهذا التهديد والوعيد الذى اعلنه زياد على مسامع اهل البصرة قصد به ان يغير الناس خطة سيرهم ويقلعوا عما كانوا يقومون به لا يردعهم عن غيهم رادع من دين او وازع من خلق كما انه قصد الى أن يعلن هؤلاء طاعتهم لحكمه ليسود الهدوء وتستقر الاحوال .

بهذه السياسة الحازمة تمكن من اخضاع العراق وفرض سلطانه عليه والقضاء على كل محاولة بالخروج عن سلطان الدولة سواء كان فرديا او جماعيا فكان يقضا حذرا يعاقب المعلن ويستصلح المسر كما انه ضرب بعضا ببعض ولم يحتج الى جيوش شامية كثيرة انما ضبط العراق بأهل العراق كما قال عباد بن زياد لعبد الملك بن مروان (يا امير المؤمنين ان

---

(١) الطبرى ـ الامم والملوك ج ٦ ص ١٤٣
(٢) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ج ٤ ص ١٧٣

زيادا قدم العراق وهي جمرة تشتعل فسل احقادهم وداوى ادواءهم وضبط اهل العراق باهل العراق[1] فقد تعقب زعماء المعارضة الكوفية وقبض على حجر بن عدى الكندى رأس تلك المعارضة ومثيرها وارسله الى معاوية وحرض معاوية على قتله[2] كما انه حاول ان يشغلهم ويبعد خطرهم بارسالهم في البعوث البعيدة للفتح فجمع جيشا كبيرا عدته خمسون الفا بعثه الى خراسان خمسة وعشرون الفا من البصرة وخمسة وعشرون الفا من الكوفة[3] بهذه الوسائل جميعا ضبط زياد العراق ومكن الملك والسلطان لمعاوية والزم الناس الطاعة وخافه الناس في سلطانه خوفا شديدا وساس الناس سياسة لم يروا مثلها وهابه هيبة لم يهابوها احدا من قبله[4] .

ساعدت زياد على مسك زمام الامور عوامل عدة منها دهائه وعبقريته واستغلاله الخصومات والنزعات القبلية كما ساعده ان المعارضة العراقية لم تتبلور وتسر في اتجاه معين ذلك ان العراقيين لم يكونوا قد تعرضوا لالوان من العنف كالتى تعرضوا لها في العهود التالية كذلك كانوا ينتظرون وفاة معاوية لعل الامور تتغير وتعود الخلافة الى اصحابها الشرعيين في اعتقادهم وقد تطورت المعارضة العراقية بعد وفاة معاوية واتخذت شكلا اخر لان العراقيين رأوا بني امية وقد استحوذوا على السلطان وجعلوه ملكا كسرويا متوارثا وحرم منه من هم احق منهم ورأوا ايضا انهم حرموا من كثير مما كان اهل الشام يتمتعون به من اعطيات وامتيازات وقوى من تلك المعارضة تجرأ السلطات الاموية في العراق وفتكها بالحسين بن علي (رض) امامهم ورجائهم في الخلافة فكان لهذه الحادثة اثرها العميق في نفوس العراقيين فكيف يجرأ عبيدالله بن زياد على قتل بن بنت رسول الله بين ظهرانيهم

---

(١) الطبرى ـ الامم والملوك ج ٦ ص ١٥٣

(٢) الطبرى ـ الامم والملوك ج ٦ ص ١٢٨

(٣) الطبرى ـ الامم والملوك جـ ٦ ص ١٢٦

(٤) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ جـ ٣ ص ٢٧٠

فهذا اعتداء صارخ اليس لهم حرمه اليس للحسين حرمة ايكون هذا حقا فلم تحتمل عقول بعضهم ان يصل جبروت الولاة الى هذا الحد وهنا يتضح للعراقين ان الامويين لا يبالون بأمور الدين وانما الذى يهمهم هو تثبيت سلطانهم باية وسيلة من هذه الحادثة الاليمة يتضح موقف عبيدالله بن زياد ازاء العراقيين فقد فاق اباه في القسوة والشدة والكراهية للعراقيين ولم يقصر ذلك الكره على الاحياء منهم بل تعدى الى الاموات قال عبيد الله (والله لا اصلي على جنازة عراقي ابدا)[٢] •

كان لتطور المعارضة العراقية التي جاءت نتيجة لعوامل عديدة اهمها مقتل الحسين بن علي (رض) وثورات الخوارج العديدة وموقف العراقيين من هذه الثورات وعدم مساعدتهم ولاة الدولة في القضاء على هذه الثورات دفعت الولاة الذين جاءوا بعد ذلك الى ان يتسلحوا بسلاح الشدة والقسوة لمجابهة تلك المعارضة التى اخذت تزداد عنفا يوما بعد يوم وكان الحجاج بن يوسف الثقفي الذى ولى أمر العراق سنة ٧٥ هـ قد اصطدم بتلك المعارضة العنيفة وجابه موقفا حرجا ليس فقط من ناحية الثورات بل جابه تمردا وتخاذلا من العراقيين الذين اظهروا عدم مساعدتهم لمن سبقه من الولاة في القضاء على تلك الثورات •

لاقى العراقيون في الفترة التي حكم فيها الحجاج العراق وهى مدة عشرون عاما الوانا من القسوة والبطش لم يتعرضوا لها في أي فترة من فترات الحكم الاموى •

اضطر الحجاج الى استعمال الشدة والقسوة مع العراقيين لانه وجد نفسه بين امرين أما ان يسلم الامر الى أهل العراق الذين وصل بهم الكره للحكم الاموى اقصى الحدود واما ان يسلك سبيل الحزم والقوة ليمكن للسلطان الاموى من البقاء فاختار السبيل الثاني وامعن في القسوة والشدة

---

(١) الاصفهاني ــ الاغاني مجلد ٦ ص ٥٩

ليقضي على تلك المعارضة التي تشعبت واتخذت سبلا متعددة . فقد وجد الحجاج نفسه امام ثورات عراقية شيعية وخارجية وقومية واقليمية وثورات دينية هدامة سعت الى اضعاف الدين الاسلامي والتحلل منه[1] كما وجد نفسه امام تمرد العراقيين الذين اذا ما استعان بهم لمقاومة حركات الخوارج وثوراتهم فانهم غالبا ما يتركون ساحة المعركة دون قتال ومستسلمين لهم من اول لقاء[2] .

لم تكن هذه العوامل هي وحدها التي دفعت به الى سلوك هذا السبيل بل هنالك عوامل اخرى هي سلوكه الشخصي فهو كما وصف نفسه لعبد الملك بن مروان (لجوج حقود حسود) بالاضافة الى هذا كله اخلاصه وحبه الشخصي للخليفة عبدالملك وكرهه للعراقيين ذلك الكره الذى استحوذ على مشاعره وسيطر على حواسه فلم يترك نقيصة الا ووصفهم بها قال في اول خطبه له (يا اهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق ومساوىء الاخلاق بهذا السباب بدأ كلامه ولم يكتف به بل اتجه الى التهديد والوعيد قال (والله لالحونكم لحو العودولاعصبنكم عصب السلمة ولاضربنكم ضرب غرائب الابل ولاقرعنكم قرع المروه . يا اهل العراق طالما سعيتم في الضلال وسلكتم سبيل الغواية وسننتم سنن السوء وتماديتم في الجهالة ياعبيد العصا واولاد الاماء) ويوغل في تهديده ويوضح لهم انه مصمم على ان لا يترك السيف الا بعد ان يظهروا الطاعة ويذلوا له وتستقيم له قناتهم انما هو انتظاء السيف ثم لا اغمده في شتاء ولا صيف حتى يقيم الله لامير المؤمنين اودكم ويذل له صعبكم[3] .

كان هذا الكره الذى اظهره الحجاج في اول خطبه له نحو العراقيين يزداد مع الايام حتى كره رؤيتهم ويسأل الله ان يعينه على تحمله قال في

(١) الاصفهاني - الاغاني مجلد ٦ ص ٥٩
(٢) الطبرى - الامم والملوك جـ ٧ ص ٢٢٩
(٣) المسعودى - مروج الذهب جـ ٣ ص ١٣٤

خطبه له (يا أهل العراق اني لم اجد دواء لدائكم من هذه البعوث والمغازى لولا طيب ليلة الاياب وفرحة القفل فانها تعقب راحة واني لا اريد ان ارى الفرح عندكم ولا الراحة بكم وما اراكم الا كارهين لمقالتي انا والله لرؤيتكم اكره لولا ما اريد من تنفيذ طاعة امير المؤمنين فيكم ما حملت نفسي مقاساتكم والصبر على النظر اليكم والله اسأل العون عليكم)[1] .

هذا الكره العميق هو الذى كان يسير الحجاج في سياسته القاسية والتي وضعته في صفوف اقسى الولاة والحكام في التاريخ الاسلامي فانه لم يكتف بقتل الالوف من اهل العراق من النساء والرجال وحبس الاخرين وتشريدهم بل نظر الى اقل من هذه الامور شأنا فكان يمنع العراقيين من الطعام الذى كان يقدمه كل يوم وكان يخص به اهل الشام دون اهل العراق[2] كذلك كان يمنع اختلاط الشاميين بالعراقيين خوفا من ان يصيبهم وباء الفكرة الشريرة[3] .

مما تقدم يتضح موقف الحجاج من العراقيين ونظرته اليهم وسيرته فيهم في تلك الفترة الطويلة التي ظل فيها جاثما على صدور العراقيين يذيقهم الوانا من العنف والقسوة والبطش الا انه لم يكن ناجحا في اسكات المعارضة العراقية ولم يصل الى ما وصل اليه زياد بن ابيه في ذلك السبيل قال عباد بن زياد يخاطب عبدالملك بن مروان (ان زياد قدم العراق وهي جمرة تشتعل فسل احقادهم وداوى ادواءهم وضبط العراق باهل العراق وقدمها الحجاج فكسر الخراج وافسد قلوب الناس ولم يضبطهم الا باهل الشام ولو رام منهم ما رام زياد لم يفجأك الا على قعود يوجف به)[4] هذه السياسة التي سار عليها الحجاج مع العراقيين سار عليها من جاء بعده من

---

(١) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد جـ ٣ ص ١٧٩
(٢) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد جـ ٣ ص ٢٤٩
(٣) الجاحظ ـ البيان والتبيين جـ ٢ ص ١٤١
(٤) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد جـ ٥ ص ٣٥١

الولاة ولو ان بعضهم شذ عنها واتبع سياسة جديدة ترضى العراقيين كما فعل يزيد بن المهلب (٩٦-٩٨ هـ) الذى ولاه سليمان بن عبدالملك وقد رغب في استرضاء العراقيين والقضاء على سياسة الحجاج الا ان يزيد وجد نفسه مضطرا لاتباع سياسة الحجاج المالية والا اغضب الخليفة فطلب الى سليمان بن عبدالملك اعفائه من الاشراف على الناحية المالية واقترح توليه امور الخراج صالح بن عبدالرحمن ليبعد نفسه عن كراهية العراقيين[1] .

وقد عطلت سياسة الحجاج المالية التي لم يتمكن يزيد بن المهلب من الخروج عنها في عهد عمر بن عبدالعزيز (٩٨-١٠١) الذى امر ولاته على العراق ان يرفعوا الجزية عمن اسلم من أهل الذمة وكان الحجاج يأخذ الجزية من الموالي كما كانت تؤخذ وهم على كفرهم وبذلك ساعدت على انتشار الاسلام ووجد العراقيون في ولاية عبدالحميد بن عبدالرحمن والي الكوفة وعدى بن ارطاة والي البصرة وقد نفذوا أوامر الخليفة عمر بن عبدالعزيز عدلا واحتراما لحقوقهم وحفظا لكرامتهم .

ثم عاد الولاة بعد وفاة عمر بن عبدالعزيز الى سياسة الحجاج المالية وهم عمر بن هبيرة (١٠٢-١٠٥ هـ) وخالد بن عبدالله القصرى (١٠٥ - ١٢٠ هـ) ويوسف بن عمر الثقفي (١٢٠-١٢٦ هـ) الا ان اتباع هؤلاء الولاة سياسة الحجا جالمالية قد اختلفوا في موقفهم من العراقيين سواء اكانوا مسلمين او غير مسلمين .

ففي ولاية خالد بن عبدالله القسرى الذى ولي العراق خمسة عشرة سنة لهشام بن عبدالملك حاول ان يجذب اليه اهل العراق بتودده الى زعماء العلويين واعطاهم الاموال ورفق بهم كتب يوسف بن عمر الى هشام (ان اهل هذا البيت من بني هاشم كانوا هلكو جوعا حتى كانت همة احدهم قوت عياله فلما ولي خالد العراق اعطاهم الاموال فقوا بها حتى تاقت انفسهم

---

(١) الطبرى ـ الامم والملوك جـ ٨ ص ١١٣

الى طلب الخلافة وما خرج زيد بن علي الا عن رأى خالد[١] وصرح خالد بذلك الميل لزعماء البيت العلوى قال في بعض احاديثه (مالي ولهشام ليكفن عني هشام اولاد عون الى عراقي الهوى شامي الدار حجازى الاصل يعني محمد بن علي بن عبدالله بن عباس[٢] .

اضاف خالد القسري مع هذا الميل لزعماء البيت العلوي ما قام به من تحسين اقتصاديات العراق بشقه الترع والقنوات وتجفيف المستقعات ليشغل العراقين ويحسن احوالهم الاقتصادية .

هدأ العراق طيلة ولاية خالد القسري فلم يحتج الى اشهار السيف الا لمحاربة البدع والافكار الغريبة عن الاسلام التي انتشرت في الكوفة منبعثه عن العقائد الشيعية المتطرفة[٣] .

انتهى عهد خالد القسري الطويل الذي أطمأن اليه العراقيون وما لواله وولي العراق بعده يوسف بن عمر الثقفي الذي اعاد سياسة الحجاج وسيرته مع أهل العراق الا انه كان مقيدا ولم تطلق يده لان هشاما ضيق عليه ولم يسمح له كما كان يفعل عبدالملك بن مروان مع الحجاج كما كان يمنعه من الوغول في القسوة لكنه مع ذلك كان جبارا قاسيا ويكن الكره للعراقيين ويحاول البطش بهم لولا مخافة الخليفة قال في احدى خطبه (يا اهل الكوفة يا اهل الصغار والهوان لا عطاء لكم عندنا ولا رزق ولقد هممت أن أخرب بلادكم واحرمكم اموالكم والله ما علوت منبري الا اسمعكم ما تكرهون عليه فانكم أهل بغي وخلاف ولقد ساءلت امير المؤمنين أن يأذن لي فيكم ولو اذن لي لقتلت مقاتلتكم وسبيت ذراريكم)[٤] خفف من حدة هذه السياسة التي سار عليها يوسف بن عمر والذي لقي منه العراقيون القسوة

(١) الطبرى ـ الامم والملوك جـ ٩ ص ١٨
(٢) الطبرى ـ الامم والملوك جـ ٩ ص ١٩
(٣) البغدادى ـ مختصر الفرق بين الفرق ص ١٤٩
(٤) الطبرى ـ الامم والملوك جـ ٨ ص ٢٧٩

والعنف والحرمان من ارزاقهم واعطياتهم عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز الذي تودد الى العراقيين وحاول اعادة ارزاقهم اليهم وتقسيم فيئهم لـكنه جوبه بمعارضة جند الشام ووجد العراقيون فيه أثرا من آثار والده عمر بن عبدالعزيز الذين احبوه واثروه على كل خلفاء الدولة الاموية فعطمأنوا اليه وايدوه واخلصوا له الطاعة والتفوا حوله ضد الخليفة مروان بن محمد آخر خلفاء الدولة الاموية •

- مما تقدم يظهر لنا بوضـوح ان الامويـين خلفائهم وولاتهم عاملوا العراقيين معاملة خاصة واستنوا لهم سياسة اختلفت عما استنوه لحكم الولايات الاخرى سواء منها العربية وغير العربية ومع كل ما ابداه خلفاء الدولـة وولاتهم من شدة وعنف ومعاقبة زعماء العراق وحرمانهـم من ارزاقهـم وتشريدهم ونفيهم فلم يكن قدمهم ثابتا في العراق وانما وجدوا انفسهـم مهددين باستمرار بمعارضة العراقيين وثوراتهم وتمردهم عن سلطانهم •

الثورات العراقيـة :

قام العراقيون بثورات عديدة اختلفت اسبابها واتحدت اهدافها غايتهم التخلص من الحكم الاموي وازالته •

سار العراقيون في ثوراتهم ضد الامويين في سبل متعددة كل حسب هواه فمنهم من رأى رأى الشيعة فاتخذ من علي رمزا لنضاله وانظم الـى صفوفهم واشترك معهم في ثوراتهم ومنهم مـن رأى الخوارج فحـارب الامويين على مبدئهم وانصرف آخرون الى الزهد فان من خسر هذه الحروب ولم يستطع اقتناص الدنيا من ايدي الامويين تحولوا الى الزهد فيها ووضعوا امانيهم في الاخرة وما وعد الله به عباده المتقين فانصرفوا من متاع الدنيـا الى متاع الآخرة[1] ولا ادل على اختلافهم في الوسائل واتحادهم في الهدف ما جاء في رسالة احد العراقيين كان بعثها الى محمد بن الحنفيه قال (فما زال بنا الشين في حبكم حتى ضربت عليه الاعناق وابطلت الشهادات وشردنا في

(١) شوقي ضيف ـ التطور والتجديد في الشعر الاموى ص ٣٦

البلاد فكادوا بنا حتى هممت ان اذهب في الارض قفرا فاعبد الله حتى القاه لولا ان يخفي على أمر آل محمد وحتى هممت ان اخرج مع اقوام شهاداتنا وشهادتهم واحدة على امرائنا فيخرجون فيقاتلون ونقيم)[١] كما ان تعسف الامويين تجاه الشيعة وكبح جماحهم وقضائهم على ثوراتهم بكل قسوة دفعت الشيعة بعد فشلهم الى اتخاذ طريق السرية ونشر مذاهب وآراء جديدة في الدين ونتج من ذلك ظهور الفرق الشيعية المتطرفة وفرق الغلاة ليوجهوا الحياة الاسلامية في الطريق الذي يميلون اليه وانتشرت هذه الحركة الاجتماعية والدينية بصورة واسعة النطاق انضمت اليها جميع العناصر الاسلامية المعادية للعرب والامويين جميعا فأن التشيع الذي كان مبدأ امره الولاء لعلي واهل بيته ومساعدتهم لنيل حقوقهم في الخلافة تغير في آخر الامر واصبح وسيلة لغايات شتى من ذلك الغلو في التشيع الذي اختلفت مناهجه واتحدت اهدافه وهو الخروج عن قواعد الدين الاسلامي واحياء لعقائد قديمة كانت منتشرة في العراق فأقتبسوا من المزدكية ما تميزت به من اباحة وتحلل من القيود الخلقية واتوا بعقائد جديدة تعارض الاسلام والنظام الذي اقامه على اساس مدني مستمد من اقوم الاسس والمبادىء غايتهم من ذلك اضعاف الدين وهدم هذا النظام القائم الذي يفرض عليهم سلطانه[٢] .

ساعد على قيام هذه الحركة وانتشارها وجود الموالي الذين اسلموا والذين لم تعاملهم الدولة الاموية معاملة المسلمين العرب فحز في نفوسهم ووجدوا في التشيع وسيلتهم لنيل اغراضهم التي يسعون اليها .

يتضح مما تقدم اختلاف الوسائل التي سلكها العراقيون للوصول الى غاياتهم وهي التخلص من الدولة الاموية والقضاء عليها .

ولا يسعنا ازاء هذا الموقف الا أن نشيد بالروح العراقية التي اتسمت

---

(١) ابن سعد ــ الطبقات الكبرى ج ٥ ص ٦٩

(٢) جابر عبدالعال ــ حركة الشيعة المتطرفين ص ٣٣

بالتمرد على النظام وحبهم للحرية وسعيهم الى الاستقلال فانهم لم يتركوا سبيلا الا وحاولوا السير فيه فلما عجزوا في ثوراتهم لم يستسلموا لقوة السلطان أو واقع الامر فمنهم من خرج مهاجرا مفضلا ترك الوطن على تجرع مرارة الذل والظلم والحرمان • من هؤلاء من لجأ الى المدينة منهم سعيد بن جبير من فقهاء الكوفة وابو السوداء من عباد البصرة حتى ان الوليد بن عبدالملك ارسل حيان بن عثمان المرى الى المدينة ليجرح من بها من العراقيين اللاجئين[1] • واخرون ظلوا يناضلون ويكافحون بكل الوسائل للتخلص من هذا الاستغلال فكان ما ارادوا فقوضوا الدولة واتوا بدولة جديدة هي الدولة العباسية التي كان العراق مركزا لبث الدعاية السرية لها والتكتل السري الذي قاد العباسيين الى النصر فاستعاد العراقيون مركزهم الذي حرموا منه طيلة العهد الاموي •

أما الثورات العراقية العسكرية التي اثارها العراقيون ضد الدولة الاموية فيمكن تقسيمها الى خمسة أنواع مستندين في هذا التقسيم على اسباب ونتائج تلك الثورات • (١) ثورات علوية • اساسها الحب لعلي واهل بيته • سعت لاعادة حقهم المغتصب في الخلافة منها ثورة حجر بن عدي الكندي وثورة الحسين بن علي وحركة التوابين وثورة زيد بن علي بن الحسين • (٢) ثورات اقليمية قومية سعت الى استقلال العراق والتخلص من الحكم الاموي ويتفاعل معها العامل الشخصي لقائد الثورة منها ثورة عبدالرحمن بن الاشعث وثورة يزيد بن المهلب وغارات عبيدالله بن الحر • (٣) ثورات الخوارج ـ وهي ثورات استندت الى مبادىء خاصة بهم لم تتسم بطابع اقليمي قومي وانما سعت الى تثبيت الدين ليكون اساسا للخلافة • (٤) ثورات الموالي ـ سعي هؤلاء الى نيل حقوقهم التي لم يعترف بها الامويون والتي نالوها باعتناقهم الدين الاسلامي • (٥) ثورات شخصية حاول قادتها الوصول الى غاياتهم التي سعوا اليها هذه الثورات هي ثورة

---

(١) الطبري ـ الامم والملوك جـ ٨ ص ٩٣

المختار الثقفي ومطرف بن المغيرة وعبدالله بن معاوية •

أما اسباب هذه الثــورات فهي :ـ

١ ـ النزاع الذي حدث بين علي ومعاوية حول الخلافة مما ادى الى ظهور شيعة علي الذين اعتقــدوا بأن الخلافـة حق شرعي لعلي واولاده من بعده •

٢ ـ كذلك كان من نتائج هذا النزاع ظهور فرق الخـوارج التي سعت الى تثبيت الدين ليكون اساسا للخلافة ورأوا ان الواجب الديني يحتم عليهم محاربة هذه الدولة التي لا تستند على اساس ديني شرعي •

٣ ـ النزاع القديم الذي كان بين الغساسنة والمناذرة قبل الفتح الاسلامي•

٤ ـ ان العراقيين لم يكونوا قد تعودوا الخضوع للنظام نصعب عليهم أن يمتثلوا أوامر الدوالة الاموية •

٥ ـ سياسة الدولة وموقف الخلفاء والولاة من العراقيين ومعاملتهم بالقسوة وحرمانهم مما كانوا يتمتعون فيه من ارزاق واعطيات •

٦ ـ رغبة العراقيين في ان يكون مصرهم مركزا للخلافةالاسلاميةوشعورهم بانهم أحق بزعامة العالم الاسلامي من أهل الشام •

٧ ـ استغلال خلفاء بني امية اهل العراق في الفتوح دون أن يكون لهــم فيها نصيب كبير كما ان ولاة الدولة كانوا يجمرون جيوش العراقيين في المناطق البعيدة ليبعدوا عنهم شرها وخطرها فشعر العراقيون بسوء هذه المعاملة وتركهم العراق لاهل الشام يعيثون فيه الفساد •

٨ ـ ظهور بعض المغامرين الذين حاولوا أن يستغلوا شعور العداء للامويين ليحققوا اهدافهم وامانيهم •

٩ ـ السياسة المالية الخاطئة بابقاء الجزية على من اسلم من اهل الذمــة فاندفع هؤلاء الى الانضمام الى الثورات ليفوزوا بحرياتهم الشخصية ويحصلوا على المساواة الاجتماعية والسياسية •

١٠- زيادة الضرائب واعادة الضرائب التي كانت تؤخذ ايام الفرس مثل هدايا النيروز والمهرجان وفرض السخرة •

الثـورات العلويـة

ثورة حجر بن عدى الكندى :

قام الشيعة بثورات عديدة على الدولة الاموية يدفعهم حبهم لآل البيت غايتهم استرجاع الخلافة الى آل علي بن ابي طالب الذين اعتبروهم أحق بالخلافة من الامويين يدفعهم كرههم للدولة الاموية التي اذلتهم وحرمتهم من كثير مما كانوا يتمتعون به من اعطيات وارزاق •

اول هذه الثورات ثورة حجر بن عدي الكندي احد زعماء الكوفة في عهد معاوية وحجر صحابي جليل وفد على رسول الله (صلعم) واشترك في فتوح العراق واشترك في معركة القادسية وكان على ميمنة جيش هاشم بن عتبة بن ابي وقاص في معركة جلولاء سنة ١٦ هـ[١] وصحب عليا فكان من شيعته وحاول علي ان يوليه رياسة كندة احدى القبائل اليمانية في الكوفة ويعزل الاشعث بن قيس فأبى حجر أن يتولى الامر والاشعث حي[٢] قتل بأمر معاوية سنة ٥١ هـ وكان يعرف بحجر الخير[٣] • كان لمكانة حجر في الكوفة واهتمام معاوية بأمره ان كتب الى واليه على الكوفة المغير بن شعبة أن يأخذ زيادا وكان قد نزل الكوفة بعد استلحاقه وسليمان بن صرد الخزاعي وحجر بن عدي وشبث بن ربعي وابن الكواء وعمرو بن الحمق بالصلاة في الجماعة فكانوا يحضرون معه في الصلاة[٤] هؤلاء كانوا من اعوان علي واشد الناس حبا له فأهتمام معاوية بأمرهم دليل على رغبته في أن يأخذ أهل

---

(١) البلاذرى ـ فتوح البلدان ص ٢٦٤
(٢) الدنبورى ـ الاخبار الطوال ص ٢٢٦
(٣) الجاحظ ـ البيان والتبيين جـ ١ ص ٩٠
(٤) الطبرى ـ الامم والملوك جـ ٦ ص ١٠٣

الكوفة بالشدة والحزم ليظهروا طاعتهم للامراء وان يعلمهم ان طاعة الامراء فرض لا ينبغي التردد فيه والالتواء به وان من لم يعط الطاعة لا أمان له .

كان لهذه السياسة التي اتبعها معاوية في فرض سلطانه على العراقيين ان عرف أهـل العراق ان حياتهم قد تغيرت وانهم سيستقبلون من امرهم أشد واقسى مما كانوا يظنون .

اثار الشيعة وساءهم أن يسمعوا شتم زعيمهم وامامهم (علي بن ابي طالب في خطب الامراء اذ أن معاوية أمر عامله المغيرة بن شعبة **(٤١ ـ ٥٠)** أن يذم عليا وان يترحم على عثمان ويلعن قاتليه والدعاء لعثمان بالرحمـة والتزكية لاصحابه[١] . كان لذكر علي على مسامع اهل الكوفة اثره السيء في نفوسهم وكان حجر بن عدي أول من برم بهذا الامر وقاطـع المغيرة في خطبه فكان اذا سمع ذلك قال (بل اياكم فذمم الله ولعن ثم قام فقال ان الله عز وجل يقول كونوا قوامين بالقسط شهداء لله واني اشهد ان من تذمون وتعيرون لا حق بالفضل وان من تزكون وتطرون اولى بالذم)[٢] .

كان حجر يلقى تأييدا كبيرا من كثير من أهل الكوفة فاذا ما قاطـع المغيرة بن شعبة ورد عليه ثار اكثر من كان في المسجد مرددين ما قاله حجر ومعلنين تأييدهم لاقواله وثورته على المغيرة . قام المغيرة خطيبا في آخر ايامه فمدح عثمان وشيعته وذم قتلته فقام حجر فنعر نعرة سمعها كل من كـان في المسجد وقال (انك لا تدري بمن تولع من هرمك ايها الانسان مر لنـا بأرزاقنا واعطياتنا فانك قد حبستها عنا وليس ذلك لك ولم يكن يطمع في ذلك من كان قبلك وقد اصبحت مولعا بذم امير المؤمنين وتقريظ المجرمين قال فقام معه اكثر من ثلثي الناس يقولون صدق والله حجر وبر مر لنـا بأرزاقنا واعطياتنا فانا لا ننتفع بقولك هذا ولا يجدي علينا شيئا فاكثروا من

---

(١) الطبرى ـ الامم والملوك جـ ٦ ص ١٤٢
(٢) الطبرى ـ الامم والملوك جـ ٦ ص ١٤٢

هذا القول ونحوه فنزل المغيرة ودخل داره[1] .

الا ان المغيرة لم يكن يحفل بهذه المقاطعة وهذا التحدي الذي اظهره حجر واصحابه من زعماء القبائل الذين كانوا يرون رأيه ومنهم من كان قد اشترك في قتل الخليفة عثمان بن عفان مثل عمرو بن الحمق فلما كلمه قومه بأمر حجر واجترائه عليه رد عليهم قائلا (اني قد قتلته انه سيأتي أمير بعدي فيحسبه مثلي فيصنع به شبيها بما ترون فيأخذه عند اول وهلة فيقتله شر قتلة انه قد اقترب اجلي وضعف عملي ولا احب أن ابتدأ أهل هذا المصر بقتل خيارهم وسفك دمائهم فيسعدوا بذلك واشقى ويعز في الدنيا معاوية ويذل يوم القيامة المغيرة ولكني قابل من محسنهم وعاف من مسيئهم وحامد حليمهم وواعظ سفيهم حتى يفرق الموت بيني وبينهم وسيذكرونني لو قد جربوا العمال بعدي)[2] .

وحدث ما كان يتوقعه المغيرة فلما جمع معاوية بن ابي سفيان ولاية الكوفة والبصرة لزياد بن ابي سفيان سنة **٥١** هـ دخل زياد الكوفة وخطب في مسجدها وذكر كما كان يفعل المغيرة عثمان بن عفان وترحم عليه وقرظ اصحابه ولعن قاتليه واظهر ذم علي بن ابي طالب فعارضه حجر كما كان يفعل مع المغيرة وزاد في انه لما خرج زياد الى البصرة واستخلف عمرو بن حريث على الكوفة ثار به حجر وحصبه فبلغ ذلك زيادا بن ابي سفيان وبلغه ايضا ان حجر يجتمع اليه شيعة علي ويظهرون لعن معاوية والبراءة منه فشخص زياد الى الكوفة وجوبه بتحد من حجر حينما اطال الخطبة وتأخرت الصلاة فقام حجر وصلى وصلى معه اصحابه فاضطر زياد الى قطع الخطبة واقامة الصلاة فكان لهذا العمل وهذا التحدي اثره السيء في نفس زياد فلما ارسل الشرط للاتيان بحجر امتنع عنه وشتم اصحاب الشرط وامتنع هو واصحابه أن يأتوا زيادا فوثب زياد باشراف الكوفة وقال

---

(١) الطبرى ــ الامم والملوك جـ ٦ ص ١٤٢

(٢) الطبرى ــ الامم والملوك جـ ٦ ص ١٤٢

لهم اتشجون بيد وتأسون باخرى ابدانكم معي واهواؤكم مع حجر وهددهم ان لم يستجيبوا له والا جلب عليهم من يقيم اودهم ولم يكتف بذلك التهديد بل استغل الخصومات القبلية وتمكن من ان يضرب بعضا ببعض واجبر زعيم كندة وابن عم حجر محمد بن الاشعث وهدده ان لم يأت بحجر والا كان هلاكه فلما علم حجر بذلك أخبر محمد بن الاشعث بانه سوف يسلم نفسه وان عليه أن يسأل زياد له الامان حتى يبعثه الى معاوية[1] اسرع زياد الى الاستجابة لطلب حجر وقبض عليه وحبسه وحبس معه عددا من اصحابه واجبر زعماء الكوفة ورؤساء الارباع على تحرير شهادة يدينون بها حجر واصحابه وكان ما اتهم به حجر واصحابه وشهد عليه اولئك الزعماء (ان حجرا جمع الجموع واظهر شتم الخليفة ودعا الى حرب أمير المؤمنين وزعم ان هذا الامر لا يصلح الا في آل ابي طالب ووثب بالمصر واخرج عامل أمير المؤمنين واظهر عذر ابي تراب والترحم عليه والبراءة من عدوه واهل حربه)[2] .

ارسل زياد حجر ومعه احد عشر زعيما من اصحابه الى معاوية وقد كلم معاوية في امرهم فعفي عن ستة وامر بقتل الستة الآخرين وقد تشدد في أمر حجر ورفض كل شفاعة في امره الا انه عرض عليهم أمرا وارسل اليهم رسولا يبلغهم ذلك العرض وكان هذا العرض الذي عرضه الرسول (ان امير المؤمنين قد أمرني بقتلك يا رأس الضلال ومعدن الكفر والطغيان والمتولي لابي تراب وقتل اصحابك الا ان ترجعوا عن كفركم وتلعنوا صاحبكم وتتبرؤا منه فقال حجر وجماعته ممن كان معه ان الصبر على حد السيف لا يسر علينا مما تدعون اليه ثم القدوم علي نبيه وعلي وصيه أحب الينا من دخول النار واجاب نصف ممن كان معه الى البراء من علي)[3] .

---

(١) الطبرى ـ الامم والملوك جـ ٦ ص ١٤٨
(٢) الطبرى ـ الامم والملوك جـ ٦ ص ١٥٠
(٣) المسعودى ـ مروج الذهب جـ ٣ ص ١٣

ولما لم يستجب حجر لنداء معاوية قتل وكان ذلك في سنة ٥١ هـ فلما قتل حجر واصحابه استفظع أهل الكوفة استفظاعا شديدا[١] واحدث اثرا عميقا في نفوسهم واعتبرت القبائل ذلك عارا عليها انها لم تنقذ اصحابها من سلطان الدولة . ونظر الشيعة الى حجر واصحابه في الاضطهاد نظرتهم الى الشهداء[٢] وشارك المسلمون أهل الكوفة ذلك الاستياء الذي جاء نتيجة لمقتل حجر حتى ان عائشة أم المؤمنين لامت معاوية على قتله حجر[٣] ودخل مالك بن هبيرة على معاوية وقال له يا أمير المؤمنين اسأت في قتلك هؤلاء النفر ولم يكونوا احدثوا ما استوجبوا القتل فقال معاوية قد كنت هممت بالعفو عنهم الا ان كتاب زياد ورد علي يعلمني انهم رؤساء الفتنه واني متي قتلتهم اجتثثت الفتنة من اصولها[٤] وكان زياد قد بعث اليه كتابا قال فيه اذا كانت لك في هذا المصر حاجة فلا ترجع حجر واصحابه[٥] .

يتضح مما تقدم ان ثورة حجر بن عدى الكندي لم تكن ثورة مسلحة ولكن معاوية أهتم بها اهتماما كبيرا خوف الفتنه وانه عول الا يقع في الخطأ الذي وقع به عثمان بن عفان عندما عفا عن زعماء الكوفة وردهم الى مصرهم فكانوا ان اثاروا الناس عليه وقتلوه .

وقد ندم معاوية على قتله حجرا فقال عند موته (يوم لي من ابن الادبر طويل قالها ثلاث مرات يعني حجرا)[٦] وانتقد على فعلته هذه فيما بعد ومما قاله الحسن البصري (اربع خصال كن في معاوية لو لم تكن فيه منهن الا واحدة لكانت موبقة انتزاؤه على هذه الامة بالسفهاء حتى ابتزها امرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذو الفضيلة واستخلافه ابنه بعده سكيرا

---

(١) الدنبورى ـ الاخبار الطوال ص ٢٢٦
(٢) ولهاوزن ـ الدولة العربية وسقوطها ص ١٠٣
(٣) الطبرى ـ الامم والملوك جـ ٦ ص ١٥٦
(٤) الدنبورى ـ الاخبار الطوال ص ٢٣٨
(٥) الطبرى ـ الامم والملوك ـ جـ ٦ ص ١٥٣
(٦) الطبرى ـ الامم والملوك جـ ٦ ص ١٥٦

خميرا يلبس الحرير ويضرب بالطنابير وادعاؤه زياد وقتله حجر بن عدي واصحابه قالها ثلاث مرات) كان من أهم النتائج التي تمخضت عن مقتل حجر تكتل الشيعة وخروج نفر منهم الى الحسين بن علي (رض) يراجعونه ويحرضونه على الخروج لكن الحسين أبى ولم ير مبررا للخروج على معاوية وكان قد بايعه ووفى له معاوية بكل الشروط التي اشترطها • كماتنبه أهل الكوفة اثر مقتل حجر الى ان الخلافة لم تعد تهتم بالامور الدينية انما اهتمامها سياسية الناس وتأمين استقرار الدولة وبدأت فكرة التشيع تتخذ طابعا سياسيا دينيا وزاد في تثبيت التشيع السياسة الاموية العنيفة ضد هؤلاء فازدادوا من جانبهم تمسكا بعقيدتهم ولو ان الامويين ساروا على سياسةاخرى تتصف باللين وحسن المعاملة واهتموا بمصالح العراقيين لكان من الممكن ان لا يقوم حزب شعبي بهذه القوة وهذا الاستمرار فان الشدة غالبا ما تدفع اصحاب العقائد الى التمسك بها والكفاح من اجلها وتثير اهتمامهم ليظهروا للحاكمين ان شخصيتهم لا يمكن ان تفنى وتندمج في شخصيته وانما يحافظون على بقاء هذه الشخصية استجابة لصدق ايمانهم بحقهم في الحياة لتطمأن نفوسهم الى حياة افضل رافعة عنها الذل والخنوع الذي لم تعوده وتركن الى من ترضاه حاكما لها تنبثق ارادته من ارادتهم وافعاله من افعالهم •

ثورة الحسين بن علي بن ابي طالب (رض)

تولى يزيد بن معاوية الخلافة بعد وفاة معاوية بوصية منه وكان معاوية قد عمل على توكيد هذه البيعة واخذ الناس بها ولم تكن موافقة أهل العراق صريحة واضحة أو انهم لم يوافقوا على تولية يزيد كما ان الحسين كان يرى انه احق من يزيد لهذا الامر وكان على اتصال بأهل العراق زمن معاوية الذين طلبوا اليه الخروج لكنه ابى عليهم وكان قد بايع معاوية ووفى معاوية له بكل الشروط التي اشترطها عليه فلما تولى يزيد رأى أهل العراق

ان الوقت قد حان لكي يخرج الحسين فكثـــرت رسائلهم اليـــه تدعوه الى الكوفة ويلحون عليه بالقدوم فارسل الحسين مسلم بن عقيل ليتحقق مـــن صدق العراقيين وتأييدهم فلما قدم مسلم الكوفة اظهر اهلها له صدق ولاءهم فارسل بدوره الى الحسين يعلمه اتفاق اهل الكوفة على بيعته والتفافهم حوله وكان والي الكوفة آنذاك النعمان بن بشير الانصاري الذي لم يظهر أي حزم في تعقب مسلم ومن التف حوله فارسل يزيد الى عبيدالله بن زياد يأمره ان يضم اليه الكوفة وان يحتاط لامر الحسين فتمكن عبيدالله من القضاء على حركة مسلم بن عقيل وقتله بعد أن تفرق عنه أهـــل الكوفـة ولم يوفوا بعهودهم التي عاهدوه عليها . أما الحسين فكان قد خرج الى العراق بعد أن علم من مسلم موقف أهل الكوفة فلما قرب من الكوفة سمع بمقتـل مسلم وحاول الرجوع فارسل عبيدالله بن زياد جيشا بقيادة عمر بن سعد بن ابي وقاص قضى على الحسين ومن معه من أهل بيته وحملت نساءه الى دمشـق فأعادهم يزيد الى المدينة ولم يخرج أهل الكوفة لنصرة الحسين الذيـــن كانوا قد قطعوا على انفسهم عهدا ان ينصروه ويؤازروه بل وقفوا متفرجين وعيونهم تذرف الدمع فهم كما عبر عنهم الفرزدق الشاعر الذي قال للحسين قلوب الناس معك وسيوفهم عليك وكان الذي ساعـد عبيـدالله بن زياد في القضاء على هذه الحركة ان الامويين عامة كانوا يكثرون من العطاء للزعماء واشراف الناس فيؤثر ذلك في موقفهم ويمنعون عشائرهم عن الثورة خوفـا من أن يفقدوا ما منحوا من امتيازات فقد ساعد زعماء الكوفة عبيدالله بن زياد الذين عظمت رشوتهم وملئت غرائرهم حينما دخلوا القصر وتحصن فيـــه وخرج هؤلاء الزعماء ينادون على عشائرهم بأن يكفوا ويتخلوا عن مسلم بن عقيل وبذلك نجح عبيدالله بن زياد في القضاء على هذه الثورة كما نجح ابوه من قبل في القضاء على ثورة حجر بن عدي الكندي وكان لمقتل الحسين أثر عظيم في نفوس المسلمين عامة كما كان لمعاملة أهل بيته ونسائه وترحيلهم الى دمشق اسارى وسبايا كما تحمل العبيد والامـــاء اثره المحزن والاليم

فاستفظع الناس تلك الفعلة النكراء وذلك الحدث العظيم الذي كان له اعمق الاثر في تطور موقف الشيعة واتساع الهوة بينهم وبين الدولة الاموية تلك الهوة التي زادت اتساعا بمرور الايام كان مقتل الحسين بن علي (رض) سنة ٦١ هـ •

اتحد الشيعة في الكوفة من جديد لينتقموا من قاتلي الحسين وليكفروا عن خذلانهم وعدم وفاءهم له بالنصر والتأييد فلم يخرجوا لنصرته وقد قتل بين ظهرانيهم وتجمع هؤلاء تحت قيادة احدهم هو سليمان بن صرد الخزاعي وسموا انفسهم بالتوابين •

التوابون

هم الذين ندموا على خذلانهم الحسين بن علي (رض) ومقاتلتهم له ونصرتهم لقتله بعد ارسالهم اليه واستدعائهم له القدوم عليهم وبذلهم له النصر وتابوا من ذلك وسموا بالتوابين[1] • لما قتل الحسين بن علي ورجع عبدالله بن زياد أمير العراق آنذاك الى الكوفة تلاقت الشيعة بالتلاوم والتندم ورأت انها اخطأت خطأ كبيرا بدعائهم الحسين الى النصر ونكرهم اجابته ومقتله الى جانبهم ولم ينصروه ورأوا انهم لا يغسل عارهم والاثم عنهم من مقتله الا بقتل من قتله والفتك به ففزعوا الى خمسة من زعماء الشيعة وهم سليمان بن صرد الخزاعي والمسيب بن نجبه الفزاري وعبدالله بن سعد بن نفيل الازدي وعبدالله بن وال التميمي ورفاعه بن شداد البجلي[2] واجتمعت على تأمير سليمان بن صرد الخزاعي وهو صحابي جليل ومن السابقين الى الاسلام وكان من اشد الناس حبا لعلي واهل بيته وكان يطلق عليه شيخ الشيعة قام سليمان بعد تأميره خطيبا قال (اني اخاف الا يكون اخرنا الى هذا الدهر الذي نكدت فيه المعيشة وعظمت فيه الرزيه لما هو

(١) ابن طباطبا ـ الفخري ص ٨٨
(٢) الطبري ـ الامم والملوك ج ٧ ص ٤٧

خير لنا نمد اعناقنا الى قدوم آل نبينا ونعدهم نصرنا ونحثهم على المسير الينا فلما قدموا الينا ونينا وعجزنا وداهنا وتربصنا حتى قتل ولد نبينا وسلالته وبضعة من لحمه فاتخذه الفاسقون غرضا للنبل وذرية للرماح فلا ترجعوا الى الحلائل والابناء حتى يرضى الله عنكم أن تناجزوا من قتله وتبيروه ولا تهابوا الموت فو الله ما هابه أحد قط الا ذل وكونوا كتوابي بني اسرائيل اذ قال لهم نبيهم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلك خير لكم عند بارئكم فما فعل القوم جثوا والله على الركب ومدوا الاعناق ورضوا بالقضاء انه لا ينجيهم من عظم الذنب الا الصبر على القتل فكيف بكم لو قد دعيتم الى مثل ما دعا القوم اليه اشحذوا السيوف وركبوا الاسنة واعدوا لعدوكم ما استطعتم من قوة)[1] .

في هذه الخطبة بين سليمان بن صرد الخزاعي مذهب التوابين وعزمهم على الاخذ بثأر الحسين ممن تجرأ عليه وقتله .

اجتمعت الشيعة حول سليمان بن صرد وكثر من اتبعه من أهل الكوفة ثم كاتب الشيعة في الامصار فكتب الى سعد بن حذيفة بن اليمان وكان في المدائن فاستجاب له ومن كان في المدائن من الشيعة وكتب الى الشيعة في البصرة فأجابوه واتفقوا معه على الخروج للاخذ بثأر الحسين[2] .

كان بدء أمر التوابين سنة ٦١ هـ الا انهم لم يجرأوا على الظهور واعلان امرهم الا بعد وفاة يزيد بن معاوية وخروج عبيدالله بن زياد من البصرة بعد أن ثار به اهلها كما ثار اهل الكوفة بعاملهم عمرو بن حريث فاضطربت الاحوال وبايع أهل الكوفة عبد بن الزبير الذي بايعته اكثر الامصار الاسلامية فولي عبدالله بن الزبير على الكوفة عبدالله بن يزيد

---

(١) البلاذري ــ انساب الاشراف جـ ٥ ص ٢٠٦

(٣) البلاذري ــ انساب الاشراف ص ٢٠٦

الخطمي الذي شجع التوابين على الاخذ بثأر الحسين والخروج لقتال قتلته عند ذلك أظهر التوابون أمرهم علانية واخذوا يشترون السلاح ويتجهزون ظاهرين لا يخافون احدا[1] • ثم اضاف عبدالله بن يزيد الى تشجيعه اياهم بالخروج طلبه اليهم تأخير خروجهم ليشترك معهم في قتال عبيدالله بن زياد وان يرسل معهم جيشا لمساعدتهم فرفض سليمان بن صرد وقرر الخروج بمن معه في الموعد الذي اتفق عليه مع اصحابه •

في الوقت الذي كان فيه التوابون يتجهزون للخروج لقتال الامويين ظهر المختار بن عبيد الثقفي الذي اخذ يدعو الناس اليه ويعلن لهم انه مرسل من محمد بن الحنيفة لينتقم من قتلة الحسين ويرغبهم عن الخروج مع سليمان بن صرد فكان يقول لهم (انما يريد سليمان ان يخرج بكم ليقتل نفسه ويقتل انفسكم ليس له بصر في الحرب ولا علم له بها)[2] •

تمكن المختار الثقفي من أن يجذب اليه عددا ممن كان مع سليمان بن صرد مما ادى الى قلة من خرج مع سليمان •

خرج سليمان بن صرد سنة ٦٤ هـ وعسكر بالنخيلة قرب الكوفة ودعا اصحابه للخروج فخرج عدد قليل ولم يخرج كل من كان قد سجل في ديوانه فارسل مناديا الى أهل الكوفة ينادي بالثارات الحسين فاستجاب لهذا النداء عدد كبير منهم ومنهم ممن لم يكن مسجلا في ديوانه فبلغ عدد من خرج مع سليمان ثلاثة الاف من ستة عشر الفا يريد ملاقاة عبيدالله بن زياد الذي خرج بجيش كبير عدته ستون الفا كان قد بعثه مروان بن الحكم ليعيد العراق والجزيرة الى سلطات الامويين •

التقى الجيش الاموي بقيادة عبيدالله بن زياد بالتوابين في عين الوردة[3] وجرت مفاوضات قبل القتال عرض التوابون عروضا لمنع القتال

---

(١) البلاذري ـ انساب الاشراف ص ٢٠٨
(٢) الطبري ـ الامم والملوك جـ ٧ ص ٥٣
(٣) عين الوردة ـ رأس العين من الجزيرة

وقد طلبوا ان يدفع اليهم عبيدالله بن زياد ليقتلوه ببعض من قتل من اخوانهم وان يخلعوا عبدالملك بن مروان وعليهم أن يخرجوا من بلادهم آل الزبير ثم يردوا هذا الامر الى أهل بيت النبي[1] فأبى جيش عبيدالله بن زياد ودارت رحى الحرب بين قوتين غير متعادلتين فقتل اكثر الشيعة وقتل زعيمهم سليمان بن صرد واثنان من اصحابه هما المسيب بن نجية الفزاري ورفاعة بن شداد البجلي[2] ثم التجأ الباقون الى الفرار فنجا منهم من نجا وهلك من هلك .

وهكذا انتهت هذه الحركة لتبقى لها اثرا في نفوس العراقيين وتذكرهم باعمال الامويين .

كانت هذه الحركة حركة شعبية غايتها الانتقام من قتلة الحسين والانتقام من انفسهم لانهم دعوه ولم ينصروه وقد قتل بين ظهرانيهم .

مما يلاحظ على هذه الحركة التكتل السري والتنظيم الذي كان يجمع الشيعة في شكل حزب منظم جمع اشتات الشيعة من كل انحاء العراق وكان لهذا الحزب رئيس اطلق عليه شيخ الشيعية وكما يلاحظ على هذه الحركة اثر مقتل حجر بن عدي الكندي ومقتل الاخرين من زعماء الشيعة كذلك ليظهر التوابون ايمانهم العميق بحب آل البيت والبذل في سبيلهم بكل ما لديهم من قوة لا تقف نفوسهم في سبيل ذلك الهدف الذي سعى اليه الشيعة طيلة العصر الاموي ذلك الهدف هو ارجاع الخلافة الى اصحابها الشرعين من آل البيت .

---

(١) البلاذري ـ انساب الاشراف جـ ٥ ص ٢١٧
(٢) الطبري ـ الامم والملوك جـ ٧ ص ٦٦

زيد بن علي

ان الثورات التي اعلنها العراقيون على الدولة الاموية غضبا لاهل البيت وما لقى اولئك النفر من بيت الرسول من عنف وقتل وتشريد لم تبرأ من اسباب اخرى اسباب شخصية حاول زعماء الثورات أن يستغلوا ميل العراقيين لهذا البيت ليصلوا الى ما كانت تصبوا انفسهم من شأن كما فعل المختار الثقفي واسباب اخرى تتصل باهل العراق انفسهم فانهم وجدوا ان خير سبيل لالتفاف الناس واجتماعهم هو الدعوة لاهل البيت ليصلوا من وراء ذلك الى اهدافهم التي كانوا يسعون اليها للتخلص من الامويين وتحقيق اهداف خاصة بهم كما فعلت فرق الغلاة والمتطرفين أو انصاف الضعفاء من الموالي وتخليصهم مما كان يحيق بهم من جور وظلم . وهذه ثورة زيد بن علي تتضح فيها تلك الاهداف التي عمل العراقيون على تحقيقها فقد ثار زيد ايام هشام بن عبدالملك وولاية يوسف بن عمر الثقفي سنة ١٢١ هـ .

كان زيد من عظماء اهل البيت علما وزهدا وورعا وشجاعة ودينا وكرما وكان دائما يحدث نفسه بالخلافة ويرى انه اهل لذلك[١] وكان اتصال امره باهل الكوفة اثر عزل خالد بن عبدالله القسري عن العراق وتولية يوسف بن عمر من قبل هشام بن عبدالملك وقد طولب خالد بمال اتهم باختلاسه فادعى ان له مالا عند زيد واشخاص آخرين فاستدعاهم هشام ليسألهم عن هذه الاموال التي ادعى خالد بوجودها لديهم فانكروا ذلك فارسلهم هشام الى يوسف ليجمع بينهم وبين خالد ويستوضح امر هذه الاموال فلما احضرهم يوسف جميعا بخالد وعرض لهم ادعاء خالد انكروا ان لخالد عندهم مالا وانكر خالد ذلك ايضا فغضب يوسف بن عمرو وصب جام غضبه على خالد وعذبه عذابا أليما حتى كادت نفسه ان

(١) ابن طباطبا ـ الفخري ص ٩٦

نزهق ثم احضروا الى المسجد بناء على امر هشام فحلفوا ان خالد لم يستودعهم أي مبلغ من المال فلما انتهى أمر ذلك طلب يوسف بن عمر الى زيد ان يسرع بالرحيل والخروج من الكوفة بناء على أمر هشام الذي امره وان لا يدعه يطيل المقام بها خوفا من ان يدعو الناس الى ما كان يحدث نفسه من الوصول الى الخلافة وكان هشام قد شعر بذلك حينما هدده زيد اذ قال له عندما امره هشام بالخروج بعد مناقشة حادة قال زيد (اخرج ولا تراني الا حيث تكره)[١] كذلك خشي هشام ان يجد أهل الكوفة فيه أملا جديدا لاعلان الثورة على الدولة الاموية كتب الى يوسف (اما بعد فقد علمت بحال اهل الكوفة في حبهم أهل هذا البيت ووضعهم اياهم في غير مواضعهم لانهم افترضوا على انفسهم طاعتهم ووظفوا عليهم شرائع دينهم ونحولهم علم ما هو كائن حتى حولوهم من تفريق الجماعة على حال استخفوهم فيها الى الخروج وقد قدم زيد على امير المؤمنين فوجده حلو اللسان خليقا بتمويه الكلام فعجل اشخاصه الى الحجاز ولا تخله والمقام قبلك فانه ان اعاره القوم اسماعهم فحشاها من لين لفظة وحلاوة منطقه مع ما يدلي من القرابة لرسول الله (صلعم) وجدهم ميلا اليه غير متئدة قلوبهم ولا ساكنه احلامهم ولا مصونة عندهم اديانهم[٢] لكن زيد ابطأ بالخروج من الكوفة لما وجد من اهلها ميلا اليه وتشجيعا منهم بالثورة وقد لحقوا به الى خارج الكوفة واقنعوه بالرجوع اذ قالوا له (اين تذهب ومعك مائة الف سيف وليس عندنا من بني امية الا نفر قليل)[٣] ولكن زيد خاف غدرهم وذكرهم بفعالهم السابقة فقالوا له نناشدك الله الا ما رجعت ونحن نبذل انفسنا دونك ونعطيك من الايمان والمواثيق ما تثق به فانا نرجو ان تكون المنصور وان يكون هذا الزمان

---

(١) الطبري ـ الامم والملوك ج ٨ ص ٢٦٣
(٢) الطبري ـ الامم والملوك ج ٨ ص ٢٦٥
(٣) ابن طباطبا ـ الفخري ص ٩٦

الذى يهلك به بنو امية فلما رأى تصميمهم واجماعهم قرر الرجوع وصادف ذلك هوى في نفسه وتجاوبا مع ما كان يحدث به نفسه بالخلافة ويرى انه اهل لذلك[1] كما ساعده على الخروج سياسة خالد بن عبدالله القسري والي العراق قبل يوسف بن عمر تجاه العلويين الذى عطف عليهم ورعى امورهم كتب يوسف بن عمر الى هشام بن عبدالملك (ان اهل هـذا البيت من بني هاشم قد كانوا هلكوا جوعا حتى كانت همة احدهم قوة عالية فلما ولي خـالد العراق اعطاهم الاموال فقووا بها حتى تاقت انفسهم الى طلب الخلافة وما خرج زيد الا عن رأى خالد والدليل عـلى ذلك نزول خالد بالقرية على مدرجة العراق يستنشيء اخبارها)[2] فلمـا استقر زيد في الكوفة وثبت مركزه عند اهلها اخذ يرسل دعاته الى الكور والامصار يدعوهم الى نصرته وتأييده ولقت دعوته مجيبين ومؤيدين من اهـل الموصل وواسط وخراسان والرى والجزيرة وجرجان[3] وكانت دعوتـه التي بايع عليها الناس هي (انما ندعوكم الى كتاب الله وسنـة نبيه ورد المظالم والدفاع عن المستضعفين واعطاء المحرومين وقسم هذا الفيء بـين اهل السواد وجهاد الظالمين ونصرة أهل هذا البيت على من نصب لنـا وجهل حقنا)[4] .

اتفق زيد مع من بايعه على موعد لاعلان الثورةوالخروج على الدولة لكن يوسف بن عمر كان على علم بأمر زيد فأخذ يضايقه ويلح في طلبه حتى اضطر زيد الى اعلان الثورة قبل الموعد المحدد وكان ذلك سببا مـن اسباب فشله بالاضافة الى تخلى العراقين عنه وانفضاضهم من حوله لانـه لم يوافقهم على الطعن بأبي بكر وعمر وخلافهما فرفضوا الاستمرار معـه

---

(١) ابن طباطبا ـ الفخري ص ٩٦
(٢) الطبري ـ الامم والملوك جـ ٩ ص ١٨٠
(٣) ابن طباطبا ـ الفخري ص ٩٦
(٤) الطبري ـ الامم والملوك جـ ٨ ص ٢٦٧

في الثورة وتخلوا عنه وسموا روافض[1] كما ان يوسف بن عمر حصر أهل الكوفة في المسجد ومنعهم من الخروج والانضمام الى زيد وبقي زيد في قلة من اصحابه وقاتل قتالا مستميتا لكن شجاعته وبسالته لم تفده في وجه قوة يوسف من أهل الشام فقتل بسهم طائش ودفنه اصحابه الا ان يوسف اخرج جثته وصلبها وبقت مدة طويلة في كناسة الكوفة ليكون عبرة لمن تسول له نفسه بالثورة والعصيان وهكذا انتهت الثورة بالفشل كغيرها من الثورات التي حاول بها العراقيون تحقيق اهدافهم وازالة سلطان الامويين عنهم كما تبين استمرار اهل الكوفة مع الزمن في ميلهم للبيت العلوى كذلك تظهر طموح هؤلاء الزعماء وجهادهم في سبيل اعادة هذا الحق الذى اغتصبه الامويين منهم وتظهر محاولة الموالي للحصول على المساواة الاجتماعية ورفع الغبن عنهم .

ثورة عبدالرحمن بن محمد بن الاشعث

سياسة الحجاج في العراق :

حكم الحجاج العراق حكما عسكريا عرفيا واشتد في معاملة اهله وبسط عليهم سلطانه بالقوة والشدة فقد رأى فيهم اعداء يتربصون به ليزيلوا سلطانه وسلطان الدولة الاموية لذلك فانه لم يكتف انزال العقاب الصارم بهم والفتك بهم وزجهم في السجون وقتل الناس على الريبة والظنة دون أن يجهد نفسه في الركون الى اليقين وتقرير الحق الذى يخوله ان ينزل عقابه غير متجاوز لحقوق الله وحقوق الناس بل عمد الى ابعادهم عن العراق بارسالهم في البعوث البعيدة للفتح وحماية الثغور وابقاء جند الشام في العراق ليحافظوا على الامن والنظام والاستقرار .

شعر العراقيون ان في ارسالهم الى هذه الفتوح البعيدة وابعادهم عن وطنهم الحبيب واهلهم واولادهم دون أن تعترف الدولة بحقوقهم في العطاء

(١) الرازي ـ اعتقادات فرق المسلمين والمشتركين ص ٥٢

والرزق اسوة باهل الشام ان الواجب يدعوهم ان يرفعوا عنهم هذا الغبن فما عليهم الا أن ينتهزوا الفرص للثورة على هذه الدولة التي اذلتهم واستغلتهم للتخلص منها ومن استغلالها وقد اتيحت لهم الفرصة لاعلان الثورة على الحجاج بخاصة وعلى الدولة الاموية عامة وذلك عندما ثاروا مع عبدالرحمن بن الاشعث الكندى •

وعبدالرحمن بن محمد بن الاشعث زعيم من زعماء الكوفة ورئيس قبيلة كندة اليمانية وقد اشترك هو وابوه وجده في كثير من الحوادث البارزة في التاريخ الاسلامي فجده الاشعث بن قيس اشترك مع علي بن ابي طالب في حرب صفين سنة ٣٧ هـ ضد معاوية بن ابي سفيان وكان من اشد الناس حبا لايقاف القتال وقبول التحكيم واختيار ابي موسى الاشعرى حكما وكان موقفه هذا يدل على انه لم يكن مخلصا في خروجه ومؤازرته لعلي بن ابي طالب[1] وقد حاول علي عزله عن رياسة كندة وتولية حجر بن عدى الكندى محله الا ان حجر رفض تولي رياسة كنده والاشعث حي •

أما ابوه محمد بن الاشعث فقد اشترك في الحوادث البارزة من حوادث العراق فقد ولاه عبدالله بن الزبير الموصل الا انه تركها وانحاز الى المختار بتأثير ابنه عبدالرحمن اذ قال له على ماذا نقيم في غير عز ولا متعة ولا انتظار قوة ولم يزل به حتى قدم الكوفة وبها المختار ومعه ابنه عبدالرحمن والتحقا بمصعب بن الزبير امير البصرة وكانا خرجا مع من خرج من زعماء الكوفة خوفا من بطش المختار واستياء منه لمساواته الموالي بالعرب واشترك محمد وابنه في قتال المختار فقتل محمد في تقديم مصعب نحو الكوفة[٣] وقد انتقم عبدالرحمن لابيه من الذين استسلموا لمصعب بعد مقتل المختار ونزولهم على حكمه وكان عددهم سبعة آلاف وكاد مصعب ان يعفو عنهم لولا ثورة

(١) ابن الاثير – الكامل في التاريخ ج ٣ ص ١٦٢
(٢) البلاذري – انساب الاشراف ج ٥ ص ٢٧٩
(٣) الطبرى – الامم والملوك ج ٧ ص ١٤٧

عبدالرحمن عليه اذ قال له اتخلي سبيلهم اخترنا يابن الزبير أو اخترهم[1] فاضطر مصعب الى قتلهم جميعا صبرا فكانت مذبحة قتل فيها امة من المسلمين ثم خدم تحت لواء بشر بن مروان امير العراق من قبل عبدالملك بن مروان (٧٣ - ٧٥ هـ) وتحت امرة الحجاج بن يوسف الثقفي فتولى قيادة اكثر من جيش لمحاربة الخوارج[2] وفي سنة ٨٢ هـ تزعم اعظم ثورة عراقية اشترك فيها العراقيون من مختلف الطوائف عرب وغير عرب هدفهم التخلص من الحجاج وظلمه وشدته ثم التخلص من الامويين واقامة حكم عراقي ينبثق عن ارادة العراقيين ورغبتهم الا ان الحجاج وقف في وجه هذه الثورة بسالته المعهودة فتمكن من القضاء عليها وفر زعيمها بن الاشعث الى رتبيل ملك الترك الذي حاول تسليمه الى الحجاج الا ان عبدالرحمن بن الاشعث فضل الانتحار على أن يقع في يد عدوه الحجاج وكان موته سنة ٨٦ هـ .

كان بدء هذه الثورة عندما ارسل الحجاج بن يوسف الثقفي جيشا لمحاربة الترك وملكهم رتبيل ملك سجستان سنة ٧٩ هـ بقيادة عبيدالله بن ابي بكرة تمكن عبيدالله من التوغل في بلاد سجستان اول الامر ثم لما ذهب بعيدا في توغله اطبق عليه رتبيل وقضى عليه وقتل اكثر جيشه فلم ينج الا القليل[3] اثرت هذه النكبة في نفس عبدالملك بن مروان ونفس الحجاج الذي عزم على الانتقام من رتبيل وقومه فجهز جيشا كبيرا عدده اربعين الفا عشرين الفا من البصرة وعشرين الفا من الكوفة وولى قيادة ذلك الجيش عبدالرحمن بن الاشعث والمورخون يذكرونه دائما بابن الاشعث ينسبونه الى جده رأسا وكان الحجاج قد امره أن يتقدم لمحاربة رتبيل والانتقام منه. لم تكن علاقة الحجاج بابن الاشعث علاقة حسنة فكان يشعر كل منهم تجاه الآخر بالكراهية ويحاول كل منهم التخلص من الآخر منتظرا الفرصة

(١) الطبرى - الامم والملوك ج ٧ ص ١٥٧
(٢) الطبرى - الامم والملوك ج ٧ ص ١٩٣
(٣) الطبرى - الامم والملوك ج ٧ ص ٢٨٢

المواتية فكان الحجاج يقول ما رأيته قط الا اردت قتله[١] .

أما ابن الاشعث فكان يحمل كراهية اكثر واشد وكان يضمن في نفسه عزمه على اجهاد الحجاج والتخلص منه ان مكنته الظروف قال مخاطبا عامر الشعبي الذي نقل له قول الحجاج (انه كما زعم ان لم احاول ان ازيله عن سلطانه فأجهد الجهد ان طال بي وبه بقاء)[٢] كذلك كان الحجاج يرغب في ان يجد فرصة للتخلص منه ذلك الذي يتعالى بنفسه ويشمخ بأنفه ويرى نفسه حقيقا بالملك فهو ابن الملوك وكان شعوره المتعالي وعزته وانفته تأبي عليه أن يوطن نفسه على الخضوع والاعتراف بسلطان احدعليه فانه كما قال عمه للحجاج بعد أن اخرجه الحجاج لقيادة ذلك الجيش الذي اطلق عليه جيش الطواريس قال (لا تبعثه فاني اخاف خلافه والله ما جاز جسر الفرات قط فراى لوال من الولاة عليه طاعة وسلطان قال الحجاج ليس هنالك هو لي اهيب وفي ارغب من أن يخالف امري ويخرج من طاعتي)[٣] كما ان افراد ذلك الجيش لم تكن نظرتهم تختلف عن نظرة قائدهم الى الحجاج فكانوا يكرهون ويمجون فكرة الحرب الشاقة في ارض بعيدة ويرحبون بكل فرصة تخولهم العودة الى بلادهم .

تقدم ذلك الجيش الجرار الذي بلغت تكاليف تجهيزه مليون درهم عدا اعطيات الجنود وارزاقهم في بلاد سجستان واصم عبدالرحمن بن الاشعث اذنيه عن سماع نداء رتبيل الذي خشى ذلك الجيش لوقف الحرب والدخول في الصلح والاعتذار عما فعل واعلن انه مستعد لدفع الخراج ولكن عبدالرحمن الذي لم يستمع لنداآت رتبيل تقدم في بلاد الترك وكان ذلك في سنة ٨٠ هـ فكلما احتل بلدا وضع العمال ووصله بالبرد وحبس الناس عن الوغول فكان يرى التريث اذ كان يقول نكتفي بما اصبناه هذا العام حتى نجبيها ونعرفها ويجترؤ المسلمون على طرقها ثم تعاطى في العام

(١) الطبرى ـ الامم والملوك ج ٨ ص ٤
(٢) الطبرى ـ الامم والملوك ج ٨ ص ٥
(٣) الطبرى ـ الامم والملوك ج ٨ ص ٤

المقبل ما وراءها ثم لم نزل ننقصهم في كل عام طائفة من ارضهم[1] .

لم ترض الحجاج هذه الطريقة التي اتبعها ابن الاشعث وكان يرغب في ان يسرع ابن الاشعث لينتقم من رتبيل لما الحقه بالمسلمين فلما لم يستمع لاوامره ارسل الحجاج اليه كتابا يخبره فيه اما ان يتبع اوامره ويتقدم بسرعة لمحاربة رتبيل واما أن يسلم قيادة الجيش الى اخيه اسحق بن محمد[2] .

اثر هذا الامر في نفس ابن الاشعث كما اثر في نفوس جيشه ان الحجاج امر ابن الاشعث ان يأمر افراد ذلك الجيش بحرث الارض وزرعها والاقامة فيها حتى يكملوا فتحها[3] . حز في نفوس العراقين ان يقيموا بعيدا عن بلادهم ويجمروا فيها تاركين وطنهم واهلهم واولادهم في هذه البلاد البعيدة في سبيل تثبيت سلطان الحجاج فوجد ابن الاشعث فرصته لاظهار الخلاف على الحجاج مستغلا كراهية العراقين للحجاج وتذمرهم من هذا الامر فقام خطيبا في ذلك الجيش قال (ايها الناس اني لكم ناصح ولصلاحكم محب ولكم في كل ما يحيط بكم نفعه ناظر وقد كان من رأى بينكم وبين عدوكم رأى استشرته فيه ذوي احلامكم واولي التجربة للحرب منكم فرضوه لكم رأيا وراوا لكم في العاجل والآجل صلاحا وقد كتبت الى اميركم الحجاج فجاءني منه كتاب يعجزني ويضعفني ويأمرني بتعجيل الوغول بكم في ارض العدو وهي البلاد التي هلك اخوانكم فيها بالامس وانما انا رجل منكم امضي اذا مضيتم وابي اذا ابيتم فثار اليه الناس فقالوا نأبي على عدو الله ولا نسمع له ونطيع[4] ثم قام الخطباء من افراد ذلك الجيش يؤيدون رأي قائدهم ويعلنون سخطهم على الحجاج والثورة عليه وخلعه ونفيه من العراق قال احدهم (اما بعد فأن الحجاج والله ما يرى بكم الا ما

---

(١) الطبرى ـ الامم والملوك ج ٨ ص ٥
(٢) الطبرى ـ الامم والملوك ج ٨ ص ٨
(٣) الطبرى ـ الامم والملوك ج ٨ ص ٨
(٤) الطبرى ـ الامم والملوك ج ٨ ص

رأى القائل الاول اذ قال لاخيه احمل عبدك على الفرس فان هلك هلك وان نجا فلك ان الحجاج والله ما يبالي ان يخاطر بكم فيقحمكم بلادا كثيرة اللهوب واللصوب فان ظفرتم ففتحتم اكل البلاد وحاز المال وكان ذلك زيادة في سلطانه وان ظفر بكم عدوكم كنتم انتم الاعداء البغضاء الذي لا يبالي عنتهم ولا يبقي عليهم اخلعوا عدو الله الحجاج فنادى الناس من كل جانب فعلنا فعلنا قد خلعنا عدو الله[1] وقال آخر (عباد الله انكم ان اطعتم الحجاج جعل هذه البلاد بلادكم ما بقيتم وجمركم تجمير فرعون الجنود لن تعاينوا الاحبة فيما ارى أو يموت اكثركم بايعوا اميركم وانصرفوا الى عدوكم فانفوه عن بلادكم فوثب الناس الى عبدالرحمن فبايعوه فقال تبايعوني على خلع الحجاج عدو الله وجهاده حتى تنفيه عن ارض العراق[2] .

كان للفقهاء الذين كانوا مع الجيش امثال سعيد بن جبير وعبدالرحمن بن ابي ليلى وعامر الشمسي اثر كبير في مبايعة ذلك الجيش عبدالرحمن بن الاشعث كما كان للشاعر اعشى همدان اثره هو الآخر المهم فلما اجتمع ذلك الجيش على مبايعة ابن الاشعث صالح رتبيل على أن ظهر فلا خراج عليه ابدا ما بقي وان هزم واراده الجاه عنده فوافق رتبيل على تلك الشروط وامن عبدالرحمن من ناحيته ثم اتجه ابن الاشعث سنة ٨٢ هـ وكان بدء خلافه نحو العراق منتصرا على كل قوة ارسلها الحجاج يدفع جيشه الحماس والشوق الى الوطن ولقاء عدو الله الحجاج فانهم كما يقول ولهاوزن (لم يكن ابن الاشعث بحاجة الى أن يسوق الامور بل كان هو مساقا اليها بالرغم عنه حتى انه لو اراد لما استطاع أن يقضي على الحماسة التي لقيها فيهم مثل السيل المنحدر من عل ليس شيء يرده)[3] كان لانتصارات ابن الاشعث وتقدمه السريع وما رأى من حماس الناس ان داخله الغرور فأعلن خلع عبدالملك بن مروان لان الحجاج في نظره ليس شيء

---

(١) الطبرى ــ الامم والملوك ج ٨ ص
(٢) الطبرى ــ الامم والملوك ج ٨ ص
(٣) ولهاوزن ــ الدولة العربية وسقوطها ص ١٩١

انما هو يريد عبدالملك نفسه[1] وجدد بيعة الناس له وكانت بيعته (تبايعون على كتاب الله وسنة نبيه وخلع ائمة الضلالة وجهاد المحلين فأذا قالوا نعم بايع[2] .

ذعر الحجاج ذعرا شديدا وكتب الى عبدالملك يعلمه خبر عبدالرحمن والعراقيين واتفاقهم على خلعه ويلح في طلب الجند ولم يكن عبدالملك اقل ذعرا من واليه الحجاج وهو الذي لم تذعره حوادث الماضي الجسام واهتم للامر اهتماما كبيرا واخذ في ارسال الجنود الى الحجاج .

كانت اول معركة بين الحجاج وابن الاشعث هي معركة دجيل انهزم فيها الحجاج والتجأ الى البصرة الا ان اهل البصرة ثاروا به فاضطر الى الخروج منها الى الزاوية والتقى بالجيش العراقي مرة ثانية وقد انتصر الحجاج في هذه المعركة فاضطر ابن الاشعث الى الخروج من البصرة الى الكوفة فدخل الحجاج البصرة مرة ثانية ولكنه جوبه بثورة أهل البصرة بزعامة عبدالرحمن بن عباس بن ربيعة ابي الحارث بن عبدالمطلب وقاتلوا الحجاج خمسة ايام اشد قتال ثم لحق منهم العدد الكبير بعبدالرحمن بن الاشعث واجتمع أهل الكوفة واهل البصرة على ابن الاشعث فاخرجوا جند الشام من الكوفة الذين التجأوا الى الحجاج ولم يبقى من اهل الكوفة من وجوههم وقرائهم احد له نباهة الا خرج لثقل وطأة الحجاج عليهم[3] كما اشتركت النساء مع الرجال في هذه الثورة[4] فكان التفاف الناس حول ابن الاشعث عظيما واصبح جيش الشام كالمحصور في قلة من المون والزاد وخرج امر العراق من يد الحجاج بينما كان جيش ابن الاشعث في وفرة من المون تأتيه من اطراف العراق كما انضمت الى عبدالرحمن البعوث الكوفية التي جاءت من خراسان والشرق فعظم امر ذلك على عبدالملك فارسل

---

(١) الطبري – الامم والملوك ج ٨ ص ٩
(٢) الطبري – الامم والملوك ج ٨ ص ١٠
(٣) الاصفهاني – الاغاني مجلد ٦ ص ٤٦
(٤) الطبري – الامم والملوك ج ٨ ص ٢١

ابنه عبدالله واخاه محمد الى اهل العراق يحملون شروطا لايقاف القتال منها نزع الحجاج وتولية محمد بن مروان امر العراق وان تجري عليهم اعطياتهم كما تجري على اهل الشام وان ينزل ابن الاشعث اي بلد شاء ويكون عليها اميرا ما دام حيا فانهم ان قبلوا ذلك عزل عنهم الحجاج وكان محمد بن مروان امير العراق وان أبو ان يقبلوا فالحجاج امير جماعة اهل الشام[١] .

استاء الحجاج من هذا العرض وود أن لا يقبل اهل العراق شروط عبدالملك وارسل يرجو عبدالملك ان يعدل عن هذه المفاوضة حتى لا يقع فيما وقع فيه الخليفة عثمان بن عفان حينما طلب اهل الكوفة نزع سعيد بن العاص فلما وافق على نزعه تجرأوا عليه وقتلوه ومن المحتمل ان يعودوا في هذه المرة الى ما فعلوه في المرة السابقة[٢] .

رفض عبدالملك رأى الحجاج وعرض هذه الشروط على اهل العراق فقام عبدالرحمن بن الاشعث خطيبا طالبا قبول هذه الشروط ولكن العراقين رفضوا طلب عبدالرحمن وجددوا خلع عبدالملك وقالوا لعبدالرحمن ان الله قد اهلكهم فاصبحوا في الازل والضنك والمجاعة والقلة والذل ونحن ذو العدد الكثير والسعر الرفيع والمادة القريبة لا والله لا نقبل[٣] .

شعر الحجاج بالسرور عندما علم برفض العراقين لشروط عبدالملك وجدد أهل العراق بيعتهم لعبدالرحمن وكانوا في هذه المرة اكثر حماسة واجماعا وانبرى الفقهاء يحرضون اهل العراق على قتال اهل الجور والظلم والتخلص منهم فكان عبدالرحمن بن ابي ليلى يقول (قاتلوا هؤلاء المحلين والمحدثين والمبتدعين الذين قد جهلوا الحق فلا يعرفونه وعملوا بالعدوان فليس ينكرونه) وقال ابو البختري (ايها الناس قاتلوهم على دينكم ودنياكم

---

(١) الطبرى ـ الامم والملوك ج ٨ ص ٣٨
(٢) الطبرى ـ الامم والملوك ج ٨ ص ١٦
(٣) الطبرى ـ الامم والملوك ج ٨ ص ١٦

فو الله لئن ظهروا عليكم ليفسدن عليكم دينكم وليغلبن على دنياكم [1] .

التقى الجانبان في معركة هائلة رهيبة وهي معركة دير الجماجم سنة ٨٣هـ واقتتل الناس اشد قتال دام اكثر من مائة يوم وانتهت هذه المعركة بانهزام اهل العراق وانتصار الحجاج وفرار عبدالرحمن الذي تبعه اكثر جيشه لمعاودة القتال والتقى الجيشان مرة ثانية في مسكن فانتصر الحجاج ولم يفد العراقيين استبسالهم واقدامهم امام قوة أهل الشام فاضطر ابن الاشعث الى الفرار الى رتبيل ولكن العراقيين لم ييأسوا بعد فلحقوا به وطلبوا اليه الرجوع ثانية ولكنه وجد فيهم تخاذلاً فرجع الى رتبيل الذي امنه وقتا قصيرا ثم أضطر الى القبض عليه ازاء تهديد الحجاج ليسلمه اليه ولكن ابن الاشعث فضل الانتحار على أن يقع في يد الحجاج فرمى بنفسه من احدى القلاع فمات فأرسل رتبيل رأسه الى الحجاج وكان مقتله في سنة ٨٦ هـ . كانت هذه الثورة محاولة يائسة في شدتها رمى العراقيون بها الى ان يرفعوا عنهم نير أهل الشام وكان الحجاج قد جعله اشد ثقلا عليهم وقد رأوا في الحكم الاموي ذلا واستهانة بحقهم قال مصقله بن هبيرة الشيباني في معركة مسكن (قاتلوهم على الحق والله لو لم تكونوا على الحق لكان موت في عز خير من حياة في ذل [2] كما رموا الى أن يكون العراق مركزا للخلافة ليكون لهم ما هو كائن لاهل الشام قال احد زعماء العراق للحجاج لما سأله عن سبب انضمامه الى ابن الاشعث وما كان يرجوه من وراء ذلك قال (رجوت وطمعت ان ينزلني منزلك من عبدالملك [3] كذلك رغب عبدالرحمن بن الاشعث نفسه الى الوصول الى السلطان والملك فسمى نفسه ناصر المؤمنين وانه القحطاني الذي ينتظره اليمانية وانه يعيد الملك فيها [4] .

كانت هذه الثورة ثورة عراقية اقليمية سعي العراقيون فيها الى تقويض

---

(١) الطبرى — الامم والملوك ج ٨ ص ٢٦
(٢) الطبرى — الامم والملوك ج ٨ ص ٢٦
(٣) الطبرى — الامم والملوك ج ٨ ص ٢٦
(٤) المسعودى — التنبيه والاشراف ص ٣١٤

الحكم الاموي واقامة حكومة عراقية تنبثق عن ارادتهم ورغبتهم فلم يظهر في تلك الثورة أي أثر للتشيع أو غيره من المذاهب الاخرى فهي ثورة جمعت اهل العراق في وحدة الهدف الذي بذلوا الكثير في سبيل تحقيقه .

أما اسباب فشل هذه الثورة فيعود الى ان حماسهم يعوزه ميزة الاستمرار التي كان يتسم بها نظام خصومهم[1] فانهم ما كادوا يصلوا الى وطنهم ويشموا اولادهم حتى خفت حدة حماستهم التي كانت تسيطر عليهم فهم كما صورهم المهلب ابن ابي صفره حينما بعث الى الحجاج ينصحه بأن يتريث في قتال العراقيين كتب اليه قال (ان لاهل العراق شره في اول مخرجهم وصبابة الى ابنائهم ونسائهم فليس شيء يردهم حتى يسقطوا الى اهليهم ويشموا اولادهم ثم واقفهم عندها فان الله ناصرك عليهم ان شاء الله[2] .

كذلك كان من اسباب انهزام العراقيين قلة الثقة في نفوسهم لما لحقهم من الهزائم العديدة امام اهل الشام قبل ذلك والثقة الراسخة في نفوس اهل الشام في امكانهم القضاء على كل ثورة عراقية ، كما لعب القدر لعبته في النهاية التي انتهت اليها تلك الثورة قال عبدالرحمن يصف نفسه بعد أن اتهم بالجبن (والله ما جبنت والله لقد دلفت الرجال بالرجال ولففت الخيل بالخيل ولقد قاتلت فارسا وقاتلت راجلا وما انهزمت ولا تركت العرصة للقوم في موطن حتى لا أجد مقاتلا ولا أرى معي مقاتلا ولكن زاولت ملكا مؤجلا) .

سلط الحجاج سيفه على رقاب اهل العراق وسامهم الخسف والهوان واعمل القتل في كثير ممن اشترك في هذه الثورة من العرب والموالي فقتل فيروز حصين زعيم الموالي في تلك الثورة بعد أن عذبه وقتل سعيد بن جبير فقيه الكوفة المشهور بعد أن أخرج من المدينة وهو ومن معه من اهل العراق الذين لجأوا اليها وقتل آخرين وزادت كراهية الحجاج للعراقيين فكان لا يعفو عن مسيئهم ولا يقبل من محسنهم .

---

(١) ولهاوزن ـ الدولة العربية وسقوطها ص ١٩٤
(٢) الطبري ـ الامم والملوك ج ٨ ص ١٠

ثورة يزيد بن المهلب

اشتهر المهلب بن ابي صفرة بقتاله الخوارج واخلاصه لكل خليفة فقد بايع عبدالله بن الزبير وحارب الخوارج تحت لواءه ثم انضوى تحت لـواء عبدالملك بن مروان فلم يظهر الخلاف على احد فكان مخلصا في طاعتـه كما انه انقذ البصرة من خطر الخوارج فقدم له اهل البصرة كل عون في سبيل ذلك وكان من ابناءه يزيد بن المهلب خلف اباه في زعامة اسرة المهلب وتولى امارة خراسان ايام الوليد بن عبدالملك وولاية الحجاج في العراق وقد اتهمه الحجاج بأموال كثيرة وطالبه بها فعجز عن سدادها فحبسه الحجاج ولكنه تمكن من الفرار من حبسه والتجأ الى سليمان بن عبدالملك الذي شفع لـه عند اخيه الخليفة الوليد فعفى عنه ثم ولي العراق ايام سليمان بن عبدالملك وقد طلب من الخليفة نقله الى خراسان لمضايقة صاحب الخراج له آنـذاك صالح بن عبدالرحمن وحبسه الاموال عنه التي كان يطلبها باستمرار وبعـد وفاة سليمان وتولي عمر بن عبدالعزيز الخلافة طولب يزيد بالاموال التي كان قد كتب بها الى سليمان ولكنه اعتل بانه لم يكن صادقا في ذكره تلك الاموال على اساس ان سليمان لم يكن يطالبه بها ولكن عمر بن عبدالعزيز الذي عرف بتشدده في الحق ومراعاة حقوق الناس لم يقبل ذلك الاعتـذار بل اصر على أن يدفعها يزيد والا اضطر الى حبسه ولما عجز عن الدفـع حبسه حتى يعطي ما عليـه وتمكن يزيد بن المهلب من الهرب من محبس عمر بن عبدالعزيز وقصد العراق ودخل البصرة وكان الخليفة عمر بـن عبدالعزيز قد توفي وتولى بعده يزيد بن عبدالملك الذي ارسل الى واليـه على البصرة عدي بن ارطاة وواليه على الكوفة عبدالحميد بن عبدالرحمـن بأن يستعدا ليزيد وان يأخذ من في البصرة من أهله وأمر يزيد بن عبدالملك عدي بن ارطاة ان يمنع يزيد بن المهلب من دخول البصرة فجمع عدي اهل البصرة ليمنع يزيد بن المهلب من دخولها ولكن اهل البصرة افسحوا لـه الطريق واظهروا له تأييدهم والسير معه ولكن يزيد لم يشاء أن يظهـر خروجه على الدولة الا بعد أن يطمأن الى التفاف الناس حوله وتأكيد تأيدهم

له فطلب الى عدي بن ارطاة أن يخرج من كان في محبسه من اهله ثم اخذ يعمل على جمع اهل البصرة فكان يفرق عليهم قطع الفضة والذهب فمال اليه اكثرهم(١) ثم عول على اخراج عدي بن ارطاة من المدينة فكان له ما اراد ولم يأبه للامان الذي ارسله له يزيد بن عبدالملك بل انه ذهب الى ابعد من ذلك فقد خلع الخليفة(٢) وبايعه اهل البصرة وكانت بيعته لهم ان يسير بهم على كتاب الله وسنة نبيه وعلى ان لا تطأ الجنود بلادهم ولا يضتهم ولا يعاد عليهم سيرة الفاسق الحجاج(٣) فبايعه أهل البصرة ولم يأبهوا او يستمعوا لتثبيط الحسن البصري الذي كان لا يرى رأيهم في الخروج مع يزيد بن المهلب فكانوا يردون عليه (اينكر علينا وعلى اهل مصرنا ان نطلب خيرنا وان ننكر مظلمتنا(٤) وخطب يزيد بن المهلب في اهل البصرة يدعوهم الى كتاب الله وسنة نبيه ويحثهم على الجهاد ويزعم ان جهاد اهل الشام اعظم ثوابا من جهاد الترك والديلم(٥) ويعقب النضر ن مالك بن انس على قول يزيد مظهرا ما كان يلاقيه أهل البصرة من حكم الامويين وانهم ابتعدوا عن الدين ونبذوه وراء ظهورهم اذ يقول (ما تنقمون من أن تجيبوا الى كتاب الله وسنة نبيه فو الله ما رأينا ذلك ولا رأيتموه منذ ولدتهم الا هذه الايام من امارة عمر بن العزيز(٦) ولم تكن البصرة وحدها قد اعطت البيعة ليزيد فقد كان هنالك متذمرون من اهل العراق يرجون سنوح الفرص للوثوب على الدولة والاخذ بثأرهم منها فقد بايعه عدد من زعماء الكوفة وانضوا تحت لوائه منهم اسحق بن محمد بن الاشعث والنعمان بن ابراهيم بن الاشتر كما ان حركته هذه شملت عمان والبحرين والبصرة والجزيرة(٧)

(١) الطبرى – ج ٨ ص ١٤٥
(٢) ابن خلكان – وفيات الاعيان ج ٢ ص ٣٦٣
(٣) الطبرى – الامم والملوك ج ٨ ص ١٥٢
(٤) الطبرى – الامم والملوك ج ٨ ص ١٥٤
(٥) الطبرى – الامم والملوك ج ٨ ص ١٤٩
(٦) الطبرى – الامم والملوك ج ٨ ص ١٤٩
(٧) الطبرى – الامم والملوك ج ٨ ص ١٥١

فاضطر الخليفة يزيد بن عبدالملك ان يرسل جيشا كبيرا بقيادة مسلمة بن عبدالملك وخرج يزيد بن المهلب لملاقاة جيش مسلمة وخطب في جيشه بواسط اذ قال (يا أهل العراق يا أهل السبق والسباق ومحاسن الاخلاق ان اهل الشام في افواهم لقمة دسمة قد ربت لها الاشداق وقاموا لها على ساق وهم غير تاركيها لكم بالمراء والجدال فالبسوا لهم جلود النمور)[1] والتقى الجيشان في عقر قرب الكوفة سنة ١٠٢ هـ ولم يخرج أهل الكوفة كعادتهم لمساعدة ابن المهلب وبذلك استحقوا شكر الخليفة ودارت رحى الحرب وانتصر جيش مسلمة بن عبدالملك وسقط يزيد بن المهلب قتيلا في ساحة المعركة بعد أن تخلى عنه اهل العراق ولم يشاء ان يهرب كما فعل عبدالرحمن بن الاشعث بل خرج يقاتل حتى قتل وهرب اهله واخوته واولاده نحو الشرق وتعقبتهم جيوش الدولة فقتل عدد كبير منهم وقتل الاحداث منهم وحلف الخليفة ان يبيع النساء فاشتراهم احد خاصته ودفع للخليفة الثمن ثم اطلقهم كرامة لهذا البيت الكبير الذي كان يحتل مكانا مرموقا فكانت هذه الثورة ثورة شخصية اختلطت بها نزعة استقلالية من جانب العراقين ولكن يزيد رمى من ورائها الوصول الى السلطة فهو كما قال عنه يزيد بن عبدالملك لما احضروا رأسه (ركب عظيما وطلب جسيما ومات عظيما[2] ولم يظهر في هذه الثورة الاثر الديني الشيعي ولذلك لم يشترك اهل الكوفة فيها مع ما عرف عنهم من حبهم الى جهاد الامويين والتخلص منهم .

---

(١) الجاحظ ـ البيان والتبيين

(٢) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ج ٢ ص ٣٠٠

عبيدالله بن الحر

شعرت القبائل العربية التي نزلت الكوفة بعد الفتح الاسلامي انها صاحبة الفضل في انتصارات المسلمين الاولى وتابع انتصاراتهم بعد ذلك وتوغلهم في ارض فارس وخراسان والشرق كله . كان لهذا الشعور اثره في نفوسهم فعظمت مكانتهم عند العرب عامة وشعروا هم انفسهم بعظم تلك المكانة[1] ورأوا من حقهم ان يكون لهم رأى فيما يجابه المسلمين من امور فكانوا على رأس المعارضة التي قامت على الخليفة عثمان بن عفان واشد المسلمين تطرفا في تلك المعارضة فحرضوا الناس على قتله لانهم وجدوا في بقائه حسب اعتقادهم غبنا وانتهاكا لامور المسلمين فثاروا عليه وقتلوه ، كما انهم لم يستجيبوا لنداء ابي موسى الاشعرى اميرهم آنذاك والذى ثبطهم عن الخروج مع علي بن ابي طالب (رض) حتى لا يشاركوا في تلك الفتنة الصماء ويساعدوا عليا على قتال طلحة والزبير لكنهم ابوا على ابي موسى وخرجوا مع علي وانظموا اليه ليس فقط حبهم لعلي وانما شعورا منهم بان الواجب يحتم عليهم المشاركة في امور المسلمين ليكونوا على مرأى ومسمع من الاحداث[2] .

رأى زعماؤهم مثل الاشتر النخمي والاشعث بن قيس وعدى بن حاتم وحجر بن عدى الكندى انهم جديرون بان تكون لهم الصدارة للاشتراك في ابرام الامور والحق في تولي امارة البلدان فقد حرضوا على قتل الخليفة عثمان بن عفان لانهم لم ينالوا ما كانوا يودون أن ينالوه وقد صرح الاشتر بما كان يعتلج في نفسه عندما سمع باستعمال علي عبدالله بن عباس واليا على البصرة قال الاشتر (علي ما قتلنا الشيخ (عثمان) اذ اليمن لعبيدالله والحجاز لقثم والبصرة لعبدالله والكوفي لعلي)[3] وكأنه اراد ان يقول

---

(١) الطبرى ـ الامم والملوك ج ٥ ص ١٩٠
(٢) الطبرى ـ الامم والملوك ج ٥ ص ١٨٩
(٣) الطبرى ـ الامم والملوك ج ٥ ص ١٩٤

مكملا كلامه ماذا ترك لنا علي جزاء ما قمنا به السنا احق من غيرنا في هذه الولايات ، لكن الاشتر الذى خافه عليا لما سمع بما قاله ولحق به لئلا يفسد عليه الناس ولم يحاول الخروج عن طاعة علي لان الظروف لم تكن تسمع له فليس له ان يفكر بالخروج وقد وقع عليه العبء الاكبر في مسك زمام اهل الكوفة ودفعهم الى قتال معاوية عدوه وعدو علي في نفس الوقت لان معاوية كان يطالب عليا بعقاب قتلة عثمان والاشتر من قتلة عثمان فرأى الاشتر ان مصلحته ان يساير عليا ويخلص في معاونته ضد معاوية وقد سمحت الظروف لشخص آخر من زعماء الكوفة ان يعلن عن رأيه هذا ويحاول ان يحصل على ما كانت تصبوا اليه نفسه لاستياءه من استئثار قريش بالحكم وابعاد العراقيين عن الاشتراك في امور الخلافة ذلك الزعيم هو عبدالله بن الحر ذلك الذى لم يكن راضيا عن علي والامويين وابن الزبير والمختار فقد ناصبهم العداء واعلنها ثورة عنيفة في العراق غايته أن يكون للعراقيين شأن ونصيب في تدبير شؤون المسلمين قال عبدالله بن الحر يوضح رأيه موجها كلامه الى الذين جاءوا يهنئونه بعد خروجه من سجن مصعب بن الزبير (ان هذا الامر لا يصلح الا بمثل الخلفاء الاربعة الماضين فلم نر لهم فينا شبيها فنلقي اليه ازمتنا ونمحضه نصيحتنا فانه كان من عزير فعلام نعقد لهم في اعناقنا بيعه وليسوا باشجع لقاء ولا اعظم منا غنى كلهم عاص مخالف قوى الدنيا ضعيف الاخرة فعلام تستحل حرمتنا نحن اصحاب النخيلة والقادسية وجلولاء ونهاوند نلقي الاسنة بنحورنا والسيوف بجباهنا ثم لا يعرف حقنا وفضلنا فقاتلوا عن حريمكم[1] كما كان رأيه في علي ومعاوية وقريش غير سليم[2] فقد انحاز الى معاوية خارجا من الكوفة وحارب معه ضد علي ثم عاد الى الكوفة بعد مقتل علي وساءه قيام عبدالله بن الزبير واستئثار قريش بالخلافة قال (ما أرى قريشا تنصف ابناء الحرائر)[3] .

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٣٩٤
(٢) الطبرى ـ الامم والملوك ج ٧ ص ١٩٨
(٣) الطبرى ـ الامم والملوك ج ٧ ص ١٩٨

جمع عبيدالله بن الحر كل من كان على رأيه من اهل الكوفة فبلغ عدد من انظم اليه سبعمائة رجل فخرج من الكوفة مستغلا اضطراب الاحوال بعد هروب عبيدالله بن زياد اثر وفاة يزيد بن معاوية وقصد المدائن واخذ يستولي على الاموال التي كانت ترد من الجبل واصبهان واخذ يغير على قرى السواد ويأخذ الاموال وينهب الضياع فلما ترامت اخباره الى المختار الثقفي وكان المختار قد استحوذ على الكوفة قبض على امرأته وحبسها فاندفع عبيدالله بن الحر الى الكوفة واخرج امرأته من السجن ثم انتصر على جيش كان المختار ارسله اليه وادى انتصاره هذا الى ان يشتد في غاراته على القرى والدساكر فخافه اهل الكوفة فحرضوا عليه مصعبا وكان قد قضي على المختار فتمكن مصعب من القبض عليه وسجنه ثم اخرج من السجن واظهر ثانية الخلاف على مصعب فالتجأ الى عبدالملك بن مروان وارسله عبدالملك في عشرة انفار الى الكوفة ليثير الفتنة على مصعب حتى يلحق به جيش عبدالملك فلما اقترب من الكوفة ارسل الى اصحابه يستنفرهم ويحرضهم على الخروج معه واثارت الفتنة على مصعب ولكنه اضطر الى الهروب لخروج جيش من الكوفة للقبض عليه وقتل عندما كان يهم بعبور النهر قتله احد الانباط .

والخلاصة ان ثورة عبيدالله بن الحر لم تكن ثورة منظمة انما كانت غارات لنهب الاموال والاستيلاء على ما يرد من المناطق البعيدة ويقسمها على اصحابه باعتبارها حقهم الذى حرموا منه كما انها كانت ثورة نفسية لم يتمكن من السيطرة عليها فاندفع الى اظهارها بهذا الاسلوب العنيف .

ثـورات الخوارج

مقدمـــــة

كان التحكيم الذي عرضه معاوية على علي بن ابي طالب (رض) اثناء القتال في صفين لحل الخلاف الناشب بينهما بالرجوع الى القرآن ليـكون حكما بينهم سببا في ظهور الخوارج وقد سموا بهذا الاسم لخروجهم على علي (رض) سموا ايضا بالمحكمة[١] والحروية[٢] والشراة[٣] •

كان بدء خروجهم بعد أن رجع علي من صفين وقـد امتنعوا عن دخول الكوفة وانحازوا الى قرية حروراء وحاول علي ان يضمهم اليـه ثانية ولكن محاولاته باءت بالفشل ولما ظهر منهم قتل الناس واشاعة الفوضى والرعب والخوف حاربهم في معركة النهروان وانتصر عليهم انتصارا ساحقا ولم ينج منهم الا نفر قليل ولكن فكرتهم ظلت تعتلج في نفوس الاخرين الذين لم يشتركوا في هذه المعركة والذين ساءهم قبول علي مبدء التحكيم •

وكانت الفكرة التي نادوا بها وعملوا على تثبيتها لتكون اساسا للحكم وتولى الخلافة هي ان الخلافة يجب ان تكون في افضل الناس واتقاهم دون اعتبار لنسب الخليفة هو الذي يعمل بالسنة والقرآن ويقيم العدل ويقضي على الجور فـكانت محاولاتهم وثوراتهم العديدة التي امتدت اكثر من قرن ونصف ترمي الى تثبيت الدين ليكون اساسا للخلافة وقد استمرت طيلـة العصر الاموى وفترة من العصر العباسي • كان مسرح حركاتهم وثوراتهم والمنبع لفكرتهم ومبدئهم هو العراق وبلاد فارس وخرسان • وقـد نظر الخوارج الى المسلمين نظرة المساواة ما داموا يدينون بدين واحد لا فضل

---

(١) المحكمة ـ سموابهذا الاسم لقولهم ـلا حكم الا لله ولا حكم للرجال

(٢) الحرورية ـ سموا بهذا الاسم لانحيازهم الى قرية حروراء

(٣) الشراة ـ جمع شارى من قولهم شرينا انفسنا لدين الله فنحن لذلك شراة البغدادى ـ الفرق بين الفرق ص ٦٦

لعربي على اعجمي الا بالتقوى وكان الدافع الى ذلك ما انضم اليهم من عبيد وموالي فساووا المسلمين جميعا في الوصول الى الخلافة وجوزوا خلافة المرأة .

تمسك الخوارج بهذه المبادىء واعتقدوا بها وامعنوا امعانا شديدا في التمسك بها ومحاربة مخاليفهم لانهم اعتقدوا انهم هم المسلمون الحقيقيون والاخرون هم الكفرة الذين تجب محاربتهم واستحلال اموالهم ونساءهم وقد اختلف الخوارج في هذه النظرة الى جماعة المسلمين فمنهم المتطرف ومنهم المعتدل ومع اختلافهم وتفرقهم الى فرق عديدة منها النجدات اصحاب نجدة بن عامر والازارقة اصحاب نافع بن الازرق والاباضة نسبة الى عبد بن اباض وفرق اخرى بلغت العشرين فرقة الا انهم يجتمعون على تكفير علي وعثمان والحكمين واصحاب الجمل وكل من رضي بالتحكيم وتكفير مرتكب الذنوب ووجوب الخروج على الامام الجائر [1] .

وقد اشتهر الازارقة بتشددهم في محاربة المسلمين ومن رأى نافع بن الازرق (ان لا تنكح نساءهم ولا تأكل ذبائحهم ولا تجاز شهادتهم وعليهم جهادهم) [2] ومع كل ما احدثوره من ثورات واشاعة للخوف والفزع لم يسعوا الى المادة انما سعوا الى محاربة الظلم والجهاد في سبيل الدين ، وقد كان للجو السياسى والفكرى الذى سيطر على العراق آنذاك والروح المناهضة للحكم الاموى وابتعاد ذلك الحكم من روح الدين واهتمام بني امية بتثبيت ملكهم مهما اختلفت الوسائل اثر في نشوء هذا الحزب الذى اطلق عليه فان فلوتن (الحزب الجمهورى) والاحزاب والفرق الدينية كالشيعة وفرقها المتعددة من الغلاة والمتطرفين والفرق الدينية الاخرى كالمرجئة والقدرية والمعتزلة .

---

(١) البغدادى ـ مختصر الفرق بين الفرق ص ٦٦
(٢) الطبرى ـ الامم والملوك ج ٧ ص ٥٧

ظل العراق مسرحا لثورات الخوارج ومنبعا لافكارهم طيلة العصر الاموى وظهر زعماء عديدون قادوا حركاتهم وثوراتهم فكلما قضي على واحد منهم ظهر آخر مما ادى الى ان يندفع ولاة الدولة الاموية بكل ما لديهم من قوة الىمقاومة هذه الثورات والقضاء عليها وتكبدت الدولة الاموية مبالغ طائلة وارواحا كثيرة في مقاومتهم كما كلف أهل العراق كثيرا من الخوف والفزع الذى اشاعه هؤلاء في القرى والارياف وايقاف حركة التجارة فانظم العراقيون الى ولاة الدولة ليس فقط للقضاء على خطرهم وانما كرها لهم ولمبدءهم وخروجهم على زعيمهم علي بن ابي طالب (رض) •

اشتهر الخوارج بشجاعتهم وبسالتهم في الحروب فكم من جيش كبير ارسله ولاة العراق لمحاربتهم اندحر امام قوة قليلة منهم كما اشتهروا بالعبادة والنسك والتقشف قال غلام عمرو بن اوديه يصفه لزياد وكان من كبار الخوارج (ما اتيته بطعام بنهار ولا فرشت له فراشا بليل)[1] واشتهروا ايضا بكثرة خطبائهم وشعرائهم ونفاذ بصيرتهم وتوطين انفسهم على الموت فمنهم الذي طعن فانفذه الرمح فجعل يسعي فيه الى قاتله[2] •

والخلاصة ان ثورات الخوارج كلفت الدولة الاموية كثيرا من الجهد في المال والارواح وهددت كيانهم وزعزعت اركان دولتهم فكانت من اسباب ضعفهم وسقوطهم •

---

(١) المبرد ــ الكامل في الادب ج ٢ ص ١١٦
(٢) المبرد ــ الكامل في الادب ج ٢ ص ١٣٩

ثورات الخوارج

حوثرة الاسدى (٤١)

خرج حوثرة الاسدى بعد أن تم الامر لمعاوية وهو لا يزال في الكوفة وكان حوثرة اول من ثار بعد مقتل علي بن ابي طالب فكانت ثورته امتدادا لثورات الخوارج[١] السابقة ايام علي فارسل معاوية الى الحسن بن علي (رض) يطلب اليه مقاتلتهم فابى عليه الحسن ثم طلب الى ابي حوثرة ان يكفيه أمر ابنه فخرج الاب يستعطف ابنه ويرجوه الرجوع عن رأيه فلم يفلح الاب ازاء تصميم ابنه فلما رأى تصميمه قال له يابني اجيئك بابنك فلعلك تراه فتحن اليه فقال حوثرة (يا ابت انا والله الي طعنة نافذة اتقلب بها على كعوب الرماح اشوق الي من ابني) فرجع الاب الى معاوية فاخبره فقال معاوية يا ابا حوثرة عتا هذا جدا فجهز معاوية جيشا من اهل الكوفة فلما نظر حوثرة اليهم قال (يا اعداء الله انتم بالامس تقاتلون معاوية لتهدوا سلطانه واليوم تقاتلون معه لتشدوا سلطانه)[٢] وكان خروج اهل الكوفة لقتال حوثرة خوفا من معاوية ولم يكن عن رغبة في قتال حوثرة وكانت نتيجة المعركة أن قتل حوثرة وقتل اكثر من كان معه .

فروة بن نوفل الاشجعي :

خرج فروة في جماعة من الخوارج وذلك سنة ٤١ هـ ومعاوية في الكوفة فوجه اليه معاوية جيشا من اهل الشام فكشفهم فاخذ معاوية اهل الكوفة بالخروج اليهم فخرجوا خوفا منه فلما لقوا الخوارج قال لهم فروة (دعونا فان معاوية عدونا وعدوكم حتى نقاتله فان اصبناه كنا قد كفيناكم عدوكم وان اصبناكم قد كفيتموه) فقالوا لا والله حتى نقاتلكم فقال رحم الله اخواننا من اهل النهر هم كانوا أعلم بكم يا أهل الكوفة فاخذت بنوا

---

(١) الطبرى - الامم والملوك ج ٦ ص ٩٥

(٢) المبرد - الكامل في الادب ج ٢ ص ١٥٠

أشجع صاحبهم فروة وكان سيد القوم واستعمل الخوارج عليهم عبدالله بن الحر فقاتلوا حتى قتلوا .

المستورد الخارجي :

هو المستورد بن جوين الطائي واحد من الذين نجو من معركة النخيلة التي حدثت بعد معركة النهروان وكان علي بن ابي طالب (رض) قد قضى على اكثرهم ولم يفلت منهم الا نفر كان المستورد من بينهم .

اشتهر المستورد بكثرة العبادة والصلاة وكان كثير الاجتهاد وله آداب يوصي بها[1] خرج المستورد في ولاية المغيرة بن شعبة على الكوفة سنة ٤٣ هـ - شجع المستورد على الخروج ومن معه من الخوارج وجمع شملهم تساهل المغيرة وتسامحه لانه لم يكن يفتش أهل الاهواء عن اهوائهم فهيأ للخوارج جوا مساعدا على الخروج فكان يلقي بعضهم بعضا ويتذكرون مكان اخوانهم بالنهروان ويرون في الاقامة الغبن وان في جهاد اهل القبله الفضل والاجر .

اجتمع هؤلاء الخوارج ممن كان في الكوفة الى ثلاثة زعماء من بينهم المستورد وحيان بن ضبيان ومعاذ بن جوين واتفق هؤلاء على مبايعة المستورد زعيما وقائدا لهم وكان ذلك سنة ٤١ هـ فلما علم المغيرة بحالهم واجتماعهم طلب الى اهل الكوفة مساعدته واوعدهم ان لم يساعده ليغيرن من سياسته وليبدل حلمه عنفاوشدة فمال اهل الكوفة الى مساعدته لكرههم الخوارج لانهم خرجوا على علي فتمكن المغيرة من القبض على قسم منهم وسجنهم ومنهم حيان بن ضبيان احد زعمائهم فلما رأى المستورد اجماع اهل الكوفة على مضايقته وتعقب من معه من الخوارج قرر الخروج الى الحيرة وكان عدد اصحابه ثلثمائة رجل ثم اتجهوا الى المدائن وبايعه اصحابه بالخلافة وحاولوا دخول المدائن فمنعهم عنها عاملها سماك بن عبيد العبسي فارسل اليه المستورد كتابا يبين فيه سبب خروجه ويطلب منه الانضمام اليه ومما

---

(١) المبرد - الكامل في الادب ج ٢ ص ١٤٩

كتب اليه (انا نقمنا على قومنا الجور في الاحكام وتعطيل الحدود واستئثارهم بالفي وانا ندعوك الى كتاب الله وسنة نبيه وولاية ابي بكر وعمر والبراء من عثمان وعلي فان تقبل فقد ادركت رشدك والا تقبل فقد بلغنا في الاعذار اليك)[1] وقد رفض سماك ما عرضه عليه المستورد وامتنع عليه • أما المغيرة فقد جهز جيشا لمحاربتهم ورفع خطرهم عن الناس وقد اظهر له أهل الكوفة كرههم لهؤلاء الخوارج وتفانيهم في مساعدته فمن قول عدى بن حاتم الطائي احد زعماء الكوفة (كلنا لهم عدو ولرأيهم مسفه وبطاعتك مستمسك فأينا شئت سار اليهم[2] ثم تقدم معقل بن قيس الرياحي وهو من اشراف الكوفة وقد اشترك مع علي بن ابي طالب في قتال الخوارج الى المغيرة ورجاه أن يبعثه اليهم فليس هنالك احد هو اعدى لهم منه فعقد له المغيرة وقدمه على بقية الرؤوساء واخرج معه ثلاثة الاف من نقاوة الشيعة فلما علم المستورد بخروج معقل اخذ ينتقل من مكان الى آخر حتى التقى به في اول معركة هي معركة المذار التي لم ينتصر فيها احد ثم ان المستورد خرج من المذار تاركا جيش معقل لما علم بخروج جيش آخر من البصرة لمحاربته • وكان قد ارسله عبدالله بن عامر عاملها آنذاك الا ان جيش البصرة رجع لما علم بخروج المستورد من المذار لابتعاده عن اراضيهم • اما معقل فقد تعقب المستورد والتقى به في ساباط ودارت رحى الحرب بين الطرفين وكانت معركة حامية لما اظهره الطرفان من الشدة والبأس وانتهت هذه المعركة بمقتل معقل والمستورد اذ قتل احدهما الاخر في مبارزة بينهما وقتل في هذه المعركة اكثر اصحاب المستورد وبذلك تخلص المغيرة من هذه الخارجة •

حيان بن ضبيان :

وهو أحد زعماء الخوارج في الكوفة ومن الذين نجو من معركة

---

(١) الطبرى ـ الامم والملوك ج ٦ ص ١٠٩

(٢) الطبرى ـ الامم والملوك ج ٦ ص ١٠٨

النخيلة ايام علي (رض) ومن اصحاب المستورد الخارجي الا انه لم يخرج معه لتمكن المغيرة بن شعبة من القبض عليه وسجنه ولما خرج من السجن في عهد عبدالرحمن بن ام الحكم سنة ٥٨ هـ أجتمع اليه اصحابه واتفقوا على زعامته وقد دعاهم بعد ذلك الى الخروج ومحاربة الظالمين ولكنهم اختلفوا فيما بينهم على الوجه الذى يخرجون اليه فمنهم من اقترح الخروج الى عين التمر او غيرها من الكور حتى يجتمع اليهم اصحابهم وكان رأى حيان ان يخرجوا بظاهر الكوفة ليقاتلوا الظلمة على امر الله وليبادروا الى الجنة ويخرجوا انفسهم من الفتنه ووافقه اصحابه على رأيه هذا وكان عددهم مائة رجل فخرجوا بظاهر الكوفة فارسل اليهم عبدالرحمن بن ام الحكم جيشا كبيرا وقضى عليهم جميعا ٠

هذا ما كان من أمر الخوارج في الكوفة أما في البصرة فكان امرهم جد خطير ففي ولاية زياد بن ابي سفيان ٤٥-٥٣ هـ تمكن من أن يقضى على خطرهم الثورى ولو ان افكارهم وعقيدتهم كانت تلقى قبولا من كثير من اهل البصرة من النساء والرجال فكان زياد يحبس الرجال ويقتل المعلن منهم ويستعين بقبائل البصرة على دفع خطرهم والقضاء عليهم أما اسلوبه مع النساء فكان يعريها بعد قتلها فلم تخرج النساء عليه خوفا من التعرية ٠ وتابع عبيدالله بن زياد سيرة والده تجاه الخوارج فقتل منهم عددا كبيرا حتى بلغ من قتل منهم في ايام ولايته وولاية ابيه الفا وحبس منهم اربعة آلاف وهذا يدل على العدد الكبير الذى كان يعتنق مبدأهم ومن الذين قتلهم عبيدالله بن زياد عروة بن اودبة وهو من كبار مجتهدى الخوارج وقتل من نساءهم البلجاء التي رفضت ان تخفي أمرها فقطعت يديها ورجليها ورمي بها في السوق[1] ٠

كان لهذه السياسة العنيفة ان ادت الى خروج ابو بلال مرداس بن اودبة من البصرة وهو من الذين كانوا يدارون أمر السلطان ٠

---

(١) المبرد ـ الكامل في الادب ج ٢ ص ١٥٥

مرداس بن اودية :

واسمه مرداس بن عمر بن حدبر اما اودية الـذى عرف بها فهي جدته وكان ناسكا عابدا من مجتهدى الخوارج ولا يرى للعنف نفعـا في اعلان رأيه ولكنه تعرض للحبس في ولاية عبيدالله ثم اخرج منه ولـكنه لما رأى الجد من عبيدالله في طلب الشراة قال لاصحابه • انـه والله لا يسعنا المقام بين هؤلاء الظلمة تجرى عليهم احكام مجانبين للعـدل مفارقين للفضل والله ان الصبر على هذا لعظيم وان تجريد السيف واخافة السبيل لعظيم ولكننا ننتبذ عنهم ولا نجرد سيفا ولا نقاتل الا من قاتلنا[1] وبذلك ظهر مرداس كرهه للعنف وحبه للسلم مع الاحتفاظ برأيه وعقيدته وانـه لا يحارب الا من حاربه وما خروجه من البصرة الا هربا بدينه ودين اصحابه واتجهوا الى الاهواز لا يعترضون احدا ولا يقتلوناحدا فارسل اليهم عبيد الله بن زياد جيشا عدته الف رجل عليهم حصن التميمي وكان الخـوارج في اربعين فقط فانهزم ذلك الجيش امام هذا العدد القليل ثم اردفـه عبيـد الله بجيش آخر عليه اسلم بن زرعة الكلابي بثلاثة الاف فانهزم امـام مرداس ثم ارسل عبيدالله جيشا آخر بقيادة عباد بن الاخضر التميمي فالتقى بهم في توج وقتلهم جميعا وكان ذلك في سنة ٦١ هـ •

الازارقـــة :

اشتد عبيدالله بن زياد في تعقب الخوارج واخذهم بالقتل والحبس والعذاب فاضطر كثير منهم الى الخروج من البصرة وانحـاز قسم منهم الى عبدالله بن الزبير ليساعدوه على حماية الحرم الشريف من جيش عقبة بن مسلم المرى كما حاربوا الحصين بن نمير قائد جيش الشام الـذى خلف عقبة بن مسلم في قيادة ذلك الجيش ولكنهم تخلوا عن مساعدة بن الزبير لما عرفوا رأيه في عثمان بن عفان وطلحة والزبير وخرجوا من مكة وانقسموا الى قسمين فئة توجهت الى اليمامة بزعامة نجدة بن عامر الحنفى والفئـة

---

(١) المبرد ـ الكامل في الادب ج ٢ ص ١٥٦

الثانية اتجهت الى البصرة فلما استقروا فيها أمروا عليهم نافع بن الازرق وقد عرف عنه الشجاعة والاقدام والاجتهاد في الدين .

ساعدهم على جمع امرهم واخراج اصحابهم من سجن البصرة ما ساد البصرة من الفوضى والاضطراب اثر هروب عبدالله بن زياد بعد وفاة يزيد بن معاوية سنة ٦٤ هـ ولكنهم اضطروا الى الخروج مولين وجوههم نحو الاهواز فبسطوا سلطانهم وطردوا عمال الدولة وجبوا الخراج وبدأت منذ ذلك الحين حركاتهم التي كانت لها اثر كبير على الناحية الاقتصادية وبخاصة على الناحية التجارية لاخافتهم السبيل وتهديد الامن وقتل النساء والاطفال واشاعة الخوف والذعر .

وقع العبء الاكبر في محاربتهم على اهل البصرة الذين وجدوا ان حياتهم وتجارتهم مهددة بالخطر حتى اضطر قسم كبير منهم الى الرحيل عنها والقسم الآخر كان يتهيأ الى الرحيل[١] .

كانت اعمال الخوارج هذه ونظرتهم الى جماعة المسلمين قد ادت الى وقوع الفرقة والاختلاف بينهم ذلك الاختلاف الذى حدد موقفهم من جماعة المسلمين ونتج من ذلك ظهور الفرق الخارجية لاختلافهم مع نافع بن الازرق من هذه الفرق الازارقة والصفارية والبيهسية والنجدات والاباضية .

كان رأى نافع بن الازرق في المسلمين (ان لا تنكح نساؤهم ولا تأكل ذبائحهم ولا تجاز شهادتهم وعليهم جهادهم)[٢] بينما لم يوافقه على رأيه هذا بقية الخوارج وكانوا اكثر منه اعتدالا .

استمر الازارقة في اعمالهم منذ سنة ٦٥ هـ الى ٧٨ هـ وكان مسرح اعمالهم في غالب الاحيان العراق وبلاد فارس وكرمان والاهواز الا انهم كانوا يشنون حربهم على ولاة البصرة بخاصة وتعاقبت جيوش البصريين

---

(١) المبرد ـ الكامل في الادب ج ٢ ص ١٩٥
(٢) الدنبوري ـ الاخبار الطوال ص ٢٦٧

والكوفيين لابعاد خطرهم واشترك اكثر من قائد في قتالهم ٠

بدأ اهل البصرة منذ سنة ٦٤ هـ بقتالهم لما رأوا خطر الازارقة يقترب منهم ويهددهم وقد مالوا الى الصلح فيما بينهم وكان قد نشب قتال بين بعض القبائل بعد هروب عبيدالله بن زياد وفزعوا الى الاحنف بن قيس احد زعماء البصرة ليوجههم الى دفع ذلك الخطر المحدق بهم فتقدم منهم عشرة آلاف واتفقوا على تأمير مسلم بن عبيس بن كريز القريشي قائدا لهم وهو اول قائد يخرج لقتال الازارقة وتمكن من دفع الازارقة حتى دولاب في الاهواز ولكنه قتل في معركة دولاب وقتل ايضا نافع بن الازرق زعيم الخوارج فبايعوا عبدالله بن الماحوز ثم قتل في معركة اخرى فبايع الخوارج اخاه عبيدالله بن الماحوز الذى تمكن من ان يلحق الهزيمة بجيوش البصريين فاشتد بذلك خطرهم ففزع اهل البصرة الى الملهب بن ابي صفرة ليتولى قيادتهم وقبل المهلب على شروط اشترطها عليهم منها ان ينتخب اوساطهم لا الغنى المثقل ولا السبرت المخفف وله على ما غلب من الارض ولا يخالف فيما ادبر من رأيه في حربهم ويترك ورأيه الذى يراه فوافق اهل البصرة على هذه الشروط ٠

وافق اهل البصرة على شروط المهلب ويظهر من موافقتهم وتعاونهم معه على مقدار الخطر الذى كانوا معرضين له ومقدار الخوف الذى استولى على انفسهم واضاف المهلب الى شروطه هذه ان طلب الى تجار البصرة ان يمدوه بالمال لكي يستعين به على تجهيز جيشه فقدم له ما طلب من مال وتمكن المهلب بما اوتي من عبقرية في القيادة وشجاعة وبسالة من ان يبعدهم عن البصرة ويدفعهم الى الاهواز ثم الى بلاد فارس وكرمان ٠ واخلص المهلب في حربه ضد الازارقة دون اعتبار للسلطة التي تصدر اليه الاوامر فقد نفذ اوامر البصريين واطاع ابن الزبير ثم اخلص في الخدمة تحت ظل الامويين ٠ اشترك غير المهلب في قتال الازارقة لما اقصي عن قيادته

في ولايـة مصعب بن الزبير فسهل علـى الخوارج ان يتوغلوا في ارض السواد وتقدموا نحو المدائن وقتلوا عاملها وعاثوا في الارض فسادا فقتلوا النساء والاطفال وكسروا الخراج فاضطر الحارث بن ابي ربيعة امير الكوفة الى الخروج اليهم تحت الحاح زعماء البصرة عليه[1] فتمكن من اخراجهم من المدائن واضطرهم الى الاتجاه الى اصبهان ثم كر الحارث بن ربيعة عائدا الى الكوفة كارها لقتالهم واللحاق بهم واشتبكوا في اصبهان مع عاملها عتاب بن ورقاء الخزاعي الذى تمكن من قتل زعيمهم الزبير بن الماحوز فولي الخوارج قطرى بن الفجاة فتراجع اصحابه الى كرمان واجتمعت اليه جموع كثيرة من بينهم موال وعبيد وجبي الارض وقوى امره فتقدم نحو البصرة فاضطر مصعب الى استدعاء المهلب من الموصل الذى كان قد ولاه عليها واعيد ثانيـة الى قتال الخوارج والتقى بهم في سولاف وظلت الحرب بينهم ثمانية اشهر حتى اعيد العراق ثانية الى حوزة الامويين بعد انتصار عبدالملك على مصعب وقتله فولي عبدالملك اخاه بشرا العراق وكان عبدالملك قد اوصى اخاه بان يساعد المهلب في قتاله الازارقة وعمل بشر بما اشار عليه عبدالملك فارسل جيشين احدهما من البصرة والاخر من الكوفة وولي المهلب جيش البصرة وولي جيش الكوفة عبد الرحمن بن ابي مخنف ثم توفى بشر فولي عبدالملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفي العراق سنة ٧٥ هـ وكان العراقيون قد تخلوا عن المهلب بعد ان وصلهم نبأ وفاة بشر بن مروان فكان لزاما على الحجاج ان يبذل اقصى جهده في سبيل مساعدة المهلب وقد هدد العراقيين في اول خطبة له بان يخرجوا الى المهلب والا كان القتل جزاء من يتأخر فاسرع اهل الكوفة الى الخروج والالتحاق بجيش المهلب بن ابي صفرة والح الحجاج على المهلب بأن يسرع في القضاء على الازارقة ولامه على تأخيره وكان المهلب يعتذر له ويبين ان سبب تأخره لم يكن ناجما عن تقصير منه انما

---

(١) الطبرى – الامم والملوك ج ٦ ص ١٦٦

هو ناجم عن المقاومة العنيفة التي يبديها الخوارج ولو انه تمكن من دفعهم الى الشرق ولكنه لم يتمكن من القضاء عليهم نهائيا ، وتتاح الفرصة للمهلب للقضاء عليهم عندما انقسم الخوارج على انفسهم الى قسمين قسم مع عبد ربه الذى تمكن المهلب من القضاء عليهم نهائيا اما القسم الثاني فكان بزعامة قطرى بن الفجاة الذين رحلوا الى طبرستان فتمكن المهلب بمساعدة سفيان بن الابرد الكلبي الذى ارسله الحجاج على رأس جيش كبير من القضاء على قطرى قضاء تاما وكان ذلك في سنة ٧٧ هـ ولم يبق من الازارقة الا نفر قليل كانوا مع عبيد بن هلال الخارجي وقد قضى على زعيمهم وعليهم سنة ٨٧ هـ .

شبيب الخارجي :

واجهت الحجاج بن يوسف الثقفي عند توليه امر العراق عقبات خطيرة فالازارقة في الشرق يهددون سلطان الامويين ويعيثون في الارض فسادا واهل الكوفة متمردين تركوا قائدهم عبدالرحمن بن ابي مخنف كارهين حرب الازارقة ، لم يكن الازارقة وحدهم هم الذين اقلقوا بال الحجاج بل كان الى القرب منه ثائر خارجي يهدده في مستقر حكمه الا وهو شبيب بن يزيد الخارجي الذى كان اقوى ثائر خرج في العراق وهدد سلطان الامويين واقض مضاجع العراقيين ونشر الفزع والرعب .

ولد شبيب سنة ٢٥ هـ من اب عربي وام رومية وقد ولدته وهي مسلمة وكان خروج شبيب اول الامر تحت امرة صالح بن مسرح ، وصالح بن مسرح هذا كان يقيم بدار من ارض الموصل وكان له اصحاب يقرئهم القرآن ويفقههم في امور الدين ويحرضهم على الخروج على السلطان الجائر فمن قوله (ما ادرى ما تنتظرون وحتى متى انتم مقيمون على الجور وقد فشا وهذا العدل وقد عفا ولا تزداد هذه الولاة على الناس الا غلوا وعتوا وتباعدا عن الحق وجراة على الرب)[1] كما انه اتصل بشبيب الذي

---

(١) الطبرى – الامم والملوك ج ٧ ص ٢١٨

كان يراسله ويلح عليه بالخروج فراسل اصحابه واجتمع له عدد الخوارج كان شبيب احد قادتهم فاعلن صالح بن مسرح خروجه في ارض الجزيرة ولم يكن يرى قتل الناس كما كان يرى شبيب بل كان يرى ان يدعوا الناس اولا فان اجابوا فليس عليهم قتال وان ابوا حل لهم قتالهم(١) .

اشتبك هؤلاء الخوارج لاول مرة مع جيش ارسله اليهم محمد بن مروان امير الجزيرة من قبل عبدالملك وتمكن الخوارج من الانتصار على ذلك الجيش ثم ترك الخوارج الجزيرة متوغلين في ارض السواد فارسل لهم الحجاج جيشا من اهل الكوفة عدته ثلاثة الاف مقاتل عليهم الحارث بن عمير بن ذى المشعار والتقى بالخوارج وكان عددهم تسعين رجلا وقد قتل صالح بن مسرح في اول لقاء فتولى شبيب القيادة فتمكن من الانتصار على ذلك الجيش وقتل قائده وهذا اول انتصار لشبيب تعاقبته انتصارات اخرى على جيوش كبيرة بينما لم يكن شبيب في غالب الاحيان في اكثر من مائتين رجل فانتصر على جيش آخر للحجاج في خانقين سنة ٧٦ هـ وانتصر على جيش آخر في النهروان . ولما لم تتمكن هذه الجيوش من ايقاف شبيب او القضاء عليه فقد راح شبيب يجوب السواد ويكسر الخراج فغضب الحجاج فارسل جيشا كبيرا بقيادة الجزل بن عثمان بن سعيد وحرضه على ان يسرع في قتال شبيب ولكن الحجاج عزله وولي امرة ذلك الجيش سعيد بن المجالد الذى قتله شبيب وانتصر على جيشه وكان عدة ذلك الجيش خمسة آلاف وشبيب في حوالي المائة(٢) .

لم تكن شجاعة شبيب وبسالة اصحابه هي وحدها سبب انتصاراته العديدة بل كانت امور اخرى هذه الامور هي : اولا ـ ان اهل الكوفة لم يكونوا مخلصين في قتالهم يفرون عند اول لقاء لما كانوا يلاقونه من فتك الخوارج . ثانيا ـ ان اهل الكوفة رأوا ان هذه الحروب ليست فيها مكاسب مادية تشجعهم على القتال . ثالثا ـ انهم لم يكونوا راغبين في معاونة

(١) الطبرى ـ الامم والملوك ج ٧ ص ٢١٨
(٢) الطبرى ـ الامم والملوك ج ٧ ص ٢٤١

الحجاج لتثبيت سلطانه وسلطان الامويين • رابعا – ان هؤلاء الخوارج كانوا ينتمون الى القبائل العراقية فكرهت عشائرهم ان تقاتلهم في سبيل الحجاج الذى استثقلوا ظله وقاسوا من شدته وبطشه ما يكفيهم ليس فقط الى الاخلال بطاعته بل الى الثورة والتمرد عليه •

كانت انتصارات شبيب العديدة وعجز جيوش الحجاج عن ايقافه ان اصبح الطريق مفتوحا امامه الى الكوفة مركز الحجاج فارسل الحجاج جيشا من اهل الكوفة عدته الفين وقد خرج اهل الكوفة وكأنهم يساقون الى الموت فلم يتمكن ذلك الجيش من ايقاف شبيب وتمكن شبيب من دخول الكوفة والصلاة في مسجدها وقتل عددا من اشرافها ولكنه لم يتمكن من الاستيلاء عليها لتحصن الحجاج في قصره ثم خرج شبيب ليلاقي جيشا آخر كان الحجاج ارسله لقتاله وقتل من ذلك الجيش الذى كان يقوده عثمان بن قطن الذى خلف عبدالرحمن في قيادته الفا وخمسمائة من خمسة الاف وشبيب في (٨١) رجلا • لما رأى الحجاج ان لا فائدة ترجى من العراقيين وظهر منهم العجز وعظم مركز شبيب بمن انظم اليه من خوارج جدد حتى بلغ رجاله ثمانمائة رجل ارسل الى عبدالملك يرجوه ان يمده بجيش من اهل الشام ليقاتل به شبيب وبخاصة بعد ان انتصر شبيب على جيش كبير عدته اربعين الفا وقتل قائده عتاب بن ورقاء وشبيب في ستمائة رجل فقط ودخل شبيب للمرة الثانية الكوفة ثم ضرب عليها الحصار واقام عليها محاصرا وبنى مسجدا في ظاهرها ولم يتمكن احد من القواد الذين ارسلهم الحجاج من زحزحة شبيب من مكانه فاضطر الحجاج الى الخروج بنفسه وانتصر الحجاج لاول مرة على شبيب ولاحقه الحجاج حتى انحاز شبيب الى الاهواز فالتقى لاخر مرة مع جيش الحجاج ولم يكتب النصر لاحد الا ان شبيب غرق عندما كان يهم بعبور احد الانهار وبذلك تخلص منه الحجاج وكان ذلك في سنة ٧٧ هـ بعد أن كبد الدولة كثيرا من الاموال

والارواح وتكبد العراقيون كثيرا من الخوف والفزع وتعرضوا لـكره الحجاج وعاقبهم عقابا قاسيا لانهم لم يخلصوا له في قتال شبيب .

شوذب الخارجي :

واسمه بسطام البشكرى خرج في خلافة عمر بن عبدالعزيز سنة ١٠٠ هـ بارض جوخا من ارض السواد في ثمانين رجلا وكان عامل عمر بن عبدالعزيز على الكوفة عبدالحميد بن عبدالرحمن فارسل اليه عمر بان يرسل اليهم جيشا بقيادة محمد بن جرير بن عبدالله البجلى فسيره في الفين وامره عمر أن لا يحارب الا ان يسفكوا دما أو يحلوا حراما وارسل اليهم كتابا يطلب اليهم اشخاصا منهم ليناظرهم وكتب عمر الى بسطام (انك خرجت غضبا لله ولنبيه ولست باولى بذلك منى فهلم اناظرك فان كان الحق بايدينا دخلت فيما دخل فيه الناس وان كان في يدك نظرنا في امرنا)[١] فاستجاب شوذب لنداء عمر فارسل اليه اشخاصا ولم تقع الحرب انتظارا لنتيجة الناظرة .

كانت غاية عمر بن عبدالعزيز من هذه المناظرة حقن دماء المسلمين ومنع وقوع الحرب وان يأتي عدوه عن طريق السلم والمفاوضة لعله ان يصل الى غايته دون سفك الدماء وكاد عمر أن ينجح في اقناع الخوارج رسل شوذب لولا ان عاجلته المنية فلما وصل نبأ موته الى عبدالحميد بن عبدالرحمن عامل الكوفة ارسل الى قائد جيشه يأمره بمحاربة الخوارج لعله ان يقدم عملا يرضي به الخليفة الجديد يزيد بن عبدالملك الـذى خلف عمر فلما رأى شوذب تهيؤ جيش محمد بن جرير للقتال ولم يكن قد وصله نبأ موت عمر قال لقد مات الرجل الصالح .

اشتبك الخوارج مع محمد بن جرير وتمكنوا من الانتصار عليـه ولحقوا به حتى اخصاص الكوفة فخاف اهل الكوفة اقتراب الخوارج منهم

(١) الطبرى ــ الامم والملوك ج ٨ ص ١٣٢

ففزعوا الى مسلمة بن عبدالملك الذى كان في الكوفة بعد مقتل يزيد بن المهلب فارسل جيشا عدته عشرة آلاف بقيادة عمرو بن حريث حيث تمكن من القضاء على شوذب وقتله وقتل اصحابه .

البهلول :

ثار العراقيين ثورات عدة على الدولة الاموية منها ثورات شعبية وثورات خارجيو لم تكن ثوراتهم هذه سببها حرمان العراقيين من الاعطيات والفيء والشدة في جباية الضرائب وارسالهم في البعوث المرسلة الى الشرق أو لقمع الثورات اتي كانت تحدث في العراق انما كانت هنالك اسباب اخرى من هذه الاسباب تعرض العراقيين لشدة ولاة الدولة وقسوتهم وزجهم في السجون واخذهم على الريبة والظنة وابتعاد ولاة الامويين عن روح الدين الاسلامي في معالجة امور الناس فزياد بن ابي سفيان وابنه عبيدالله والحجاج بن يوسف الثقفي غالوا وعتوا واجبروا الناس على الخضوع لسلطانهم بكل الطرق والوسائل وابتداع القوانين والعقوبات وفرضها على كل من يظهر التذمر والعداء للدولة الاموية .

دفعت هذه الاسباب الخوارج الى الثورة بالاضافة الى ما كانوا يعتقدون فلم يخلو عهد من عهود خلفاء بني امية من ثورة خارجية ، ففي عهد هشام بن عبدالملك وولاية خالد بن عبدالله القسرى على العراق ١٠٥-١٢٠ خرج البهلول في اربعين خارجيا واسمه البهلول بن بشر ولقبه كثارة بن بشر وكان معروفا عند هشام بالشدة والبأس ولم يكن يعرفه الا بلقبه فلما اخبره صاحب الموصل بخروج الخوارج ارسل اليه هشام ان ابعث اليهم كثارة بن بشر فاجابه صاحب الموصل ان الخارج هو كثارة وكان خروجه منها ان خالدا كان يهدم المساجد ويبني البيع والكنائس ويولي المجوس امور المسلمين وينكح أهل الذمة المسلمات[1] .

---

(١) الطبري - الامم والملوك ج ٨ ص ٢٤٢

وكانت غاية البهلول اول الامر قتل خالد غيلة والتخلص منه وقام خالد من جانبه يرغب الناس في الخروج لقتال البهلول واعلن عليهم بانه سوف يضاعف اعطياتهم ويعفيهم من القتال في الهند وهذا يدل على اهتمام خالد بامر البهلول فخرجت قوة من اهل الشام وشرط الكوفة فلم يصمدوا امام قوة الخوارج وفروا منهزمين الى الكوفة والشامين على خيل جياد فلم يلحقوا بهم ولحقوا بشرط الكوفة فلما هم بقتلهم قالوا له (اتق الله فينا فانا مكرهون مقهورون)[1] فعفا عنهم واضطر خالد الى ارسال جيش آخر لم يحارب قائده خوفا من الخوارج فاستجار بالبهلول وانهزم افراد ذلك الجيش دون قتال فلما قوى امر البهلول طمع في مهاجمة هشام بن عبدالملك اذ قال لاصحابه (ما تصنع بابن النصرانية يعني خالد وما خرجنا الا لله فلم نطلب الرأس الذي يسلط خالد وذوى خالد فخرج يريد هشاما فاجتمعت عليه عدة جيوش من الجزيرة والشام والعراق والتقت هذه الجيوش في ارض الجزيرة وقضت عليه وكان معه سبعون رجلا وجيوش هشام عشرون الفا .

تعرض خالد القسري لثورات خارجية اخرى تمكن من القضاء عليها منها ثورة عمرو البشكري وثورة العنزي ثم ثورة وزير السختباني الذي ثار في الحيرة فجعل لا يمر بقرية الا احرقها ولا احد الا قتله فارسل اليه خالد جيشا تمكن من قتل جميع اصحابه وقبض على وزير وجيء به الى خالد فاعجب خالد بفصاحته وحسن كلامه فلم يقتله وامر أن يسجن ولكنه اضطر الى حرقه بأمر هشام وثار خارجي آخر هو الصحاري بن شبيب ومعه ثلاثون رجلا وكانت غايته قتل خالد غيلة ولكن خالد تمكن من القضاء عليه .

يتضح مما تقدم ان الخوارج قاموا بثورات عديدة استمرت منذ قيام الدولة الاموية حتى سقوطها وكانت سببا في اضعافها وبالتالي الى سقوطها ،

---

(١) الطبري - الامم والملوك ج ٨ ص ٢٤٢

خرجت هذه الثورات من الكوفة والبصرة وقليل منها ما خرج من مناطق اخرى من ارض السواد والجزيرة وكانت هذه الثورات تثار ضد ولاة العـراق •

والملاحظ على ثورات الخوارج التي خرجت من الكوفة انها خرجت في عهد معاوية ثم انتقلت حركة الخوارج في عهد يزيد بن معاوية الى البصرة واتخذت طابعا آخر هو طابع التكتل السري وبث آرائهم عن هذا السبيل ثم تعود الكوفة مرة اخرى مصدرا لثوراتهم في ولاية خالد بن عبدالله القسري وولاية عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز ، كما يلاحظ على خوارج الكوفـة القلة في العدد لان الكوفة كانت مركز الشيعة الذين هم على طرفي نقيض من الخوارج ، أما خوارج البصرة فكانوا اكثر عددا من خوارج الكوفـة واطول منهم مجادلة في الحرب واوسع منهم اجتهادا في امور عقيدتهم ممـا ادى الى ظهور عدة فرق اختلفت في موقفها من جماعة المسلمين منها المعتدل ومنها المتطر فأما خوارج الكوفة فكان موقفهم واحدا من بقية المسلـمين وهو موقف المتطرف المتشدد •

اثرت هذه الثورات تأثيرا كبيرا على الدولة الاموية وعلى العراقيين على حد سواء فقد اضطر ولاة الدولة الى أن يكونوا باستمرار مستعدين لمواجهة هذه الثورات ومقاومتها والتخلص من شرها والقضاء عليها مما ادى الى تكبد الدولة كثيرا من الاموال والارواح فكانت هـذه الثورات سببا من اسباب ضعف الدولة وبالتالي الى سقوطها •

أما بالنسبة لاهل العراق فقد تكبدوا كثيرا من المال والاوراح ايضـا وتأثرت الناحية الاقتصادية وبخاصة التجارة لما كان يحدثه هؤلاء الخوارج من اخافة السبيل وقطع طرق المواصلات بين المدن المختلفة ، كما سيطر على العراقيين جو من الخوف والفزع لاشاعة الخوارج قتل النساء والاطفـال واحراق القرى وقتل مخالفيهم في العقيدة •

فشلت هذه الثورات في تحقيق الهدف الذي كانت تسعي اليـــه أما اسباب ذلك الفشل فهي :ـ

اولا ـ ان الخوارج كانوا يخرجون في اعداد قليلة وفي اوقات متباعدة مما سهل على ولاة الدولة الاموية القضاء عليهم •

ثانيا ـ طغيان مذهب التشيع على اهل الكوفة ومناقضة ذلك المذهب لمبـدأ الخوارج وكره اهل الكوفة والشيعة عامة للخوارج لخروجهـم على علي بن ابي طالب (رض) وتكفيرهم اياه فساعد هؤلاء ولاة الدولة في غالب الاحيان على قتال الخوارج •

ثالثا ـ موقف اهل البصرة واندفاعهم الى مقاومة الخوارج والقضاء عليهم ليحافظوا على تجارتهم واستمرارها •

رابعا ـ تفرق الخوارج الى فرق متعـــددة مما ادى الى اضعافهم وتفتيت وحدتهم فسهل على ولاة الدولة القضاء عليهم •

خامسا ـ الاعمال التخريبية التي كانوا يحدثونها من قتل النساء والاطفـال وقتل مخالفهم واحراق القرى وكسر الخراج وقطع طرق التجارة مما ادى الى كرههم من جانب العراقيين عامة فاندفعوا الى مساعدة ولاة الدولة في القضاء عليهم والخلاصة ان الخوارج الذين نادوا وعملوا على تحقيق هدفهم ذلك الهدف هو ان يـكون الانتخاب الحر اساسا للخلافة وان يتولى أمر المسلمين افضلهم دون اعتبار لنسـبه •

سعي الخوارج الى تحقيق هدفهم عن سبيل القوة والحرب والثـورة بذلك خالفوا الشيعة الذين اتخذوا سبلا متعددة لمناهضة الحـكم الاموي ، كما ان الخوارج امتازوا على غيرهم من الفرق الاسلامية بانهم لم يسـعوا الى تحقيق مثل عليا اعتقدوا بها وتمسكوا بها تمسكا قويا دون مداراة لاحد أو تستر من قوة السلطان أو قوة مخاليفهم من الفرق الاخرى لذلك رأينـا ان نضع الخوارج مع غيرهم من العراقيين المعارضين للدولة الاموية مـع

اختلافهم في الوسيلة واتحادهم في الهدف • ذلك الهدف هو التخلص من الحكم الاموي •

ثـورات المـوالي

اشترك الموالي في كثير من الثورات العراقية فقد اشتركوا في ثـورة المختار الثقفي وكانوا عمادها فقربهم وفرض لهم ولاولادهم الاعطيات حتى اضطر اشراف الكوفة الى الهرب والالتجاء الى مصعب بن الزبير وحرضوه على قتال المختار لانه ساوى بينهم وبين عبيدهم ومواليهم في العطاء وقدمهم عليهم ، كما اشتركوا في ثورة عبدالرحمن بن الاشعث سنة ٨٢ هـ فكـان في جيش الطواويس الذي ارسله الحجاج الى الشرق بقيادة عبدالرحمـن بن الاشعث عدد كبير منهم كما انظم اليه عدد من الموالي عندما دخل البصرة وكان هؤلاء قد امرهم الحجاج بالرجوع الى قراهـم التي خرجوا منهـا لانكسار الخراج فوجـدوا الفرصة سانحة امامهم فانظموا الى عبدالرحمن وقـد حرضهم فقهاء البصرة وقراؤهـا عـلى ذلك الانضمـام لاستيائهم من عمل الحجاج ازاء هؤلاء المسلمين الجدد ، كذلك اشتركوا في ثورة زيد بن علي بن الحسين سنة ١٢١ هـ وكان من جملة ما دعا اليه زيد هو رد المظالم والدفاع عن المستضعفين وبقصد بذلك الموالي كما اشتركـوا في ثورات عديدة في خلافة مروان بن محمد آخر خلفاء الدولة الاموية الـى جانب ذلك فقد شاركوا الخوارج في ثوراتهم فنظر اليهم الخوارج كمسلمين متساويين معهم في الحقوق وجوزوا خلافتهفيما اذا ظهر منه الصلاح والقدرة على تحمل المسؤولية • أما الاسباب التي دفعتهـم الى الاشتراك في تلك الثورات فهـي :ـ

اولا ـ انتصار المسلمين عليهم وتقويض امبراطوريتهم الفارسية واضطرارهم الى تغيير دينهم ولغتهم ليتلائم ذلك مع حياتهم الجديدة •

ثانيا ـ السياسـة الماليـة التي اتبعهـا ولاة الـدولة نحوهم واجبـارهم على دفع الجزية بعد اسلامهم •

ثالثا – حرمانهم من الاعطيات والارزاق عند اشتراكهم في الفتوح .

رابعا – حرمانهم من المساواة الاجتماعية التي يمنحها الدين الاسلامي في الزواج والمعاملات الاخرى وابعادهم عن الوظائف واحتقار الدولة الاموية لهم .

ولما لم يجد الموالي في هذه الثورات التي اشتركوا فيها ما كانوا يسعون اليه ولما لم يكن في مقدورهم ان يعلنوا ثورات منهم لحاجتهم الى زعيم يقودهم اتخذوا طريق السرية ونشر مبادىء غريبة عن الدين الاسلامي والذي هو عماد الدولة الاموية التي حرمتهم من كثير مما كانوا يتمتعون به ليضعفوا الدين الاسلامي والدولة الاموية فنشأ عن ذلك ظهور الفرق الدينية التي تلبست لباس التشيع واخفت قصدا هو القضاء على الدولة الاموية وتحطيم الخلق الاسلامي وبذر بذور الشقاق ونشر عقائد تهتكية اباحية ليصلوا الى ما كانوا يقصدون فكانت حركتهم هذه حركة اجتماعية لم تكن موجهة الى الامويين فحسب بل الى العرب عامة .

أما الثورة الوحيدة التي قام بها الموالي فكانت في ايام المغيرة بن شعبة في ولايته على الكوفة لمعاوية بن ابي سفيان فقد خرجت جماعة منهم اميرهم ابو علي فارسل اليهم المغيرة جيشا بقيادة جابر البجلي فلما قرب ناداهم (يا معشر الاعاجم هذه العرب تقاتلنا على الدين فما بالكم فنادوه يا جابرا انا سمعنا قرآنا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا وان الله بعث نبيه للناس كافة ولم يزوه عن احد فقاتلهم حتى قتلهم)(١) .

هذه الثورة تبين رغبة الموالي في أن تعاملهم الدولة كما تعامل الاخرين من المسلمين ما داموا قد دخلوا الدين الاسلامي الذي يزيل الفوارق الجنسية واللغوية وان يكون اساسا للعلاقات بين الافراد وبينهم وبين السلطة الحاكمة .

---

(١) اليعقوبي – التاريخ جـ ٢ ص ١٩٧

المختار بن ابي عبيد الثقفي

ظهر المختار الثقفي على مسرح الحوادث في الكوفة سنة ٦٤ هـ وتمكن من أن يجمع حوله اهل الكوفة من شيعة آل البيت ويستقل بها وان يمد سلطانه على غيرها من الامصار ويحارب الامويين والزبيريين وينتقم من قتلة الحسين بن علي (رض) حتى تمكن مصعب بن الزبير من القضاء عليه وقتله سنة ٦٩ هـ .

والمختار بن ابي عبيد بن مسعود الثقفي من ثقيف وابوه ابو عبيد قائد الجيش الذي ارسله عمر بن الخطاب الى العراق وقد قتل ابو عبيد في معركة الجسر سنة ١٣ هـ واندحر المسلمون في تلك المعركة امام الفرس وقد رافق المختار والده في تلك المعركة وكان عمره عند مقتل والده ثلاث عشرة سنة(١) .

كان المختار يمني نفسه منذ صغره بالوصول الى الامرة والسلطان فعول على أن يسلك كل سبيل وينتهز كل فرصة للوصول الى هدفه .

كانت اول فرصة حاول استغلالها انه حرض عمه سعد بن مسعود وكان اميرا على المدائن ان يقبض على الحسن بن علي (رض) وكان قد خرج الحسن في مظلم ساباط لقتال معاوية سنة ٤١ هـ ويدفعه الى معاوية ويتقرب اليه الا ان عمه ابى عليه فلما علم بعض زعماء الشيعة ممن كان مع الحسن بأمر المختار حاولوا قتله فكلم عمه الحسن نعفا عنه وأمر بأن يمسكوا عنه(٢) .

رغب المختار بعمله هذا ان يتقرب الى معاوية لعله ان يسهل له معاوية الوصول الى تحقيق امانيه ثم ظهر مرة ثانية على مسرح الحوادث عندما انظم الى حركة مسلم بن عقيل مبعوث الحسين بن علي سنة ٦٠ هـ الى اهل

---

(١) البلاذري ـ انساب الاشراف جـ ٥ ص ٢١٤
(٢) البلاذري ـ انساب الاشراف جـ ٥ ص ٢١٤

الكوفة ليتأكد من تأييدهم ومؤازرتهم له وكان نصيب المختار ان قبض عليه عبيدالله بن زياد امير العراق وحبسه واخرج من السجن بعد أن توسط له عبدالله بن عمر بن الخطاب وخرج من الكوفة قاصدا عبدالله بن الزبير الذي كان قد حصل على تأييد اهل الحجاز ومبايعتهم له بالخلافة مخالفا بذلك يزيد بن معاوية فانظم اليه وحارب معه جيوش يزيد ولما لم يجد عند بن الزبير ما يرضى به اطماعه ويحقق امانيه تركه قاصدا الكوفة سنة ٦٤هـ. وقد شجع المختار الى اتيان الكوفة اضطراب الاحوال في العالم الاسلامي بعد موت يزيد بن معاوية وتنازل ابنه معاوية الثاني عن الخلافة راغبا عنها وخروج عبيدالله بن زياد امير العراق هاربا بعد ان ثار به اهل البصرة وقد ظهر ابن الزبير على مسرح الحوادث والذي بايعته اكثر الامصار الاسلامية ولم يبق مع الامويين الا الاردن وقد تزعمهم مروان بن الحكم وبايعوه بالخلافة كان هذا الاضطراب اكبر مشجعا للمختار على الخروج الى الكوفة التي كان يأمل ان يجد فيها الجو المناسب ليدعو الناس اليه مستغلا شعورهم وحبهم لآل البيت والطلب بدمائهم وكان يحلم بهذا الامر منذ سنين طويلة منذ ان اشار المغيرة بن شعبة الى حال اهل الكوفة من شيعة آل البيت وحبهم وبذل كل ما لديهم في سبيلهم وجريهم وراء أي زعيم يدعوهم الى انصاف آل البيت من الامويين لعله يحصل على تأييدهم في سبيل تحقيق اهدافه واطماعه . ذكر البلاذري ان المختار ركب يوما مع المغيرة فمر بالسوق فقال المغيرة اما والله اني لا اعرف كلمة لو دعا بها اريب لاستجاب لها اقوام فصاروا له انصارا ولاسيما العجم الذين يقبلون ما يلقى اليهم قال المختار وما هي ياعم قال يدعوهم الى نصرة آل محمد والطلب بدمائهم فكانت في نفس المختار حتى دعا[1] .

كان لهذه الاشارة اثرها في نفس المختار فاستغلها ونجح في استغلالها. كان قدوم المختار الكوفة في الوقت الذي ظهر فيه التوابون بزعامة سليمان

(١) البلاذري ـ انساب الاشراف ج ٥ ص ٢٢٣

بن صرد وقد ازمعوا على الخروج للاخذ بثأر الحسين من قتلته وكانت شيعة الكوفة كلها مع سليمان بن صرد الخزاعي فلما اخذ المختار يدعو الناس اليه والطلب بدم الحسين كانت الشيعة تقول له هذا سليمان بن صرد شيخ الشيعة وقد اطاعته الشيعة وانقادت له وولته أمرها فكان يقول ان سليمان رجل لا علم له بالحروب وسياسة الرجال وقد جئتكم من قبل محمد بن علي بن الحنيفة مؤتمنا ومنتجبا ووزيرا مناصحا له فلم يزل حتى انشعبت اليه طائفة منهم ومعظمهم مع بن صرد فكان سليمان اثقل الناس على المختار(١) وكان الذي قوى من دعوته وجعلها تنفذ الى نفوس الشيعة انه اعلن بأن محمد بن الحنفية امره بقتال الملحدين والطلب بدماء اهل البيت والدفع عن الضعفاء(٢) ويقصد بالضعفاء الموالي الذين تمكن من جذبهم اليه بسرعة وكان حريصا على تنفيذ ما اشار اليه المغيرة بن شعبة فنجح في أن يجمعهم حوله فكانوا هم اعوانه وانصاره ومؤيدوه قال احد الاعاجم بعدأن قوى امر المختار (اما ترى ابا اسحاق قد اقبل على العرب ما ينظر الينا فلما علم المختار بذلك قال لهم لا يشق ذلك عليكم فانتم مني وانا منكم)(٣) .

والامر المهم الذي نادى به المختار لجذب الاعاجم انه اعلن بأنه سوف يعطي الموالي وذريتهم اعطيات وارزاقا كما يعطي المسلم العربي .

مكن المختار لنفسه بأن جمع حوله عددا من الشيعة وقوى امره وكثر اتباعه بعد خروج التوابين بزعامة سليمان بن صرد الخزاعي سنة ٦٥ هـ من الكوفة للقاء عبيدالله بن زياد وقد تمكن عبيدالله من القضاء عليهم في عين الوردة .

خلى الجو للمختار فعمل على أن يستغل شعور زعماء الكوفة وحبهم لآل البيت ويجذبهم اليه فوجه همه الى اقناع ابراهيم بن الاشتر وقد نجح في استمالته اليه بعد ان اظهر المختار له كتابا ادعى ان محمد بن الحنيفة

---

(١) البلاذري ـ انساب الاشراف ج ٥ ص ٢٠٧
(٢) الطبري ـ الامم والملوك ج ٧ ص ٦٤
(٣) الطبري ـ الامم والملوك ج ٧ ص ١١٣

ارسله اليه يطلب فيه الى ابراهيم أن يعاون المختار ويؤكد له ان الكتاب مرسل من قبل محمد بن الحنفية فأعلن ابراهيم انضمامه الى حركة المختار ولو انه لم يكن في قرارة نفسه واثقا من صحة ذلك الكتاب[١] .

كان لانضمام ابراهيم بن الاشتر وهو من زعماء الكوفة اثره المهم في تثبيت وتقوية مركز المختار فلما اطمأن المختار الى قوته ثار بعبدالله بن مطيع العدوى امير الكوفة من قبل عبدالله بن الزبير فأخرجه منها والتجأ الى البصرة[٢] . ثم اخذ المختار يتعقب قتلة الحسين بن علي فقتل عددا ممن تمكن من القبض عليه .

اخاف المختار اهل الكوفة بما فعله مع قتلة الحسين فقد حرقهم بالنار وقطع اعضائهم وعذبهم فقام اهل الكوفة بمحاولة للقضاء عليه والتخلص منه ولا سيما انه ساوى العجم بالعرب في العطاء والارزاق وتولية امور الخراج[٣] . الا ان محاولتهم باءت بالفشل فاضطر عدد كبير من زعماء الكوفة واشرافها الى الخروج والالتجاء الى مصعب بن الزبير امير البصرة آنذاك . كان نجاحه في معركة جبانة السبيع التي حدثت بينه وبين اهل الكوفة اثرها الكبير في تقوية مركزه وامتداد سلطانه فعمل على تنقية الكوفة من كل من اشترك في جيش عمر بن سعد الذي خرج لقتال الحسين . كانت غايته من ذلك أن يخيف أهل الكوفة من ناحية ليركنوا الى حكمه ومن ناحية اخرى ليزيد من التفاف الشيعة والمخلصين لآل البيت حوله فلم يبقى في الكوفة احد ممن اشترك في قتال الحسين الا قتله وقتل عمر بن سعد قائد الجيش وقتل ابنه وهو ابن اخت المختار وقال المختار هذا بالحسين وابنه ووالله لو قتلت به ثلثي قريش ما وفوا بأنملة من انامله[٤] .

---

(١) الطبري ـ الامم والملوك ج ٧ ص ٩٩
(٢) البلاذري ـ انساب الاشراف ج ٥ ص ٢٢٢
(٣) الدنبوري ـ الاخبار الطوال ص ٢٩١
(٤) ابن طباطبا ـ الفخري ص ٨٩

عمل المختار بعد ان بسط سلطانه على الكوفة على محاربة الامويين لكنه قبل أن يخرج لقتالهم حاول ان يداري ويصانع ابن الزبير حتى لا يقع بين قوتين كبيرتين لا قبل له بهما[1] .

لم يكن المختار صادقا فيما اظهره لابن الزبير فانه لم يكد ينتهي من حربه مع الامويين وقتله عبيدالله بن زياد في معركة الخازر حتى توجه الى قتال مصعب بن الزبير ليخرجه من البصرة وكان المختار قد دانت له امصار اخرى بعد انتصاره على الامويين فكانت الاموال تأتيه من السواد والجبل واصفهان والري واذربيجان والجزيرة[2] .

وجه المختار همه الى محاربة مصعب كما ان مصعب من ناحيته قد اثير لمحاربة المختار فقد اثاره وحرضه زعماء واشراف الكوفة الذين كانوا قد هربوا من الكوفة خوفا من بطش المختار واستياءهم من مساواته العجم بالعرب وتقريبه اياهم وابعاد العرب . فجرت بين المختار ومصعب وقائع عدة كان النصر فيها لمصعب حتى تمكن من حصره في قصره ولما طال الحصار على المختار خرج للقتال فخر صريعا وكان مقتله سنة ٦٩ هـ وقتل معه سبعة آلاف قتلهم مصعب صبرا وقتل امرأة المختار وهي بنت النعمان بن بشير الانصاري وهي أول امرأة في الاسلام تقتل صبرا[3] .

كان لهذه الفعلة من جانب مصعب اثرها السيء في نفوس المسلمين عامة وفي نفوس الشيعة خاصة وقد انتقم اهل العراق من مصعب عندما انظموا الى عبدالملك بن مروان وتركوا مصعبا يحارب وحده في الميدان وبذلك سهل على عبدالملك من القضاء عليه وارجاع العراق الى حظيرة الدولة الاموية .

يتضح مما تقدم ان المختار استغل اضطراب الاحوال وميل الشيعة من

---

(١) البلاذري ـ انساب الاشراف ج ٥ ص ٢٤٣
(٢) الدنبوري ـ الاخبار الطوال ص ٢٩١
(٣) الطبري ـ الامم والملوك ج ٧ ص ١٥٧

العرب والعجم الى البيت العلوي ليصل الى الهدف الذي كان يهدف اليه ذلك الهدف هو ان يكون له شأن ويحصل على ما حصل عليه اقرانه امثال عبدالملك وابن الزبير وغيرهم .

الا ان الظروف التي استغلها المختار ليست هي وحدها التي اوصلته الى ما وصل اليه مالم تتوفر فيه مقومات الشخصية القوية المؤثرة .

توفرت في المختار كل مزايا الزعامة فهو كما وصفه صاحب الفخري قال (كان رجلا شريفا في نفسه عالي الهمة كريما)(١) كما توفرت فيه عقلية نافذة وبصيرة ثاقبة ولسان ذرب فصيح فتمكن من أن يؤثر في نفوس اصحابه فصدقوه في كل ما كان يقوله ويدعيه وقد صدقوه بان جبريل ينزل عليه وياتيه بالوحي وهو ما كان يدعيه كتب الى البصرة (بلغني انكم تكذبون رسلي وتكذبونني وقد كذبت الانبياء من قبلي ولست بخير من كثير منهم)(٢) كما كان يدعي انه يلهم ضربا من السجاعة لامور تكون ثم يحتال فيوقعها هذا من عند الله عز وجل(٣) .

وجد المختار في اهل الكوفة من يصدقه فيما كان يدعيه فكيف تنطلي هذه الاكاذيب على اهل الكوفة ان لم يكن له من قوة الشخصيةالتي تمكنه من التأثير عليهم حتى تمكن من ان يجمعهم حوله ويدفعهم امامهم مستغلهم لاغراضه واهدافه . كما انطلت على الكوفة اكاذيبه الاخرى فقد ادعى انه انما يقوم حركته هذه في خدمة آل البيت العلوي وانه مرسل من قبل محمد بن الحنفية وقد كذبه محمد بن الحنفية ونفي انه معه في قتله الناس واراقة الدماء كتب محمد الى المختار (اني لو اردت القتال لوجد الناس الي سراعا والاعوان لي كثيرا ولكني اعتزلتهم واصبر حتى يحكم الله وهو خير

---

(١) ابن طباطبا ـ الفخري ص ٨٩
(٢) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد جـ ٥ ص ١٤٣
(٣) المبرد ـ الكامل في الادب ج ٢ ص ١٤٤

الحاكمين)[1] كذلك لو كان مخلصا في دعوته لمحمد لدعاه بعد أن قوى امره وثبت مركزه ولكنه كاذب في ادعائه ومن الطريف ان المختار لما علم بنبأ خروج ابن الحنفية قاصدا الكوفة قام خطيبا في اصحابه وقال يا قوم قد ذكر ان امامكم قد قصد نحوكم ومن امارة الامام انه لا يؤثر فيه السيف فاذا اتى فجربوا فيه هذا السيف فلما بلغ محمدا بن الحنفية انه قد قصد بذلك قتله عدل عن القدوم[2] الا انه تمكن من اخفاء امره عن اصحابه وعن اقرب الناس اليه والصقهم به حتى آخر لحظة من حياته وهذا دليل آخر على سوء نيته قال للسائب بن مالك الاشعري لما خرج لقتال مصعب بن الزبير وكان من خاصته (ايها الشيخ اخرج بنا لنقاتل على احسابنا لا على الدين فاسترجع السائب وقال يا ابا اسحاق لقد ظن الناس ان قيامك بهذا الامر دينونه فقال المختار لا لعمري ما كان الا لطلب دنيا فاني رآيت عبدالملك بن مروان قد غلب على الشام وعبدالله بن الزبير قد غلب على الحجاز ومصعب بن الزبير على البصرة ونجدة الحروري على العروض وعبدالله بن خازم على خراسان ولست بدون واحد منهم ولكن ما كنت اقدر على ما اردت الا بالدعاء الى الطلب بثأر الحسين[3] وهكذا كشف المختار القناع عن خبثه وقصده فلم يكن صادق النية ولا صحيح المذهب انما اراد ان يستأصل الناس[4] والخلاصة ان حركة المختار بن ابي عبيد الثقفي كانت حركة شخصية استغل شعور اهل العراق من شيعة علي عربا وعجما وحبهم لآل البيت ليصل الى تحقيق امانيه في الأمرة والسلطان فهي اذاً حركة شخصية ليست حركة شيعية الا ان المظهر الشيعي كان غالبا عليها فهي ثورة شخصية تسترت بستار التشيع الا

---

(١) الطبري ـ الامم والملوك جـ ٧ ص ١٣٥

(٢) الرازي ـ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٦٢

(٣) الدنبوري ـ الاخبار الطوال ص ٢٩٨ والبلاذري انساب الاشراف جـ ٥ ص ٢٦١

(٤) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد جـ ٥ ص ١٤٤

ان هذه الثورة كان لها تأثير كبير في دفع الموالي الى التكتل والعمل لاستخلاص حقوقهم وسعيهم المتواصل ليحصلوا على المساواة الاجتماعية وبالتالي الى المساواة السياسية وقد عدها ولهاوزن اساسا لعدد من الثورات التي قام بها الموالي فيما بعد حتى انه جعلها اساسا للدعوة العباسية وقيام ابي مسلم الخراساني بزعامة تلك الحركة استمرارا لثورة الموالي مع المختار الثقفي .

مطرف بن المغيرة بن شعبة

اخلص الحجاج بن يوسف الثقفي عامل العراق الخدمة لسيده اخلاصا متناهيا فلم يترك وسيلة الا اتبعها لتمكين وتثبيت حكم الامويين في العراق واستعمل كل اساليب العنف والشدة في سبيل القضاء على ثورات العراقيين التي كان الحجاج سببا من اسباب تلك الثورات لثقل وطأته على العراقيين واخذهم بالعنف والقسوة والقتل والتشريد .

جلب الحجاج على نفسه كره العراقيين من مختلف الطوائف وكره غير العراقيين ومنهم من ينتمي الى بيت الخلافة كعمر بن عبدالعزيز وسليمان بن عبدالملك الذين وجداه بكره الناس على تقبل الحكم الاموي اكراها يدفعهم الى الثورة وسرى ذلك الكره الى اعوان الحجاج في العراق منهم مطرف بن المغيرة بن شعبة الذي كان الحجاج قد ولاه المدائن وولي اخاه عمر بن المغيرة واخاه حمزة همدان فكان لنسبهم وشرفهم وصلاحهم أثر في تقديم الحجاج لهم والاستعانة بهم وقد امتاز مطرف عن اخويه بانه كان صالحا للريب واشد انكار للظلم[١] فثار على الحجاج سنة ٧٧ هـ ودعى الناس الى خلع سلطان بني امية وجعل الامر شورى بين المسلمين .

كان بدء خروجه عندما قرب منه شبيب الخارجي وهدده وكان امر شبيب قد قوى في العراق بعد انتصاراته المتعددة على جيوش الحجاج فارسل

---

(١) الطبري ـ الامم والملوك ج ٧ ص ٢٥٨

مطرف الى شبيب ان يبعث اليه بعض رجاله ليناظرهم فبعث اليه شبيب رجالا يناظرون مطرف وانتهت هذه المناظرة بعد اربعة ايام لم يصل فيها الطرفان الى اتفاق تام الا في كراهيتهم للحجاج وعبدالملك • فلما اعلن مطرف سوء رأيه في الحجاج وعبدالملك واعتبرهم ظلمة محلين وعليه أن يخلعهم فليسوا صلحاء للحكم قرر الخروج قبل أن يتعرض لعقاب الحجاج فدعى اصحابه ومن كان على رأيه الى الخروج وقال لهم (لست احب ان يتبعني من ليست له نية في جهاد اهل الجور • ادعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه والى قتال الظلمة فاذا جمع الله لنا امرنا كان هذا الامر شورى بين المسلمين يرتضون لانفسهم من احبوا)[1] فخرج معه من بايعه على هذا الرأى متوجهين شرقا وساعده اخوه حمزة الذي كان على هيمدان بالمال والسلاح مع مخالفته بالرأى وكان جزاء حمزة ان قبض عليه الحجاج وسجنه اما مطرف فارسل اليه الحجاج جيشا عدته عشرة آلاف عليهم عدي بن ورقاء والبراء بن قبيصة ولم تفد شجاعة مطرف وبسالة اصحابه امام ذلك الجيش الكبير فقتل وقتل اكثر اصحابه وكان مقتله سنة ٧٧ هـ •

كانت هذه الثورة مدفوعة بعامل شخصي الا انها تعبر عن كره الناس عامة اسلوب الحجاج في معاملة العراقين وقتلهم على الريبة والظنة واخذهم بكل صنوف العذاب •

ثورة عبدالله بن معاوية

هذه ثورة اخرى تزعمها احد افراد البيت العلوي مستغلا حب العراقين وولائهم لاهل البيت وكراهيتهم لحكم الدولة الاموية رمي من وراء ذلك تحقيق اطماعه الشخصية في الوصول الى الخلافة الا وهو عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن ابي طالب الذي اشتهر عنه انه كان جوادا فارسا وشاعرا ولكنه كان سيء السيرة ردىء المذهب قتالا مستظهرا ببطانة

(١) الطبري ــ الامم والملوك ج ٧ ص ٢٦٣

السوء وممن يرمى بالزندقة فمن بطانته عمارة بن حمزة الزنديق ومطيع بن اياس الشاعر الخليع والبقلي الذي يقول اذا مات الانسان لا يرجع[١] .

استغل عبدالله الظروف المحيطة بالدولة الاموية واضطراب الاحوال فاظهر دعوته ايام يزيد الناقص ودعا اهل الكوفة الى بيعته وكانت دعوته اليهم (الرضا من آل محمد ولبس الصوف واظهار سيما الخير)[٢] وقد بايعه نفر من اهل الكوفة أما القسم الاكبر منهم فقد طلبوا اليه الخروج من الكوفة وقالوا له (لقد قتل جمهورنا مع اهل هذا البيت واشاروا عليه بقصد فارس ونواحي الشرق فعمل بذلك وبث دعاته في الشرق يدعون الناس بخلاف ما كان يدعونه اليه في الكوفة وكانت دعوتهم اليها (على ما احبوا وما كرهوا)[٣] وهنا يظهر ان عبدالله لم يكن يهمه الا مبايعته الناس الذين سئموا حكم هذه الدولة التي اقتربت من نهايتها واصبحت في رمقها الاخير .

تمكن عبدالله من ان يغلب على مياه الكوفة والبصرة وهمدان وقم والري وقومس واصبهان وفارس واقام باصبهان فلما ثبت مركزه اقبل عليه بنو هاشم ومنهم السفاح والمنصور وعيسى بن علي ومن وجوه قريش ومن بني امية منهم سليمان بن هشام بن عبدالملك[٤] فمن اراد منهم عملا قلده وكاد ان ينجح في الوصول الى الخلافة لولا ان موجة طاغية اتت من الشرق ترفع اعلامها السود داعية الى نفس ما دعا اليه عبدالله بن معاوية ولكنها كانت ترمي الى هدف اخر هو ، ان يكون للفرس نصيب في هذه الموجة هي الموجة العباسية يقودها ابو مسلم الخراساني فقبض على عبدالله بن معاوية وسجنه ومات عبدالله في السجن وتقدمت جيوش ابى مسلم مكتسحة امامها قوى الامويين حتى قضت على الدولة الاموية سنة ١٣٢ هـ .

---

(١) الاصفهاني ـ مقاتل الطالبين ص ١٦٢ و١٦٧
(٢) الاصفهاني ـ مقاتل الطالبين ص ١٦٢ و١٦٧
(٣) الاصفهاني ـ مقاتل الطالبين ص ١٦٢ و١٦٧
(٤) الاصفهاني ـ مقاتل الطالبين ص ١٦٢ و١٦٧

كان لهذه الثورات الشيعية والشخصية التي تسترت بستار التشيع اثرها الواضح على الدولة الاموية وكانت سببا من اسباب سقوطها فقد ادت الى ان يهتم خلفاء بني امية وولاتها على العراق بامر هذه الثورات بتجهيز الجيوش العديدة لكي يقضوا على هذه الثورات التي انهكتهم وانهكت خزانة الدولة وجعلتهم باستمرار يقضين حذرين لهذه الثورات كما ان العراقيين اخذوا من جانبهم يتكتلون لزعزعة هذه الدولة وتقويضها لما الحقت بهم من ذل وقتل وتشريد .

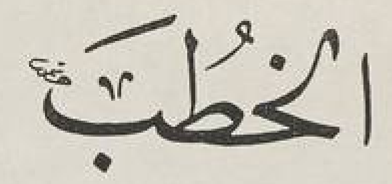
الملاحق

١ ـ الخطب ـ خطب الخلفاء
خطب الامراء

٢ ـ الكتب والرسائل

٣ ـ التوقيعـات

٤ ـ الوصـايا



خطب الخلفاء

الحسن بن علي بن ابي طالب يخطب في اهل الكوفة بعد تنازله لمعاوية بالخلافة (١)

أما بعد يا ايها الناس فان الله قد هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا وان لهذا الامر مدة والدنيا دول وان الله تعالى قال لنبيه (ص • ع) ان ادرى لعله فتنه لكم ومتاع الى حين •

معاوية يخطب في الكوفة بعد تنازل الحسن له عن الخلافة(٢)

قدم معاوية الكوفة وصعد المنبر ثم قال (اما بعد فانه لم تختلف أمة بعد نبيها الا غلب باطلها حقها الا ما كان من امر هذه الامة فان حقها غلب باطلها ثم نزل) •

خطب عبدالملك بن مروان بعد ان علم بانتصار جيوشه على التوابين بعين الوردة سنة ٦٥هـ(٣) •

اما بعد فان الله قد اهلك من اهل العراق ملقح الفتنة ورأس الضلالة سليمان بن صرد الا وان السيوف تركت رأس ابن نجبه خذاريف الا وقتل الله منهم رجلين ضالين مضلين عبدالله بن سعد اخا الازد وابن وال اخا بكر بن وائل فلم يبق بعد هؤلاء احد عنده دفاع ولا امتناع •

---

(١) الطبرى ـ ج ٥ ص ٩٣
(٢) الطبرى ـ تاريخ الامم والملوك ج ٦ ص ٩٣
(٣) البلاذري ـ انساب الاشراف ج ٥ ص ٢١٧

خطب عبدالملك بن مروان في الكوفة سنة ٧١ هـ بعد قضائه على مصعب بن الزبير وتعيين بشر بن مروان امير عليها(١)

ان عبدالله بن الزبير لو كان خليفة كما يزعم لخرج فأسى بنفسه ولم يفرز ذنبه في الحرم ثم قال (اني قد استعملت عليكم بشر بن مروان وأمرته بالاحسان الى أهل الطاعة والشدة على أهل المعصية فاسمعوا له واطيعوا) •

عبدالملك يخطب في رجال دولته يستشيرهم في من يولى على العراق(٢)

لما اراد عبدالملك تعيين واليا على العراق وقد اضطربت أموره وكثرت ثورات الخوارج وعجزت جيوش الدولة عنهم ارسل المهلب يطلب جندا فخرج عبدالملك على اصحابه فقال (ويلكم من للعراق فسكت الناس وقام الحجاج وقال انا لها قال اجلس ثم قال ويلكم من للعراق فصمتوا وقام الحجاج وقال انا لها قال اجلس ثم قال ويلكم من العراق فصمتوا وقام الحجاج الثالثة فقال والله أنا لها يا أمير المؤمنين قال انت زنبورها فكتب اليه عهده •

الوليد بن عبدالملك يعلن رأيه في الحجاج(٣)

خطب الوليد قال (ان امير المؤمنين كان يقول ان الحجاج جلدة ما بين عينى الا وانه جلدة وجهي كله) •

الوليد بن عبدالملك يخطب بعد استعمال يزيد بن ابي مسلم بعد وفاة الحجاج(٤)

خطب الوليد فقال (كنت كمن سقط منه درهما فأصاب دينارا) •

---

(١) الطبرى ـ جـ ٧٥ ص ١٨٩
(٢) المسعودى ـ مروج الذهب جـ ٣ ص ١٣٣
(٣) الجاحظ ـ البيان والتبيين جـ ص ٢٩٢
(٤) الجاحظ ـ البيان والتبيين جـ ص ٢٩٢

خطـب الآمـــراء

المغيرة بن شعبه يخطب في الكوفة بعد ان خرجت الخوارج(١)

أما بعد فقد علمتم ايها الناس اني لم ازل أحب لجماعتكم العافية واكف عنكم الاذى واني والله لقد خشيت ان يكون ذلك ادب سوء لسفهائكم فاما الحلماء الاتقياء فلا وايم الله لقد خشيت أن لا أجد بداً من ان يعصب الحليم التقي بذنب السفيه الجاهل فكفوا ايها الناس سفهاءكم قبل أن يشمل البلاء عوامكم وقد ذكر لي ان رجالا منكم يريدون أن يظهروا في المصر بالشقاق والخلاف وايم الله لا يخرجون في حي من أحياء العرب من هذا المصر الا ابدتهم وجعلتهم نكالاً لمن بعدهم فنظر قوم لانفسهم قبل الندم فقد قمت هذا المقام ارادة الحجة والاعذار .

المغيرة بن شعبه يخطب في مسجد الكوفة في اخر أمارته مبينا كعادته رأيه في عثمان بن عفان وانصاره وقتلته(٢)

اللهم ارحم عثمان بن عفان وتجاوز عنه واجزه باحسن عمله فانه عمل بكتابك واتبع سنة نبيك (ص.ع) وجمع كلمتنا وحقن دماءنا وقتل مظلوما . اللهم فارحم انصاره وأولياءه ومحبيه والطالبين بدمه . ويدعو على قتلته .

---

(١) الطبري صد ٦ ص ١٠٥

(٢) الطبري صد ٦ ص ١٤٢

خطبة زياد البتراء سنة ٤٥ هـ

أما بعد فأن الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء والعمى الموفى بأهله على النار ما فيه سفهاؤكم ويشتمل عليه حلماؤكم من الامور العظام ينبت فيه الصغير ولا يتحاشى عنها الكبير . كأنكم لم تقرأوا كتاب الله ولم تسمعوا بما اعد الله من الثواب الكريم لاهل طاعته والعذاب الاليم لاهل معصيته في الزمن السرمدي الذي لا يزول اتكونوا كمن طرفت عينيه الدنيا وسدت مسامعه الشهوات واختار الفانية على الباقية ولا تذكرون انكم احدثتم في الاسلام الحدث الذي لم تسبقوا اليه من تركم هذه المواخير المنصوبة والضعيفة المسلوبة في النهار المبصر والعدد غير قليل ألم يكن منكم نهاة تمنع الغواة عن دلج الليل وغارة النهار قربتم القرابة وباعدتم الدين تعتذرون بغير العذر وتغضون على المختلس كل امرى منكم يذب عن سفيهه صنيع من لا يخاف عاقبة ولا يرجو معادا ما أنتم بالحلماء ولقد اتبعتم السفهاء فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الاسلام ثم اطرقوا وراءكم كنوسا في مكانس الريب حرام على الطعام والشراب حتى اسويها بالارض هدما واحراقا ان اخر هذا الامر لا يصلح الا بما صلح به أوله لين في غير ضعف وشدة في غير عنف واني اقسم بالله لاخذن المولى بالمولى والمقيم بالظاعن والمقبل بالمدبر والصحيح بالسقيم حتى يلقى الرجل منكم اخاه فيقول أنج سعد فقد هلك سعيد أو تستقيم لي قناتكم ان كذبة الامير بلقاء مشهورة فاذا تعلقتم علي بكذبة فقد حلت لكم معصيتي . من نقب منكم عليه فانا ضامن لما ذهب له فاياى ودلج الليل فاني لا اوتى بمدلج الا سفكت دمه وقد اجلتكم في ذلك بقدر ما يأتي الخبر الكوفة ويرجع اليكم واياى ودعوى الجاهلية فاني لا اجد احدا دعا بها الا قطعت لسانه وقد احدثتم احداثا لم تكن وقد احدثنا لكل ذنب عقوبة فمن غرق قوما غرقناه ومن احرق قوما احرقناه ومن نقب بيتا نقبنا عن قلبه ومن نبش قبرا دفناه حيا فكفوا عني السنتكم وايديكم اكف عنكم يدي ولساني ولا يظهر من احد

منكم ريبه بخلاف ما عليه عامتكم الا ضربت عنقه وقد كانت بيني وبين قوم احن فجعلت ذلك دبر اذني وتحت قدمي فمن كان محسنا فليزد في احسانه ومن كان مسيئا فلينزع عن اساءته اني لو علمت ان احدكم قد قتله السل من بغضى لم اكشف له قناعا ولم اهتك له سترا حتى يبدي لي صفحته فان فعل ذلك لم انظره فاستأنفوا اموركم واستعينوا على انفسكم فرب مبتئس بقدومنا سيسرو مسرور بقدومنا سيبتئس .

ايها الناس أنا اصبحنا لكم ساسة وعنكم ذادة نسوسكم بسلطان الله الذي اعطانا ونذود عنكم بفيء الله الذي خولنا فلنا عليكم السمع والطاعة فيما احببنا ولكم علينا العدل فيما ولينا فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمنا صحتكم لنا واعلموا اني مهما أقصر عنه فلن اقصر عن ثلاث لست محتجبا عن طالب حاجة ولو أتاني طارقا بليل ولا حابسا عطاء ولا رزقا عن ابانه ولا مجمرا لكم بعثا فادعوا الله بالصلاح لائمتكم فانهم ساستكم المؤدبون لكم وكهفكم الذي اليه تأوون ومتى يصلحوا تصلحوا ولا تشربوا قلوبكم فيشتد لذلك اسفكم ويطول له حزنكم ولا تدركوا له حاجتكم مع انه لو استجيب لكم فيهم لكان شرا لكم أسأل الله ان يعين كلا عن كل واذا رايتموني انفذ فيكم أمرا فانفذوه على اذلاله وايم الله ان لي فيكم لصرعى كثيرة فليحذر كل أمرىء منكم ان يكون من صرعاى[1] .

خطب زياد على منبر البصرة فقال

ايها الناس لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا ان تنتفعوا باحسن ما تستمعوا منا فان الشاعر يقول :

اعمل بقولي وان قصرت في عملي   ينفعك قولي ولا يضررك تقصيري[2]

---

(١) العقد الفريد ــ ص ٤ ١٧٣
(٢) العقد الفريد ــ ص ٤ ١٧٤

خطب زياد فقـــال :

استوصوا بثلاث منكم خيرا . الشريف والعـــالم والشيخ فو الله لا يأتيني شيخ بحدث استخف به الا اوجعته ولا يأتيني عالم بجاهل استخف به الا انكلت به ولا يأتيني شريف بوضيع استخف به الا ضربته[١] .

زياد يخطب في الكوفة بعد ان ضمت اليه مع البصرة :

ان هذا الامر أتاني وانا بالبصرة فاردت أن اشخص اليكم في الغبن من شرطة البصرة ثم ذكرت انكم أهل حق وان حقكم طالما دفع الباطـــل فاتيتكم في أهل بيتي فالحمد لله الذي رفـــع ما وضـــع الناس وحفظ مني ما ضيعـــوه[٢] .

زياد يخطب في الكوفة :

أما بعد فانا قد جربنا وجربنا وسسنا وساسنا السائسون فوجدنا هـــذا الامر لا يصلح أخره الا بما صلح اوله بالطاعة اللينة المشبه سرها بعلانيتها وغيب اهلها بشاهدهم وقلوبهم بالسنتهم ووجدنا الناس الا لـــين في غـــير ضعف وشدة في غير عنف واني والله لا اقوم فيكم بأمر الا أمضيت عـــلى اذلاله وليس من كذبة الشاهد عليها من الله والناس اكبر من كذب امام على المنبر . وذكر عثمان وترحم عليه ولعن قتلته[٣] .

زياد يخطب في الكوفة :

أما بعد فان غب البغي والغي وخيم ان هؤلاء جمعوا فاشروا وامنوني فاجترؤوا على وايم الله لئن لم تستقيموا لا اداوينكم بدوائكم وقال ما أنـــا بشيء ان لم امنع باحة الكوفة من حجر وادعه لمن بعده ويل أمك يا حجر سقط العشاء بك على سرحان[٤] .

---

(١) العقد الفريد صـ ٤ ص ١٧٤
(٢) الطبرى صـ ٦ ص ١٣١
(٣) الطبرى صـ ٦ ص ١٤٢
(٤) الطبرى صـ ٦ ص ١٤٣

النعمان بن بشير الانصارى يخطب في الكوفة

قال يا أهل الكوفة اني وجدت مثلي ومثلكم كالضبع والثعلب أتيا الضب في جحره فقالا ابا حسل قال اجبتكما قالا جئناك نختصم قال في بيته يؤتي الحكم قالت الضبع فتحت عيبتي قال فعل النساء فعلت قالت فلقطت تمرة قال حلوا جنيت قالت فاختطفها ثعالة قال نفسه بغى ثعالة (أسم الثعلب من الذكر والانثى) قالت فلطمته لطمة قال حقا قضيت قالت فلطمني اخرى قال كان حرا • فانتصر قالت فاحكم الآن بيننا قال حدث المرأة حديثين فان لم تفهم فاربعة(١) •

النعمان بن بشير يخطب في أهل الكوفة بعد علمه بوصول مسلم بن عقيل واجتماع الشيعة اليه فقام خطيبا :

اما بعد فاتقوا الله عباد الله ولا تسارعوا الى الفتنة والفرقة فان فيها يهلك الرجال وتسفك الدماء وتغصب الاموال وكان حليما ناسكا يحب العافية قال • اني لم اقاتل من لم يقاتلني ولا أثب على من لا يثب علي ولا اشاتمكم ولا أتحرش بكم ولا اخذ بالقرف ولا الظنه ولا اتهمه ولكنكم ان ابديتم صفحتكم لي ونكثتم بيعتكم وخالفتم امامكم فو الله الذي لا اله غيره لاضربنكم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي ولو لم يكن لي منكم ناصر أما اني ارجو أن يكون من يعرف الحق منكم اكثر ممن يرد به الباطل(٢) •

عبيدالله بن زياد يخطب باهل العراق ويبين لهم سياسته تجاههم(٣)

أما بعد فان امير ايؤمنين اصلحه الله ولاني مصركم وثغركم وفيئكم وأمرني بانصاف مظلومكم واعطاء محرومكم وبالاحسان الى سامعكم ومطيعكم

---

(١) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد صد ٣ ص ٥
(٢) الطبرى صد ٦ ص ١٩٩
(٣) مقاتل الطالبين ص ٩٧

وبالشدة على مريبكم فانا لمطيعكم كالوالد البر الشفيق وسيفي وسوطي على من ترك أمري وخالف عهدي فليبق أمرو على نفسه الصدق ينبىء عنك لا الوعيد •

عبيدالله بن زياد يخطب في البصرة بعد علمه بوصول كتب الحسين الى زعماء البصرة(١)

أما بعد فو الله ما تقرن بي الصعبه ولا يقعقع لي بالشنان واني لنكل لمن عاداني وسم لمن حاربني انصف القارة من راماها يا اهل البصرة ان أمير المؤمنين ولاني الكوفة وانا غاد اليها الغداة وقد استخلفت عليكم عثمان بن زياد بن ابي سفيان واياكم والخلاف والارجاف فو الذي لا اله غيره لئن بلغني عن رجل منكم خلاف لاقتلنه وعريفه ووليه ولاخذن الادنى بالاقصى حتى تستمعون لي ولا يكون فيكم مخالف ولا مشاق انا بن زياد اشبهته من بين وطىء الحصى ولم ينتزعني شبه خال والا ابن عم •

عبيدالله بن زياد يخطب في الكوفة(٢)

أما بعد ايها الناس فاعتصموا بطاعة الله وطاعة ائمتكم ولا تختلفوا ولا تفرقوا فتهلكو وتذلوا وتقتلوا وتجفوا وتحرقوا ان أخاك من صدقك وقد اعذر من انذر •

عبيدالله بن زياد يخطب في البصرة(٣)

يا اهل البصرة والله لقد لبسنا الخز اليمنه واللين من الثباب حتى لقد اجمنا ذلك واجمته جلودنا فما بنا الى ان نعقبها الحديد يا اهل البصرة فو الله لو اجتمعتم على ذنب عير لتكسروه ما كسرتموه •

---

(١) الطبرى ـ حـ ٦ ص ٢٠٠
(٢) الطبرى ـ حـ ٦ ص ٢٠٧
(٣) الطبرى ـ حـ ٧ ص ٢٠

خطبة عمر بن حريث نائب عبدالله بن زياد في الكوفة(١)

ان هذين الرجلين قد اتياكم من قبل اميركم يدعوانكم الى أمر يجمع الله به كلمتكم ويصلح ذات بينكم فاسمعوا منهما واقبلوا عنهما فانهما يرشد ما اتياكم .

خطبة عبيدالله بن زياد في البصرة حين مات يزيد بن معاوية(٢)

يا اهل البصرة انسبوني فو الله لتجدني اهاجر والدي ومولدي فيكم وداري ولقد وليتكم وما احصى ديوان مقاتلتكم الا سبعين الف مقاتل ولقد احصى اليوم ديوان مقاتلتكم ثمانين الفا وما احصى ديوان اعمالكم الا تسعين الفا ولقد احصى اليوم مائة واربعين الفا وما تركت لكم ذا ظنه اخافه عليكم الا وهو في سجنكم هذا وان امير المؤمنين يزيد بن معاوية قد توفي وقد اختلف اهل الشام وانتم اليوم اكثر الناس عددا واعرضه فناء واغناه عن الناس واوسعه بلادا فاختاروا لانفسكم رجلا ترضونه لدينكم وجماعتكم فانا أول راضى من رضيتموه وتابع فان اجتمع اهل الشام على رجل ترتضونه دخلتم فيما دخل فيه المسلمون وان كرهتم ذلك كنتم على جديلتكم حتى تعطوا حاجتكم فما بكم الى احد من أهل البلدان حاجة ما يستغنى الناس عنكم .

مصعب بن الزبير يخطب في الكوفة(٣)

بسم الله الرحمن الرحيم « طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون أن فرعون علا في الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح ابنائهم ويستحي نساءهم انه كان

---

(١) الطبرى ــ حـ ٧ ص ٣٠
(٢) الطبرى ــ حـ ٧ ص ١٨
(١) العقد الفريد ــ حـ ٤ ص ١٩٢

من المفسدين » واشار بيده نحو الشام « وتريـــدون ان نمن على الــذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين » واشار بيده نحــو الحجاز « ونمكن لهم في الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهــم ما كانوا يحذرون » واشار بيده نحو العراق •

خطب الحجاج اولى خطبه في مسجد الكوفة

بعد تعيينــه اميرا على العراق

دخل الحجاج مسجد الكوفة فلما غص المسجد باهله حسر اللثـام عن وجهه ونحى العمامة عن رأسه ثم قال :

أنا بن جـلا وطـلاع الثـنـايا　　　متى اضـع العمامـة تعرفـوني

اني والله لارى ابصارا طامحة واعناقا متطاولة ورؤوسا قد اينعت وحان قطافها واني انا صاحبها وكاني انظر الى الدماء ترقرق بين العمائم واللحى•

هذا اوان الحرب فاشتدى زيم　　　لقـد لفها الليل بسواق حطـم
ليس براعي ابــل ولا غــنـم　　　ولا بجـزار على ظهـــر وضم

وقـــال :

قـــد لفهـا الليــل بعصـلبي　　　اروع خـراج مــن الــدوي
مهاجـر ليــس با عرابـــي

وقـــال :

قـــد شمرت عن ساقهـا فكدوا　　　وجدت الحـرب بكـم فجدوا
والقـــوس فيهـا وتر عـــرد　　　مثـل ذراع البكـر أو اشـد

ان امير المؤمنين نثر كنانته فوجدني امرها طعما واحدها سنانا واقواها قداحا فان تستقيموا تستقم لكم الامور وان تأخذوا لي بنيات الطريق تجدوني لكل مرصد مرصدا والله لا اقيل لكم عثرة ولا اقبل منكم عذر •

يا اهل العراق يا اهل الشقاق والنفاق ومساوى الأخلاق والله ما اغمز كتغماز التين ولا يقعع لي بالشنان ولقد فررت عن ذكاء وفتشت عن تجربة والله لا لحونكم لحو العود ولا عصبنكم عصب السلمه ولاضربنكم ضرب غرائب الابل •

يا اهل العراق طالما سعيتم في الضلالة وسلكتم سبيل الغواية وسننتم سنن السوء وتماديتم في الجهالة يا عبيد العصا واولاد الاماء أنا الحجاج بن يوسف الثقفي اني والله لا اعد الا وفيت ولا اخلق الا فريت فاياكم وهذه الزرافات والجماعات وقال وقيل وما يكون وما هو كائن وما انتم وذاك يا بني اللكيعة لينظر الرجل في أمر نفسه وليحذر ان يكون من فرائسي •

يا اهل العراق انما مثلكم كما قال الله عز وجل كمثل قرية كانت آمنه مطمئنه ياتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذقها الله لباس الجوع والخوف فاسرعوا واستقيموا واعتدلوا ولا تميلوا وشايعوا وبايعوا واخضعوا واعلموا انه ليس مني الاكثار والاهذار ولا منكم الفرار والنفار انما هو انتضاء السيف ثم لا اغمده في شتاء ولا صيف حتى يقيم لامير المؤمنين اودكم ويذل له صعبكم •

اني نظرت فوجدت الصدق مع البر ووجدت البر في الجنة ووجدت الكذب مع الفجور ووجدت الفجور في النار • الا وان امير المؤمنين امرني باعطائكم اعطياتكم واشخاصكم الى محاربة عدوكم مع المهلب وقد امرتكم بذلك واجلت لكم ثلاثا واعطيت الله عهدا يؤاخذني به ويستوفيه مني ان لا اجد احدا من بعث المهلب بعدها الا ضربت عنقه وانتهبت ماله[1] •

---

(١) المسعودي ـ مروج الذهب جـ ٣ ص ١٣٤

الحجاج يخطب في أهل الكوفة(1)

والله لالحونكم لحو العصا ولاعصبنكم عصب السلمه ولاضربنكم ضرب غرائب الابل يا اهل الكوفة يا اهل الشقاق والنفاق ومساوىء الاخلاق اني سمعت تكبير ليس بالتكبير الذي يراد به الله في الترغيب ولكنه التكبير الذي يراد به الترهيب وقد عرفت انها عجاجة تحتها قصف فته أي بني اليكيعه وعبيد العصا وبني الاماء لئن قرعت عصا عصا لاتركنكم كأمس الدابر •

الحجاج يخطب في الكوفة بعد وصوله بثلاثة ايام

يا اهل العراق واهل الشقاق والنفاق ومساوىء الاخلاق اني سمعت تكبيرا ليس بالتكبير الذي يراد به الله في الترغيب ولكنه التكبير الذي يراد به الترهيب وقد عرفت انها عجاجة تحتها قصف • يا بني الكعبة وعبيد العصا وابناء الايامى الا يربع رجل منكم على ظلعه ويحسن حقن دمه ويبصر موضع قدمه فاقسم بالله لاوشك ان اوقع بكم وقعة تكون نكالا لما قبلها وادبا لما بعدها •

الحجاج يخطب في اهل الكوفة سنة ٧٧ هـ يستحثهم على قتال شبيب الخارجي(2)

ايها الناس والله لتقاتلن عن بلادكم وعن فيئكم اولا بعثن الى قوم هم اطوع وأسمع واصبر على اللأواء والغيظ منكم فيقاتلون عدوكم وياكلون فيأكم •

خطب الحجاج في اهل الكوفة سنة ٧٧ هـ يأمر اهل الكوفة بالخروج جميعهم لقتال شبيب الخارجي(3)

ياهل الكوفة اخرجوا الي عتاب بن ورقاء اجمعكم لا ارخص لاحد

---

(١) البيان والتبيين جـ ١ ص ٣٩٤ وعن الطبري جـ ٧ ص ٢١٣
(٢) الطبري – حـ ٧ ص ٢٤٣
(٣) الطبري – حـ ٧ ص ٢٤٥

من الناس في الاقامة الا رجلا قد ولبناه من اعمالنا ، الا ان للصابر المجاهد الكرامة والاثرة الا ان للناكل الهارب الهوان والجفوة والذي لا اله غيره لئن فعلتم في هذا الموطن كفعلكم في المواطن التي كانت لاولينكم كنفا خشنا ولا عركتكم بكلكل ثقيل •

الحجاج يخطب في أهل العراق شامتا بهم وبهزائمهم ويمدح أهل الشام

يا أهل العراق ان الشيطان استبطنكم فخالط اللحم والدم والعصب والمسامع والاطراف والاعضاء والشفاف ثم افضى الى المخاخ والصمائخ ثم ارتفع فعشش ثم باض وفرخ • فحشاكم شقاقا ونفاقا اشعركم خلافا اتخذتموه دليلا تتبعونه وقائدا تطيعونه ومؤامرا تستشيرونه فكيف تنفعكم تجربة أو تعظكم وقعة أو يحجزكم اسلام أو يردكم ايمان • الستم اصحابي بالاهواز حيث رمتم المكر وسعيتم بالغدر واستجمعتم للكفر وظننتم ان الله تعالى يخذل دينه وخلافته وانا ارميكم بطرفي وانتم تسللون لواذا وتنهزمون سراعا • ثم يوم الزاوية وما ليوم الزاوية بها كان فشلكم وتنازعكم وتخاذلكم وبراءة الله منكم ونكوص وليكم عنكم اذ وليتم كالابل الشوارد الى اوطانها النوازع الى اعطانها لا يسأل المرؤ منكم عن اخيه ولا يلوى الشيخ على بنيه حتى عضكم السلاح وقصمتكم الرماح ثم يوم دير الجماجم وما دير الجماجم بها كانت المعارك والملاحم بضرب يزيل الهام عن قصيله ويذهل الخليل عن خليله •

يا أهل العراق والكفرات بعد الفجرات والغدرات بعد الخترات والنزوة بعد النزوات ان بعثتكم الى ثغوركم غللتم وخنتم وان أمنتم ارجفتم وان خفتم نافقتم لا تذكرون حسنة ولا تشكرون نعمة •

يا أهل العراق هل استخفكم ناكث أو استغواكم غاو أو استفزكم

عاص أو استنصركم ظالم أو استعضدكم ضالع الا وثقتموه واويتموه وعزرتموه ونصرتموه ورضيتموه •

يا أهل العراق هل شغب شاغب أو نصب ناعب أو نعق ناعق أو زفر زافر الا كنتم اتباعه وانصاره • يا أهل العراق الم تنهكم المواعظ ألم تزجركم الوقائع • ثم التفت الى أهل الشام فقال :

يا أهل الشام انما انا لكم كالظليم الذاب عن فراخه ينفى عنها المدر ويباعد عنها الحجر ويكنها من المطر ويحميها من الضباب ويحرسها من الذئاب • يا أهل الشام انتم الجنة والرداء وانتم العدة والحذاء[1] •

الحجاج يخطب في أهل العراق ويرى ان ارسالهم في البعوث هو دواءهم الذي يشفيهم(٢)

يا أهل العراق اني لم أجد لكم دواء ادوأ لدائكم من هذه البعوث والمغازي لولا طيب ليله الاياب وفرحة القفل فانها تعقب راحة واني لا اريد أن ارى الفرح عندكم ولا الراحة بكم وما اراكم الا كارهين لمقالتي انا والله لرؤيتكم اكره ولولا ما اريد من تنفيذ طاعة امير المؤمنين فيكم ما حملت نفسي مقاساتكم والصبر على النظر اليكم والله اسأل حسن العون عليكم •

الحجاج يخطب في اهل البصرة بنصحهم بالطاعة والى انتهاج منهج الدين(٣)

ان الله كفانا مئونة الدنيا وأمرنا بطلب الاخرة فليته كفانا مئونة الاخرة وأمرنا بطلب الدنيا مالي أرى علماءكم يذهبون وجهالكم لا يتعلمون وشراركم لا يتوبون مالي اراكم تحرصون على ما كفيتم وتضيعون ما به امرتم ان العلم يوشك ان يرفع ورفعه ذهاب العلماء الا واني أعلم بشراركم

---

(١) العقد الفريد حـ ٤ ص ١٧٧
(٢) العقد الفريد حـ ٤ ص ١٧٩
(٣) العقد الفريد حـ ٤ ص ١٧٩

من البيطار بالفرس الذين لا يقرؤن القرآن الا هجرا ولا يأتون الصلاة الا دبرا الا وان الدنيا عرض حاضر يأكل منها البرء والفاجر الا وان الاخرة اجل مستآخر يحكم فيه ملك قادر الا فاعلموا وانتم من الله على حذر واعلموا انكم ملاقوه « ليجزي الذين اسلموا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى » الا وان الخير كله بحذافيره في الجنة الا وان الشر كله بحذافيره في النار الا ان من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شر يره واستغفر الله لي ولكم .

الحجاج يخطب في أهل الكوفة في أمور الحياة والدين(١)

امرؤ حاسب نفسه امرؤ راقب ربه امرؤ زور عمله امرؤ فكر فيما يقرؤه غدا في صحيفته ويراه في ميزانه أمرؤ كان عند همه آمرا وعند هواه زاجرا أمرؤ اخذ بعنان قلبه كما يأخذ الرجل بخطام جمله فان قاده الى حق تبعه وان قاده الى معصية الله كفه انا والله ما خلقنا للفناء وانما خلقنا للبقاء وانما ننتقل من دار الى دار .

خطب الحجاج في اهل العراق قال(٢) :

يا هل العراق بلغني انكم ترون عن نبيكم انه قال من ملك علي عشرة رقاب من المسلمين جيء به يوم القيامة مغلولة يداه الي عنقه حتى يفكه العدل او يوبقه الجور وايم الله اني لاحب ان احشر مع ابي بكر وعمر مغلولاً من ان احشر معكم مطلقا .

الحجاج يخطب في اهل الكوفة(٣)

اللهم ارني الغى غياً فأجتنبه وارني الهدى هدى فاتبعه ولا تكلني الى نفسى فاضل ضلالا بعبدا والله ما أحب ان ما مضى من الدنيا لي بعمامتي هذه ولما بقى منها اشبه بما مضى من الماء بالماء .

---

(١) العقد الفريد حـ ٤ ص ١٧٨
(٢) العقد الفريد حـ ٤ ص ٢٨٠
(٣) العقد الفريد حـ ٤ ص ١٧٦

الحجاج يخطب في أهـل البصـرة(١)

قـــال :

اتقوا الله ما استطعتم فهذه والله وفيها مثوبة ثم قال واسمعوا واطيعوا فهذه لعبد الله وخليفة الله وحبيب الله عبد الملك بن مروان والله لو أمرت الناس أن يأخذوا في باب واحد واخذوا باب غيره لكانت دماؤهم لي حلالا من الله ولو قتل ربيعة ومضر لكان لي حلالا عذيري من هــذه الحمراء يرمى احدهم بالحجر الى السماء ويقول يكون الى ان يقع هذا خير والله لاجعلنهم كأمس الدابر عذيرى من عبد هذيل انه زعم انه آمن عند الله يقرأ القرآن كأنه رجز الاعراب والله لو ادركته لقتلته .

اراد الحجاج الحج فاستخلف محمد ابنه على اهل العراق ثم خطب فقال :(٢)

يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق اني اردت الحج وقد استخلفت عليكم محمد ولدي واوصيته فيكم بخلاف ما أوصى به رسول الله (ص٠ع) في الانصار فانه أوصى فيهم ان يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم واني أوصيته ان لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم الا وانكم قائلـون بعدي مقالة لامنعكم من اظهارها الا خوفي لا احسن الله له الصحابة وانـا اعجل لكم الجواب فلا أحسن الله عليكم الخلافة .

الحجاج يخطب في اهل العراق بعد موت اخيه محمـد وولـده محمـــد(٣)

ايها الناس محمدان في يوم واحد أما والله ما كنت أحب انهما معي في الحياة الدنيا لما ارجو من ثواب الله لها في الاخرى وايم الله يوشكن الباقي

---

(١) العقد الفريد حـ ٤ ص ١٧٨

(٢) البيان والثمين حـ ١ ص ٣٨٧

(٣) العقد الفريد جـ ٥ ص ٢٨١

منى ومنكم أن يفنى والجديد ان يبلى والحي مني ومنكم أن يموت وان تدال الارض لنا كما ادلنا فتأكل من لحومنا وتشرب من دمائنا كما مشينا على ظهرها واكلنا من ثمارها وشربنا من مائها ثم تكون كما قال الله تعالى (ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون ثم تمثل بهذين البيتين :

عزائي نبي الله من كل ميت … وحسبي ثواب الله من كل هالك
اذا ما لقيت الله عني راضيا … فان سرور النفس فيما هنالك

خطب الحجاج(١)

يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق فقلتم مات الحجاج أما والله لاحب أن اموت من أن لا أموت وهل ارجو الخير كله الا بعد الموت وما رأيت الله رضى بالخلود في الدنيا لاحد من خلقه الا لابغض خلقه اليه واهونهم عليه ابليس ولقد رأيت العبد الصالح يسأل ربه فقال (رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي) ففعل ثم اضمحل ذلك وكأنه لم يكن .

الحجاج يخطب بعد موت عبدالملك وتولية الوليد بن عبدالملك(١)

ايها الناس ان الله تبارك وتعالى نعى نبيكم (ص ع) الى نفسه فقال (انك ميت وانهم ميتون) وقال (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افئن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم) فمات رسول الله (ص ع) ومات الخلفاء الراشدون المهتدون المهديون منهم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان الشهيد المظلوم ثم تبعهم معاوية ثم وليكم البازل الذكر الذي جربته الامور واحكمته التجارب مع الفقه وقراءة القرآن والمرؤة الظاهرة واللين لاهل الحق والوطء لاهل الزيغ فكان رابعا من الولاة المهديين الراشدين فاختار الله له ما عنده والحقه به وعهد الى شبهه في العقل والمرؤة والحزم والجلد والقيام بأمر الله وخلافته فاسمعوا له واطيعوا .

---

(١) العقد الفريد حـ ٥ ص ٢٨٠
(٢) العقد الفريد حـ ٤ ص ١٨٢

ايها الناس اياكم والزيغ فأن الزيغ لا يحيق الا بأهله ورأيتم سيرتي فيكم وعرفت خلافكم وقبلتكم على معرفتي بكم ولو علمت ان احدا اقوى عليكم مني واعرف بكم ما وليتكم فأياي واياكم من تكلم قتلناه ومن سكت مات بدائه غما .

خطبة سعيد بن المجالد قائد الجيش الكوفي الذي عينه الحجاج بعد أن عزل عنه الجزل عثمان بن سعيد وطلب اليه الاسراع في قتال الخوارج(١)

يا أهل الكوفة قد عجزتم ووهنتم واغضبتم عليكم أمركم انتم في طلب هذه الاعاريب العجف منذ شهرين وهم قد خربوا بلادكم وكسروا خراجكم وانتم حاذرون في جوف هذه الخنادق لا تزايلونها الا ان يبلغكم انهم قد ارتحلوا عنكم ونزلوا بلدا سوى بلدكم اخوجو على اسم الله اليهم .

خطبة عبدالرحمن بن الاشعث سنة ٨١ في جيشه جيش الطواويس يعلن خلع الحجاج(٢)

ايها الناس اني لكم ناصح ولصلاحكم محب ولكم في كل ما يحيط بكم نفعه ناظر وقد كان من رأى فيما بينكم وبين عدوكم رأى استشرت فيه ذوى احلامكم واولى التجربة للحرب منكم فرضوه لكم رأيا وراوه لكم في العاجل صلاحا وقد كتبت الى اميركم الحجاج فجأني منه كتاب يعجزني ويضعفني ويأمرني بتعجيل الوغول بكم في ارض العدو وهي البلاد التي هلك اخوانكم فيها بالامس وانما انا رجل منكم امضي اذا مضيتم وابي اذا أبيتم.

(١) الطبري ـ حـ ٧ ص ٢٢٩

(٢) الطبري ـ جـ ٨ ص ٨

خطبة عبدالرحمن بن الاشعث سنة ٨٢ هـ بعد أن ارسل عبدالملك رسلا من عنده لمفاوضة العراقيين للوصول الى الصلح(١)

أما بعد فقد اعطيتم أمرا انتهازكم اليوم اياه فرصة ولا امن أن يكون على ذى الرأى غداً حسرة وانكم اليوم على النصف وان كانوا اعتدوا بالزاوية فانتم تعتدون عليهم بيوم تستر فاقبلوا ما عرضوا عليكم وانتم اعزاء اقوياء والقوم لكم هائجون وانتم لهم منتقصون فلا والله لازلتم عليهم جراء ولا زلتم عندهم اعزاء ان انتم قبلتم ابدا ما بقيتم .

خطب عبدالرحمن بن الاشعث(٢)

ايها الناس انه لم يبق من عدوكم الا كما يبقي من ذنب الوزغة تضرب به يمينا وشمالا فما تلبث ان تموت .

قتيبة بن مسلم يخطب في أهل العراق(٣)

يا أهل العراق الست اعلم الناس بكم أما هذا الحي من أهل العالية فنعم الصدقه أما هذا الحي من بكر بن وائل فعلجه بضراء لا تمنع رجليها واما هذا الحي من عبد القيس فما ضرب العير بذنبه أما هذا الحي من الازد فعلوج خلق الله وانباطه وايم والله لو ملكت أمر الناس لنقشت ايديهم واما هذا الحي من تميم فانهم كانوا يسمون الغدر في الجاهلية كيسان .

وقال الشاعر :

اذا كنت من سعد وخالك منهم بعيدا فلا يغررك خالك سعد
اذا ما دعوا كيسان كانت كهولهم الى الغدر ادنى من شبابهم المرد

---

(١) الطبري – ج ٨ ص ١٦
(٢) البيان والتبين ج ٢ ص ١٥٥
(٣) العقد الفريد حـ ٤ ص ١٨٥

خطبة يزيد بن المهلب[1]

ايها الناس اني اسمع قول الرعاع قد جاء العباس قد جاء مسلمة قد جاء أهل الشام وما أهل الشام الا تسعه اسياف منها سبعة اسياف معي واثنان علي وما مسلمة الا جرادة صفراء وأما العباس فبسطوس بن بسطوس اتاكم في برابرة وصقالبه وجرامقه واقباط وانباط واخلاط اقبل اليكم الفلاحون والاوباش كاشلاء اللحم والله ما لقوا قط حد كحدكم ولا حديد كحديدكم اعيروني سواعدكم ساعة تصفقوا بها خراطيمهم فانما هي غدوة أو روحة حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين •

يوسف بن عمر يخطب في اهل الكوفة(٢)

ان امير المؤمنين امرني بأخذ عمال ابن النصرانية وان اشفيه منهم وسافعل وازيد والله يا أهل العراق لاقتلن منافقيكم بالسيف وجناتكم بالعذاب وفساتكم •

يوسف بن عمر يخطب في اهل الكوفة(٣)

يا أهل المدرة الخبيثة اني والله ما تقرن بي الصعبة ولا يقعقع لي بالشنان ولا اخوف بالذئب هيهات حبيت بالساعد الاشد ابشروا يا أهل الكوفة بالصغار والهوان لاعطاء لكم عندنا ولا رزق لقد هممت أن اخرب بلادكم واحرمكم اموالكم والله ما علوت منبري الا اسمعتكم ما تكرهون عليه فانكم اهل بغي وخلاف ما منكم الا من حارب الله ورسوله الا حكيم بن شريك المحاربي ولقد سألت أمير المؤمنين أن يأذن لي فيكم ولو اذن لي لقتلت مقاتلتكم وسبيت ذراريكم •

---

(١) العقد الفريد حـ ٤ ص ١٨٦
(٢) الطبري – حـ ٨ ص ٢٥٤
(٣) الطبري – حـ ٨ ص ٢٧٨

يوسف بن عمر يعظ الناس[1]

اتقوا الله عباد الله فكم من مومل املا لا يبلغه وجامع مالا لا يأكلـه ومانع مأسوف يتركه ولعله من باطل جمعه ومن حق منعه اصابه حراما واورثه عدوا فاحتمل امره وباء بوزره وورد على ربه اسفا لاهفا قد خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين ٠

(١) البيان والتباين حـ ٢ ص ١٤٣

الكتب والرسائل

زياد يكتب الى الحكم بن عمرو وكان قد ارسل الى خراسان فاصاب غنائم كثيرة(١)

ان أمير المؤمنين معاوية كتب الي يأمرني أن اصطفي لـه كل صفراء وبيضاء فاذا أتاك كتابي هذا فانظر ما كان من ذهب وفضـة فلا تقسمه واقسم ما سوى ذلك ٠

الحكم بن عمر وهو على خراسان يجيب على رسالة زياد في مسالة الغنائم(٢)

اني وجدت كتاب الله عز وجل قبل كتاب أمير المؤمنين والله لو ان السموات والارض كانتا رتقا على عبد فاتقي الله لجعل اؤ له منها مخرجا والسـلام ٠

زياد يكتب الى معاوية في أمر حجر(٣)

بسم الله الرحمن الرحيم ٠ لعبد الله أمير المؤمنين من زياد بن ابـي سفيان ٠ أما بعد فان الله قد أحسن عند أمير المؤمنين البلاء فكاد له عدوه وكفاه مونه من بغى عليه ان طواغيت من هذه الترابية السبائيـة رأسهـم حجر بن عدي خالفوا امير المؤمنين وفارقوا جماعة المسلمين ونصبو لنـا الحرب فاظهرنا الله عليهم وامكننا منهم وقد دعوت خيار اهل المصر واشرافهم وذوي السن والدين منهم فشهدوا عليهم بما رأوا وعملوا وقد بعث بهم الى أمير المؤمنين وكتبت شهادة صلحاء أهل المصر وخيارهم في أسفل كتابي هذا ٠

(١) البيان والتبين ج ٢ ص ٢٩٧
(٢) البيان والتبين ج ٢ ص ٢٩٧
(٣) الطبري ـ حـ ٦ ص ١٥٢

زياد يكتب الى معاوية في أمر حجر بن عدي الكندي(١)

أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت رأيك في حجر واصحابه فعجبت لاشتباه الامر عليك فيهم وقد شهد عليهم بما قد سمعت من هو اعلم بهم فان كانت لك حاجة في هذا المصر فلا تردن حجرا واصحابه الي .

اهل الكوفة يكتبون الى الحسين بن علي(٢)

من أهل الكوفة الى الحسين بن علي

بسم الله الرحمن الرحيم : الحسين بن علي من سليمان بن صرد والمسيب بن نجبه ورفاعة بن شداد وحبيب بن مظاهر وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة سلام عليك . فانا نحمد اليك الله الذي لا اله الا هو أما بعد فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الامة فابتزها أمرها وغصبها فيأها وتآمر عليها بغير رضى منها ثم قتل خيارها واستبقى شرارها وجعل مال الله دولة بين جبابرتها واغنيائها فبعدا له كما بعدت ثمود انه ليس علينا أمام فأقبل لعل الله ان يجمعنا بك على الحق والنعمان بن بشير في قصر الامارة لسنا نجتمع معه في جمعه ولا نخرج معه الى عيد ولو قد بلغنا انك قد اقبلت الينا اخرجناه حتى نلحقه بالشام ان شاء الله والسلام ورحمة الله عليك .

الحسين بن علي يكتب الى أهل الكوفة(٣)

بسم الله الرحمن الرحيم : من حسين بن علي الى الملأ من المؤمنين والمسلمين . أما بعد فان هانئا وسعيدا قدما على بكتبكم وكانا آخر من قدم علي من رسلكم وقد فهمت كل الذي اقتصصتم وذكرتم ومقالة جلكم انه ليس علينا امام فأقبل لعل الله ان يجمعنا بك على الهدى والحق وقد بعثت اليكم

---

(١) الطبري ـ حـ ٦ ص ١٥٣
(٢) الطبري ـ حـ ٦ ص ١٩٧
(٣) الطبري ـ حـ ٦ ص ١٩٧

اخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي وامرته أن يكتب الي بحالكم وامركم ورأيكم فان كتب الي انه قد أجمع رأى ملئكم وذوى الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت على به رسلكم وقرأت في كتبكم اقدم عليكم وشيكا ان شاء الله فلعمري ما الامام الا العامل بالكتاب والاخذ بالقسط والدائن بالحق والحابس نفسه على ذات الله والسلام •

كتاب الحسين بن علي الى أهل البصرة(١)

أما بعد فان الله اصطفى محمداً (ص•ع) على خلقه واكرمه بنبوته واختاره لرسالته ثم قبضه الله اليه وقد نصح لعباده وبلغ ما ارسل به (ص•ع) وكنا أهله واولياءه واوحباءه وورثته واحق الناس بمقامه في الناس فاستأثر علينا قومنا بذلك فرضينا وكرهنا الفرقة واحببنا العافية ونحن نعلم انا أحق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه وقد احسنوا واصلحوا وتحروا الحق فرحهم الله وغفر لنا ولهم وقد بعثت رسولي اليكم بهذا الكتاب وانا ادعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه (ص•ع) فان السنه قد اميتت وان البدعة قد احييت وان تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد والسلام عليكم ورحمة الله •

الحسين بن علي يكتب الى اهل الكوفة(٢)

بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي الى اخوانه من المؤمنين والمسلمين سلام عليكم فاني احمد اليكم الله الذي لا اله الا هو أما بعد فان كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبرني فيه بحسن رأيكم واجتماع ملئكم على نصرنا والطلب بحقنا فسألت الله أن يحسن لنا الصنع وان يثيبكم على ذلك اعظم الاجر وقد شخصت اليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة يوم الترويه فاذا قدم عليكم رسولي فاكمشوا امركم وجدوا فاني قادم عليكم في ايامي هذه ان شاء الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته •

---

(١) الطبري - ج ٦ ص ٢٠٠

(٢) الطبري - ج ٦ ص ٢٢٣

كتاب عبيدالله بن زياد الى يزيد بن معاوية(١)

أما بعد فالحمد لله الذي اخذ لأمير المؤمنين بحقه وكفاه مؤنه عدوه اخبر أمير المؤمنين اكرمه الله ان مسلم بن عقيل لجأ الى دار هانيء بن عروة المرادي واني جعلت عليهما العيون ودسست اليهما الرجال وكدتهما حتى استخرجتهما وامكن الله منهما فقدمتهما فضربت اعناقهما وقد بعثت اليك برؤسهما مع هانيء بن ابي حية الهمداني والزبير بن الاروح التميمي وهما من أهل السمع والطاعة والنصيحة فليسألهما أمير المؤمنين عما احب من أمر فان عندهما علما وصدقا وفهما وورعا والسلام .

كتاب عبيدالله بن زياد الى الحر بن يزيد(٢)

أما بعد فجعجع بالحسين حين يبلغك كتابي ويقدم عليك رسولي فلا تنزله الا بالعراء في غير حصن وعلى غير ماء وقد أمرت رسولي ان يلزمك ولا يفارقك حتى يأتيني بانفاذك امرى والسلام .

كتاب عمر بن سعد الى عبيدالله بن زياد(٣)

بسم الله الرحمن الرحيم . اما بعد فاني حيث نزلت بالحسين بعثت اليه رسولي فسألته عما اقدمه وماذا يطلب ويسأل فقال كتب الي اهل هذه البلاد واتتني رسلهم فسألوني القدوم ففعلت فاما اذ كرهوني فبدا لهم غير ما اتتني به رسلهم فانا منصرف عنهم .

عبيدالله بن زياد يكتب مجيبا الى عمر بن سعد(٤)

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت فاعرض على الحسين أن يبايع ليزيد بن معاوية هو وجميع اصحابه فاذا فعل ذلك رأينا رأينا والسلام .

---

(١) الطبري - جـ ٦ ص ٢١٥
(٢) الطبرى حـ ٦ ص ٢٣٢
(٣) الطبرى حـ ٦ ص ٢٣٤
(٤) الطبرى حـ ٦ ص ٢٣٤

كتاب عمر بن سعد الى عبيدالله بن زياد(١)

أما بعد فان الله قد اطفأ الثائرة وجمع الكلمة واصلح امر الامة هذا حسين قد اعطاني ان يرجع الى المكان الذى منه أتى او أن نسيره الى أى ثغر من ثغور المسلمين شئنا فيكون رجلا من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم أو ان يأتي يزيد امير المؤمنين فيضع يده في يده فيرى فيما بينه وبينه رأيه وفي هذا لكم رضى وللامة صلاح .

عبيدالله بن زياد يكتب الى عمر بن سعد(٢)

أما بعد فانني لم ابعثك الى حسين لتكف عنه ولا لتطاوله ولا لتمنيه السلامة والبقاء ولا لتقعد له عندى شافعا انظر فان نزل حسين واصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم الى سلما وان ابوا فازحف اليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم فانهم لذلك مستحقون فان قتل الحسين فاوط الخيل صدره وظهره فانه عاق مشاق قاطع ظلوم وليس دهرى في هذا ان يضر بعد الموت شيئا ولكن على قول لو قد قتلته فعلت هذا به ان انت مضيت لامرنا فيه جزيناك جزاء السامع المطيع وان ابيت فاعتزل عملنا وجندنا وخل بين عمر بن ذى الجوشن وبين العسكر فانا قد امرناه أمرنا والسلام .

عبدالله بن يزيد امير الكوفة من قبل عبدالله بن الزبير(٣)
يكتب الى سليمان بن صرد

بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله بن يزيد الى سلمان بن صرد ومن معه من المسلمين سلام عليكم اما بعد فان كتابي هذا اليكم ناصح ذى ارعاءوكم من ناصح مستفش وكم من غاش مستنصح محب انه بلغني انكم تريدون المسير بالعدد اليسير الى الجمع الكثير وانه من يرد أن ينقل الجبال

(١) الطبرى حـ ٦ ص ٢٣٦
(٢) الطبرى حـ ٦ ص ٢٣٦
(٣) الطبرى حـ ٧ ص ٧١

من مراتبها تكل معاوله وينزع وهو مذموم العقل والفعل ياقومنا لا تطمعوا عدوكم في أهل بلادكم فانكم خيار كلكم ومتى ما يصيبكم عدوكم يعلموا انكم اعلام مصركم فيطمعهم ذلك فيمن وراءكم يا قومنا انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا ابدا ياقوم ان ايدينا وايديكم اليوم واحدة وان عدونا وعدوكم واحد ومتى تجتمع كلمتنا نظهر على عدونا ومتى نختلف تهن شوكتنا على من خالفنا ياقومنا لا تستغشوا نصحي ولا تخالفوا أمرى واقبلوا حين يقرأ عليكم كتابي اقبل الله بكم الى طاعته وادبر بكم عن معصيته والسلام •

كتاب سليمان بن صرد مجيبا لعبدالله بن يزيد(١)

بسم الله الرحمن الرحيم • للامير عبدالله بن يزيد من سليمان بن صرد ومن معه من المؤمنين سلام عليك أما بعد فقد قرأنا كتابك وفهمنا ما نويت فنعم والله الوالي ونعم الامير ونعم اخو العشيرة انت والله من نأمنه بالغيب ونستنصحه في المشورة ونحمده على كل حال انا سمعنا الله عزوجل يقول في كتابه ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الى قوله وبشر المؤمنين ان القوم قد استبشروا ببيعتهم التي بايعوا انهم قد تابوا من عظيم جرمهم وقد توجهوا الى الله وتوكلوا عليه ورضوا بما قضى الله ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير والسلام •

كتاب الحارث بن عبدالله بن ابي ربيعة الى المهلب بن ابى صفرة(٢)

أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر فيه نصر الله اياك وظفر المسلمين فهنيئا لك ياأخا الازد لشرف الدنيا وعزها وثواب الاخرة وفضلها والسلام عليك ورحمة الله •

---

(١) الطبرى حـ ٧ ص ٧٢
(٢) الطبرى حـ ٧ ص ٨٩

كتاب المهلب بن ابي صفره الى الحارث بن عبدالله(١)
امير البصرة من قبل عبدالله بن الزبير سنة ٦٥ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم • للامير الحارث بن عبدالله من المهلب بن ابي صفرة سلام عليك فاني احمد الله اليك الذى لا اله الا هو اما بعد فالحمد لله الذى نصر امير المؤمنين وهزم الفاسقين وانزل بهم نقمته وقتلهم كل قتلة وشردهم كل مشرد واخبر الامير اصلحه الله انا لقيت الازارقة بارض من ارض الاهواز يقال لها سلى وسلبرى فزحفنا اليهم ثم ناهضناهم فاقتتلوا كاشد القتال مليا من النهار ثم ان كتائب الازارقة اجتمع بعضها الى بعض ثم حملوا على طائفة من المسلمين فهزموهم وكانت في المسلمين جولة قد كنت اشفقت ان تكون هي الاصرى منهم فلما رأيت ذلك عمدت الى مكان يفاع فعلوته ثم دعوت الى عشيرتي خاصة والمسلمين عامة فثاب الى اقوام شروا انفسهم ابتغاء مرضاة الله من أهل الدين والصبر والصدق والوفاء • فقصدت بهم الى عسكر القوم وفيه جماعتهم وحدهم واميرهم قد أطاف به اولو فضلهم فيهم وذوو الثبات منهم فاقتتلنا ساعة رميا بالنبل وطعنا بالرماح ثم خلص الفريقان الى السيوف فكان الجلاد بها ساعة من النهار مبالطه ومبالده ثم ان الله عزوجل انزل نصره على المؤمنين وضرب وجوه الكافرون ونزل طاغيتهم في رجال كثير من حماتهم وذوى ثباتهم فقتلهم الله في المعركة ثم انبعث الخيل شرادهم فقتلوا في الطريق والاخاذ والقرى والحمد لله رب العالمين والسلام عليك ورحمة الله •

عمر بن عبيدالله بن معمر يكتب لمصعب بن الزبير(٢)

بسم الله الرحمن الرحيم • أما بعد فاني اخبر الامير اصلحه الله اني لقيت الازارقة التي مرقت من الدين واتبعت اهواءها بغير هدى الله فقاتلتهم بالمسلمين ساعة من النهار اشد القتال ثم ان الله ضرب وجوههم

---

(١) الطبرى حـ ٧ ص ٨٩
(٢) الطبرى حـ ٧ ص ١٦٣

وادبارهم ومنحنا اكتافهم فقتل الله منهم من خاب وخسر وكل الى خسران فكتبت الى الامير كتابي هذا وانا على ظهر فرس في طلب القـــوم ارجو ان يجدهم الله ان شاء الله والسلام •

كتب المختار وهو متسلط على الكوفة سنة ٦٦ الى محمد بن الحنفية وكان قد قتل الجيش الذى ارسله ليكايد بـــه ابن الزبير حينما ارسـل عبدالملك جيشا لمقاتلة ابن الزبير في وادى القرى(١)

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فانى كنت بعثت اليك جندا ليذلوا لك الاعداء وليحوزوا لك البلاد حتى اذا اظلوا على طيبة لقيهم جند الملحد فخدعوهم بالله وغروهم بعهد الله فلما اطمأنوا اليهم ووثقوا بذلك منهـــم وثبوا عليهم فقتلوهم فان رأيت ان ابعث الى اهل المدينة من قبلي جيشا كثيفا وتبعث اليهم من قبلك رسلا حتى يعلم أهل المدينة من قبلي جيشا كثيفـــا وتبعث اليهم من قبلك رسلا حتى يعلم اهل المدينة اني في طاعتك وانما بعثت الجند اليهم عن امرك فافعل فانك ستجد عظمهم بحقكم اعرف وبكم اهـل البيت أرأف منهم بال الزبير الظلمة الملحدين والسلام عليك •

محمد بن الحنفية يجيب على كتاب المختار(٢)

اما بعد فان كتابك لما بلغني قرأته وفهمت تعظيمك لحقي وما تـــوى به من سروري وان احب الامور كلها الي ما اطيع الله فيه فاطع الله مـا استطعت فيما اعلنت واسررت واعلم اني لو اردت القتال لوجدت النـاس الي سراعا والاعوان لي كثيرا ولكني اعتزلهم واصبر حتى يحكم الله لي وهو خير الحاكمين « فاقبل صالح بن مسعود الى ابن الحنفية فودعه وسلم عليه واعطاه الكتاب وقال له قل للمختار فليتق الله وليكفف عن الدمـاء » قال فقلت له اصلحك الله او لم تكتب بهذا اليه قال ابن الحنفية ـ قـــد امرته بطاعة الله وطاعة الله تجمع الخير كله وتنهي عن الشر كله •

---

(١) الطبرى حـ ٧ ص ١٣٥
(٢) الطبرى حـ ٧ ص ١٣٥

كتاب خالد بن عبدالله بن اسيد امير البصرة الى عبدالملك بن مروان(١)

أما بعد فاني اخبر امير المؤمنين اكرمه الله اني بعثت عبدالعزيز بن عبدالله في طلب الخوارج وانهم لقوه بفارس فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم عبدالعزيز لما انهزم عنه الناس وقتل مقاتل بن مسمع وقدم الفل الى الاهواز احببت ان اعلم امير المؤمنين ذلك ليأتيني رأيه وامره انزل عنده ان شاء الله والسلام عليك ورحمة الله .

بشر بن مروان يوجه جيشا لقتال الازارقة بأمر عبدالملك وقد توفي بعد ارساله بقليل فلما علم الجيش بوفاته رجع عدد كبير منهم رافضا القتال وقد اجتمع هؤلاء وتوجهوا الى البصرة فارسل اليهم خليفة بشر خالد بن عبيدالله كتابا ينذرهم ويحذرهم . فقال ...

بسم الله الرحمن الرحيم . من خالد بن عبدالله الى من بلغه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين سلام عليكم فاني احمد اليكم الله الذي لا اله الا هو اما بعد فان الله كتب على عباده الجهاد وفرض طاعة ولاة الامر فمن جاهد فانما يجاهد لنفسه ومن ترك الجهاد في الله كان الله عنه اغنى ومن عصى ولاة الامر والقوام بالحق اسخط الله عليه وكان قد استحق العقوبة في بشره وعرض نفسه لاستفاءة ماله والقاء عطائه والتسيير الى أبعد الارض وشر البلدان . ايها المسلمون اعلموا على من اجترأتم ومن عصيتم انه عبدالملك بن مروان امير المؤمنين الذى ليست فيه غميزة ولا لاهل المعصية عنده رخصه سوطه على من عصى وعلى من خالف سيفه فلا تجعلوا على انفسكم سبيلا فاني لم آلكم نصيحة عباد الله ارجعوا الى مكتبكم وطاعة خليفتكم ولا ترجعوا عاصين مخالفين فياتيكم ما تكرهون اقسم بالله لا اثقف عاصيا بعد كتابي هذا الا قتلته ان شاء الله والسلام عليكم ورحمة الله(٢) .

---

(١) الطبرى حـ ٧ ص ١٩٣

(٢) الطبرى حـ ٧ ص ٢٠٨

خالد بن عبدالله بن اسيد يكتب الى عبدالملك(١)

أما بعد فاني اخبر امير المؤمنين اصلحه الله اني خرجت الى الازارقه الذين مرقوا من الدين وخرجوا عن ولاية المسلمين فالتقينا بمدينة الاهواز فتناهضنا فاقتتلنا كاشد القتال كان في الناس ثم ان الله انزل نصره على المؤمنين والمسلمين وضرب الله وجوه اعدائه فاتبعهم المسلمون يقتلونهم ولا يمنعون ولا يمتنعون وافاء الله ما في عسكرهم على المسلمين ثم اتبعتهم داود بن قحذم والله ان اشاء الله مهلكهم ومستأصلهم والسلام عليك •

كتب عبدالملك الى الحجاج بعد أن ولاه العراق(٢)

أما بعد ياحجاج فقد وليتك العراقين صدقه فاذا اقدمت الكوفة فطاءها وطأة يتضاءل منها أهل البصرة واياك وهوينا الحجاز فان القائل هناك يقول الفا ولا يقطع بهن حرفا وقد رميت العرض الاقصى فارمه بنفسك وارد ما اردته بك والسلام •

كتاب الحجاج الى قائد جيشه الجزل عثمان بن سعيد سنة ٧٦ هـ(٣)

أما بعد فاني بعثتك في فرسان اهل المصر ووجوه الناس وامرتك باتباع هذه المارقة الضالة والمضله حتى تلقاها فلا تقلع عنها حتى تقتلها وتفنيها فوجدت التعرس في القرى والتخييم في الخنادق اهون عليك من المضى لما امرتك به من مناهضتهم ومناجزتهم والسلام •

كتاب سفيان بن ابي العالية الى الحجاج سنة ٧٦ هـ(٤)

أما بعد فاني اخبر الامير اصلحه الله اني اتبعت هذه المارقة حتى لحقتهم بخانقين فقاتلتهم فضرب الله وجوههم ونصرنا عليهم فبينما نحن

---

(١) الطبرى حـ ٧ ص ١٩٤
(٢) الطبرى حـ ٧ ص ٢١٨
(٣) الطبرى حـ ٧ ص ٢٢٨
(٤) الطبرى حـ ٧ ص ٢٢٥

كذلك اذ اتاهم قوم كانوا غيباً عنهم نحملوا على الناس نهزموهم فنزلت في رجال من اهل الدين والصبر نقاتلتهم حتى خررت بين القتلى نحملت مرتثا فأتي بي بابل مهروذ فها انا بها والجند الذين وجههم الى الامير وافوا الاسورة بن ابجر فانه لم يأتني ولم يشهد معي حتى اذا ما نزلت بابل مهروذ اتاني يقول ما لا عرف ويعتذر بغير العذر والسلام •

كتاب الحجاج الى عبدالرحمن بن الاشعث(١)
سنة ٧٦ هـ ليحثه عـــلى قتال الخوارج

أما بعد نقد اعتدتم عادة الاذلاء ووليتم الدبر يوم الزحف وذلك دأب الكافرين واني قد صفحت عنكم مرة بعد مرة ومرة بعد مرة واني اقســم لكم بالله قسما صادقا لئن عدتم لذلك لاوقعن بكم ايقاعا اكون اشد عليكم من هذا العدو الذى تهربون منه في بطون الاودية والشعاب وتستترون منـه باثناء النهار والواذ الجبال فخاف من له معقول على نفسه ولم يجعل عليهـا سبيلا وقد اعذر من انذر وقد اسمعت لو ناديت حيا ولــكن لا حياة لمن تنادى والسلام عليكم •

كتب الحجاج الى عبدالملك بن مروان(٢)
يرجوه ارسال قوات للقضاء على شبيب الخارجي سنة ٧٧ هـ

أما بعد فاني اخبر امير المؤمنين اكرمه الله ان شبيبا قد شارف المدائن وانما يريد الكوفة وقد عجز اهل الــكوفة عن قتاله في مواطن كثيرة في كلها يقتل امراءهم ويغل جنودهم فان رأى امير المؤمنين ان يبعث الى اهــل الشام فيقاتلوا عدوهم ويأكلوا بلادهم فليفعل والسلام •

---

(١) الطبرى حـ ٧ ص ٢٣٨
(٢) الطبرى حـ ٧ ص ٢٤٣

الحجاج يكتب الى فطرى بن الفجاءة(١)

سلام عليك اما بعد فانك مرقت من الدين مروق السهم من الرمية وقد علمت حيث تجرثمت وذاك انك عاصي الله ولولاة امره غير انك اعرابي جلف أمي تستطم الكسرة وتشتفى بالتمرة والامور عليك حسرة خرجت لتنال شبعه فلحق بك طغام صلوا بمثل ما صليت به من العيش فهم يهزون الرماح ويستنشؤن الرياح على خوف وجهد من امورهم وما اصبحوا ينتظرون اعظم مما جهلوا معرفته ثم اهلكهم الله بنزحتين والسلام .

فطرى بن الفجاءة يجيب على رسالة الحجاج(٢)

سلام على الهداة من الولاة الذين يرعون حريم الله ويرهبون نقمه فالحمد لله على ما اظهر من دينه واظلع به أهل السفالة وهدى به من الضلالة ونصر به عند استخفافك بحقه كتبت الى تذكر اني اعرابي جلف امي استطعم الكسرة واستشفي بالتمرة ولعمرى يا ابن ام الحجاج لميت في جبتك ملطخم في طريقتك واه في وثيقتك لا تعرف الله ولا تجزع من خطيئتك يئست واستبأست من ربك فالشيطان قرينك ولا تجاذبه وثاقك ولا تنازعه خناقك فالحمد لله الذى لو شاء ابرز لى صفحتك واوضح لي طلعتك فو الذى نفس فطرى بيده لعرفت ان مقارعة الابطال ليست تصدير المقال مع اني ارجو ان يدحض الله حجتك وان يمنحنى مهجتك .

كتاب الحجاج الى المهلب(٣)

أما بعد فانك تتراخى عن الحرب حتى يأتيك رسلي فترجع بعذرك وذلك انك تمسك حتى تبرأ الجراح وتنسى القتلى ويجحم الناس ثم تلقاهم فتحتمل منهم مثل ما يحتملون منك من وحشة القتل والم الجراح لو كنت تلقاهم بذلك الجد لكان الداء قد حسم والقرن قد قصم ولعمرى ما انت

---

(١) البيان والتبيين حـ ٢ ص ٣١٠
(٢) البيان والتبيين حـ ٢ ص ٣١٠
(٣) الكامل في الادب حـ ٢ ص ٢٣٩

والقوم سواء لان من ورائك رجـالا وامامك اموالا وليس الا ما معهم ولا يدرك الوجيف بالدبيب ولا الظفر بالتعذير •

الحجاج يكتب الى المهلب(١)

أما بعد فان بشرا رحمه الله استكره نفسه عليك واراك غناءه عنك وانا اربك حاجتي اليك فأرني الجد في قتال عدوك ومن خفته على المعصية ممن قبلك فاقتله فاني قاتل من قبلي ومن كان عندي من ولى وهرب عنك فاعلمني مكانه فاني ارى ان آخذ الولى بالولى والسمى بالسمى •

الحجاج يكتب الى عبدالملك(٢)

أما بعد فان جند امير المؤمنين الذين بسجستان اصيبوا فلم ينج منهم الا القليل وقد اجترأ العدو بالذى اصابه على أهل الاسلام فدخلوا بلادهم وغلبوا على كل حصونهم وقصورهم وقد اردت ان اوجه اليهم جند كثيفا من اهل المصرين فاحببت ان استطلع رأى امير المؤمنين في ذلك فان رأى لي بعثة ذلك الجند امضيته وان لم ير ذلك فان امير المؤمنين اولى بجنده مع اني اتخوف ان لم يأت رتبيل ومن معه من المشركين جند كثيف عاجلا ان يستولوا على ذلك الفوج كله •

كتب عبدالرحمن بن الاشعث الى الحجاج سنة ٨١ هـ(١)

الحجاج يكتب الى عبدالرحمن بن الاشعث

اما بعد فان كتابك اتاني وفهمت ما ذكرت وكتابك كتاب امرى يحب

---

(١) الكامل في الادب حـ ٢ ص ٢٢٢
(٢) الطبرى حـ ٧ ص ٢٨٢
(٣) الاخبار الطوال ص ٣٠٨

الهدنة ويستريح الى الموادعة قد صانع عدما قليلا ذليلا قد اصابوا من المسلمين جندا كان بلاؤهم حسنا وغناؤهم في الاسلام عظما لعمرك يا ابن عبدالرحمن انك حيث تكف من ذلك العدو بجندى وحدى لسخي النفس عمن اصيب من المسلمين اني لم أعدد رأيك الذى زعمته انك رأيته رأى مكيدة ولكني رأيت انه لم يحملك عليه الا ضعفك والتياث رأيك فامضي لما امرتك به من الوغول في ارضهم والهدم لحصونهم وقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم[1] .

واردفه بكتاب اخر

أما بعد فمر من قبلك من المسلمين فليحرثوا وليقيموا فانها دارهم حتى يفتحها الله عليهم .

ثم اردفه بكتاب اخر :ـ

اما بعد فامضي لما امرتك به من الوغول في ارضهم والا فان اسحق بن محمد اخاك امير الناس فخله وما وليته .

الحجاج يكتب الى عبدالرحمن بن الاشعث(٢)

بسم الله الرحمن الرحيم . من الحجاج بن يوسف الى عبدالرحمن بن الاشعث سلام على أهل التورع لا التبدع فاني احمد الله الذى حيرك بعد البصيرة فمرقت عن الطاعة وخرجت عن الجماعة فعسكرت في الكفر وذهلت عن الشكر فلا تحمد الله في سواء ولا تصبر لامره في ضراء قد اتاني كتابك بلفظات فاجر فاسق غادر وسيمكن الله منه ويهتك ستوره أما

---

(١) الطبرى حـ ٨ ص ٨
(٢) الاخبار الطوال ص ٣٠٨

بعد فهلم الى فعل وفعال ومعانقة الابطال بالبيض والصوال فان ذلك احرى بك من قيل وقال والسلام على من اتبع الهدى وخشى الله واتقى •

كتب عبدالرحمن بن الاشعث كتابا الى الحجاج(١)

بسم الله الرحمن الرحيم • من عبدالرحمن بن محمد الى الحجاج بن يوسف سلام على اهل طاعة الله الذين يحكمون بما انزل الله ولا يسفكون دما حراما ولا يعطلون لله احكاما فاني احمد الله الذى بعثني لمنازلتك وقواني على محاربتك حين تهتكت ستورك وتحيرت امورك فاصبحت حيران تائها لهفان لا تعرف حقا ولا تلائم صدقا ولا ترتق فتقا ولا تفتق رتقا وطال ما تطاولت فيما تاولت فصرت في الغي مذبذا وعلى الشرارة مركبا فتدبر امرك وقس شبرك بفترك فانك مراق عراق ومعك عصابة فساق جعلوك مثالهم كحذوهم نعالهم فاستعد الابطال بالسيوف والعوال فستذوق وبال امرك ويرجع عليك غيك والسلام •

كتاب المهلب بن ابي صفره الى عبدالرحمن بن الاشعث(٢)

أما بعد فانك وضعت رجلك يا ابن محمد في غرز طويل الفى على امة محمد (ص • ع) الله الله فانظر لنفسك لا تهلكها ودماء المسلمين فلا تسفكها والجماعة فلا تفرقها والبيعة فلا تنكثها فان قلت اخاف الناس على نفسى فالله احق ان تخافه عليها من الناس فلا تعرضها للله في سفك دم ولا استحلال محرم والسلام عليك •

---

(١) الدينورى ـ الاخبار الطوال ـ ص ٣٠٨ وكاتب الكتاب هو ايوب ابن القربة وكان هذا الكتاب سبب قتله لما قبض عليه الحجاج

(٢) الطبرى ـ حـ ٨ ص ١٠

المهلب يكتب الى الحجاج(١)

سنة ٨١ هـ اثنـــاء ثورة بن الاشعث

أما بعد فان اهل العراق قد اقبلوا اليك وهم مثل السيل المنحدر مـن عل ليس شيء يرده حتى ينتهي الى قراره وان لاهل العراق شرة في اول مخرجهم وصبابة الى ابنائهم ونسائهم فليس شيء • يردهم حتى يسقطوا الى اهليهم ويشموا اولادهم ثم واقفهم عندهـــا فان الله ناصــرك عليهم ان شـاء الله •

الحجاج يكتب الى عبدالملك(٢)

ايا امير المؤمنين والله لئن اعطيت أهــل العراق نزعى لا يلبثون الا قليلا حتى يخالفون ويسيروا اليك ولا يزيدهم ذاك الا جرأة عليـــك آلم تر وتسمع بوثوب أهل العراق مع الاشتر على بن عفان فلما سألهم مـــا يريدون قالوا انزع سعيد بن العاص فلما نزعه لم تتم لهم السنة حتى ساروا اليه فقتلوه ان الحديد بالحديد يفلـح خار الله لك في ما ارتأيت والسلام عليـــك •

---

(١) الطبرى حـ ٨ ص ١٠

(٢) الطبرى حـ ٨ ص ١٦

كتب عبدالملك الى الحجاج بن يوسف واليه على العراق

اما بعد فقد اصبحت بامرك برما يقعدني الاشفاق ويقيمني الرجاء واذا عجزت في دار السعة وتوسط الملك وحين المهل واجتماع الفكر ان التمس العذر في امرك فانا لعمر الله في دار الجزاء وعدم السلطان واشتغال العامة والركون الى الذلة من نفسي واتوقع لما طويت عليه الصحف اعجز • وقد كنت اشركتك فيما طوقني الله عزوجل حمله ولاث بحقوى من امانته في هذا الخلق المرعي فدللت منك على الحزم والجد في اماتة بدعة وانعاش سنة فقعدت عن تلك ونهضت بما عاندها حتى صرت حجة الغائب والشاهد القائم وعذر اللاعن فلعن الله ابا عقيل وما نحل فالام والد واخبث نسل فلعمري ما ظلمكم الزمان ولا قعدت بكم المراتب • لقد البستكم ملبسك واقعدتكم على روابي خططكم واحلتكم اعلى منعتكم فمن حافر وناقل وماتح للقلب المقعدة في الفباقي المتفبهقة ، ما تقدم فيكم الاسلام ولقد تأخرتم وما الطائف منا ببعيد بجهل اهله ثم قمت بنفسك وطمحت بهمتك ، وسرك انتضاء سبقك فاستخبرك امير المؤمنين من اعوان روح بن زنباع وشرطته وانت على معاونته يومئذ محسود فهفا امير المؤمنين والله يصلح بالتوبة والغفران زلته وكأني بك وكأن ما لو لم يكن لكان خيرا مما كان كل ذلك من تجاسرك وتحاملك على المخالفة لرأى امير المؤمنين فصدعت صفاتنا وهتكت حجبنا وبسطت يديك تحفن بهما من كرائم ذوى الحقوق اللازمة والارحام الواشجة في اوعية ثقيف فاستغفر الله لذنب ما له عذر ، فلئن استقال امير المؤمنين فبك الرأى فلقد جالت البصيرة في ثقيف لصالح النبي صلى الله عليه وسلم اذ أتمنه على الصدقات وكان عبده فهرب بها عنه وما هو الا اختبار العفة والتلطف لواضع الكفاية فقعد به الرجاء كما قعد بأمير المؤمنين فيما نصبك له فكأن هذا البس امير المؤمنين ثوب العزاء ونهض بعذره الى استنشاق نسيم الروح فاعتزل عمل امير المؤمنين واظعن عنه باللعنة اللازمة والعقوبة الناهكة ان شاء الله اذ استحكم لامير المؤمنين ما يحاول من رأيه والسلام •

الحجاج يجيب عبدالملك على رسالته

بسم الله الرحمن الرحيم . لعبدالله امير المؤمنين وخليفة رب العالمين المؤيد بالولاية المعصومة من خطل القول وزلل العقل بكفالة الله الواجبة لذوى امره من عبد اكتفته الزلة ومد به الصغار الى وخيم المرتع ووبيل المكرع من جليل فادح ومعتد قادح والسلام عليك ورحمة الله التي اتسعت فوسعة فكان بها لاهل التقوى عائذاً فاني احمد اليك الله الذى لا اله الا هو راجيا لطفك بعطفه .

أما بعد كان الله لك بالدعة في دار الزوال والاحسن من دار الزوال فانه من عنيت به فكرتك يا امير المؤمنين مخصوصا فما هو الا سعيد يؤثر أو شقي يوتر وقد حجبن عن نواظر السعد لسان مرصد ونافس حقد انتهز به الشيطان حين الفكرة فافتتح به ابواب الوسواس بما تحنق به الصدور فواغوثاه استعاذة بامير المؤمنين من رجيم انما سلطانه على الذين يتولونه واعتصاما بالتوكل على من خصه بما اجزل له من قسم الايمان وصادق السنة فقد اراد اللعين ان يفتق لاوليائه فتقا نبا عنه كيده وكثر عليه تحسره بلية قرع بها فكر امير المؤمنين مليا وكادحا ومؤرثا كفيل من عزمه الذى نصبني ويصيب ثأرا لم يزل به موفور وذكر قديم ما من به الاوائل حتى لحقت بمثله منهم وما كنت ابلوه من خسة اقدار ومزاولة اعمال الى ان وصلت ذلك بالتشرط لروح بن زنباع وقد علم امير المؤمنين بفضل ما اختار الله له تبارك وتعالى من العلم المأثور الماضي الذى عبر به القوم من مصانهم من اشد ما كان يزاوله اهل القدمة الذين اجتبى الله منهم وقد اعتصموا وامتعضوا من ذكر ما كان وارتبعوا بما يكون وما جهل أمير المؤمنين للبيان موقعه غير محتج ولا متعد ان متابعه روح ابن زنباع طريق الوسيلة لمن اراد من فوقه وان روحا لم يلبسني العزم الذى به رفعني امير المؤمنين عن خوله وقد الصقتني بروح بن زنباع همة لم تزل نواظرها ترمى بي البعيد ولا تطالع الاعلام وقد اخذت من امير المؤمنين نصيبا اقسمه

الاشفاق من سخطته والمواظبة على موافقته فما بقى لنا الا صبابة ارث بـــه تجول النفس وتطرف النواظر ولقد سرت بعين امير المؤمنين سير المتشبط لم يتلوه المتطاول لمن تقدمـــه غير مبت موجف ولا متثاقل مجحف فضت الطالب ولحقت الهارب حتى سادت السنة وبادت البدعـة وخس الشيطان وحملت الاديان الى الجادة العظمى والطريقة المثلى فيها انا يا امير المؤمنين نصب المسألة لمن رامني وقد عقدت الحبوة وقربت الوظيفين ومعضل لقائل محتج اولا ثم ملتج وامير المؤمنين ولى المظلوم ومعقل الخائف وستظهر لـه المحنة نبا امرى ولكل نبا مستقر وما حفنت يا امير المؤمنين في اوعية ثقيف روى الضمآن وبطن الفرثان وغصت الاوعية وانقدت الاوكية في آل مروان فاخذت تقبض فصلا صار لها لولاهم للفطنة السابلة ولقد كان ما انكر امير المؤمنين من تحاملي وكان ما لو لم يكن لعظم الخطب فوق ما كان وانـــه امير المؤمنين لرابع اربعة احدهم ابنه شعيب النبي (ص • ع) اذرمتـــه بالظن غرض اليقين تفرسا في النجى المصطفى بالرسالة فحق لها الرجـــاء وزالت شبهه الك بالاختيار وقبلها العزيز في يوسف ثم الصديق في الفاروق رحمة الله عليهما وامير المؤمنين في الحجاج • وما حسد الشيطان يا امير المؤمنين خاملا ولا شرق بغير شجى فكم غبطة يا امير المؤمنين للرجيم ادبر منها وله عواء وقد قلت حيلته ووهن كيده يوم كبت وكبت ولا اظن اذكر لها من امير المؤمنين ولقد سمعت لامير المؤمنين في صالح صلوات الله عليه وسلم ثقيف ما لا هجم لي الرجاء لعدله عليه بالحجة في رده بمحكم التنزيل على لسان بن عمه خاتم النبيين وسيد المرسلين (ص • ع) فقد اخبر عن الله عزوجل وحكاية غر الملا من قريش عند الاختبار والا فتخار وقد نفخ الشيطان في مناخرهم فلم يدعو خلف ما قصدوا اليه مرمى فقالوا لولا نزل هذا القرآن عند المباهاة بنفخه الكفر وكبر الجاهلية على الوليـد بن المغيرة المخزومي وابي مسعود الثقفي نصار في الافتخار بهما ضنين ومـــا انكر اجتماعهما من الامة منكر في خبر القرآن وبلغ الوحي وان كـــان ليقال

للوليد في الامة يومئذ وريحانة قريش وما رد ذلك العزيز تعالى الا بالرحمة الشاملة في القسم السابق فقال عزوجل (آهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا) ومــا قد يستخرج يا امير المؤمنين ثقيف في الاحتجاج لها وان لها مقالا رحبا ومعاندة قديمة الا ان هذه من ايسر ما يحتج به العبد المشفق على سيده المغضب والامر الى امير المؤمنين عزل أم اقر وكلاهما عدل متبع وصواب معتقــد والسلام يا امير المؤمنين ورحمة الله[1] .

لما اسرف الحجاج في قتل اسارى دير الجماجم واعطائه الاموال بلـغ ذلك عبدالملك بن مروان فكتب اليه :(٢)

اما بعد فقد بلغ امير المؤمنين سرفك في الدماء وتبذيرك في الامــوال ولا يحتمل امير المؤمنين هاتين الخصلتين لاحد من الناس وقد حكم عليك امير المؤمنين في الدماء في الخطأ الدية وفي العمد القود وفي الاموال ردها الى مواضعها ثم العمل فيها برأيه فأنما امير المؤمنين امير الله وسيان عنده منع حق واعطاء باطل فأن كنت اردت الناس فما اغناهم عنك وان كنت اردتهم لنفسك فما اغناك عنهم وسيأتيك من امير المؤمنــين امران لين وشدة فلا يؤنسنك الا الطاعة ولا يوحشنك الا المعصية وظن بأمير المؤمنين كل شيء الا احتمالك على الخطأ واذا اعطاك الظفر علي قوم فلا تقتلن جانحا ولا اسيرا وكتب في اسفل كتابه :

اذا انت لم تترك امورا كرهتها ... وتلطب رضائي بالذي انا طالبه
وتخشي الذي يخشاه مثلك هاربا ... الى الله ضيع الــدر حالبــه
فأن ترى مني غفلــة قرشية ... فيا ربما قد غص بالماء شاربــه
وان ترى مني وثبــة امويــة ... فهذا وهذا كل ذا انا صاحبــه

(١) العقد الفريد حـ ٤ ص ٢٦٤
(٢) المسعودى ـ مروج الذهب ـ جـ ٣ ص ١٤١

فلا تلمني والحوادث جمة | فأنك مجزى بما انت كاسبه
ولا تعد ما يأتيك مني وان تعد | نعوم بها يوما عليك نوادبه
ولا تنقضن للناس حق علمته | ولا تعطين ما ليس لله حاسبه

كتب الحجاج الى عبدالملك(١)

اما بعد فقد اتاني كتاب امير المؤمنين يذكر فيه سرفي في الدماء وتبذيري في الاموال ولعمري ما بلغت في عقوبتي اهل المعصية ما اهله وما قضيت اهل الطاعة بما استحقوه فان كان قتلي اولئك العصاة سرفا واعطائي اولئك المطيعين تبذيرا فليسوا غني امير المؤمنين ما سلف وليحد لي فيه حدا انتهي اليه ان شاء الله تعالى ولا قوة الا بالله والله ما على من عقل ولا قوة ما اصبت القوم خطأ فأدبهم ولا ظلمتهم فاقاد بهم ولا اعطيتهم الا لك ولا قتلت الا فيك واما ما انا منتظره من امريك لينها عدة واعظمهما محنة فقد عبأت للعدة الجلاد وللمحنة الصبر وكتب في اسفل كتابه :

اذا انا لم اتبع رضاك واتقي | اذاك فيومي لا تزول كوكبه
وما لعمري بعد الخليفة جنة | تقيه من الامر الذي هو كاسبه
اسالم من سالمت من ذي قرابة | ومن لم تسالمه فأني محاربه
اذا قارف الحجاج منك خطيئة | فقامت عليه في الصباح نوادبه
اذا انا لم ادن الشفيق لنصحه | واقصي الذي تسرى الي عقاربه
فمن ذا الذي يرجو نوالي ويتقي | مصاولتي والدهر جم نوائبه
فقف بي على حد الرضا لا اجوزه | مدى الدهر حتى يرجع الدر جالبه
والا فدعني والامور فأنني | شفيق رفيق احكمتني تجاربه

فلما انتهى كتابه الى عبدالملك قال : خاف ابو محمد صولتي ولن اعود الى شيء يكرهه .

(١) المسعودى ــ مروج الذهب ــ ج ٣ ص ١٤٢

الحجاج يكتب الى ناس(١)

من عمرو بن تميم وحنظلة وكانوا قد قطعوا عليه

من الحجاج بن يوسف . أما بعد فانكم قد استصحبتم الفتنة فلا عن حق تقاتلون ولا عن منكر تنهون وايم الله اني لاهم ان يكون اول ما يرد عليكم من قبلي خيل تنسف الطارف والتالد وتخلي النساء ايامي والابناء ايتامي والدار خرابا والسواد بياضا فايما رفقة مرت بأهل ماء فاهل ذلك ضامنون لها حتى تصير الى الماء الذي يليه تقدمه مني اليكم والسعيد من وعظ بغيره والسلام .

كتب الحجاج ابن يوسف الى عبدالملك بن مروان(٢)

اما بعد فانا نخبر امير المؤمنين انه لم يصب ارضنا وابل منذ كتبت اخبره عن سقيا الله ايانا الا ما بل وجه الارض من الطش والرش والرذاذ حتى دقصت الارض واقشعرت واغبرت وثارت في نواحيها اعاصير تذرو دقاق الارض من ترابها وامسك الفلاحون بأيديهم من شدة الارض واعتزازها واتاعها وارضنا ارض سريع تغيرها وشبك تنكرها سوء ظن اهلها عند قحوط المطر حتى ارسل الله بالقبول يوم الجمعة فاثارت زبرجاً متقطعا متمصرا ثم اعقبته الشمال يوم السبت فطحطحت عنه جهامه والفت متقطعة وجمعت متمصرة حتى انتضد فاستوى وطما وطحا وكان حوتا مر ثعتا قريبا رواعده واعتدت عوائده بوابل منهمل منسجل يردف بعضه بعضا كلما اردف شوبوب ارتدفته شابيب وقعه في العراض .

وكتبت الى امير المؤمنين وهي ترمي بمثل قطع القطن قد ملأ اليباب وسد الشعاب وسقي منها كل ساق فالحمد لله الذي انزل غيثه ونشر رحمته من بعد ما قنطوا وهو الولي الحميد والسلام .

---

(١) البيان والتبيين جـ ١ ص ٣٩٧

(٢) الجاحظ ــ البيان والتبيين ــ جـ ٣ ص ٣٨٦ــ٣٨٧

كتب الوليد الى الحجاج يأمره ان يكتب له بسيرته فكتب اليه

اني ايقظت رأى وانمت هواى فأدنيت السيد المطاع في قومه ووليت الحرب الحازم في امره وقلدت الخراج الموفر لامانته وقسمت لكل خصم من نفسي قسما يعطيه حضا من نظري ولطيف عنايتي وصرفت السيف الى النطف المسيء والثواب الى المحسن البريء فخاف صولة العقاب المحسن بحظه من الثواب(١) .

كتب عمر بن عبدالعزيز الى عبدالحميد بن عبدالرحمن(٢)

كتبت الي تسألني عن اناس من اهل الحيرة يسلمون من اليهود والنصارى والمجوس وعليهم جزية عظيمة وتستأذنني في اخذ الجزية منهم وان الله جل ثناؤه بعث محمدا (ص.ع) داعيا الى الاسلام ولم يبعثه جابياً فمن اسلم من اهل تلك الملل فعليه في ماله الصدقة ولا جزية عليه وميراثه لذوي رحمه اذا كان منهم يتوارثون كما يتوارث اهل الاسلام وان لم يكن له وارث فميراثه في بيت مال المسلمين الذي يقسم بين المسلمين وما احدثوا من حدث ففي مال الله الذي يقسم بين المسلمين يعقل عنه منه والسلام .

وكتب الى عماله :(٣)

فمن اسلم من نصراني او يهودي او مجوسي من اهل الجزية اليوم فخالط المسلمين في دارهم وفارق داره التي كان بها فان له ما للمسلمين وعليه ما عليهم وعليهم ان يخالطوه وان يواسوه غير ان ارضه وداره انما هي من فيء الله على المسلمين عامة ولو كانوا اسلموا عليها قبل ان يفتح الله للمسلمين كانت لهم ولكنها فيء الله على المسلمين عامة .

---

(١) الدنورى ــ عيون الاخبار ج ١ ص ١٠
(٢) ابو يوسف ــ الخراج ــ ص ١٣١ـ١٣٢
(٣) ابن عبدالحكم ــ سيرة عمر بن عبدالعزيز ص ٧٩

كتب عمر بن عبدالعزيز الى عبدالحميد بن عبدالرحمن(١)

سلام عليك . اما بعد فان اهل الكوفة قد اصابهم بلاء وشدة وجور في احكام وسنن خبيثة سنتها عليهم عمال السوء . وان اقوم الدين العدل والاحسان فلا يكونن شيء اهم اليك من نفسك ان توطنها لطاعة الله فانه لا قليل من الاثم وامرتك ان تطرز عليهم ارضهم وان لا تحمل خرابا على خراب ولا تأخذ من الخراب الا ما يطيق ولا من العامر الا وظيفة الخراج في رفق وتسكين لاهل الارض وامرتك ان لا تأخذ في الخراج الا وزن سبعة ليس لها أس ولا اجور الضرابين ولا اذبة الفضة ولا هدية النيروز والمهرجان ولا ثمن المصحف ولا اجور البيوت ولا دراهم النكاح ولا خراج على من اسلم من اهل الارض فاتبع في ذلك امرى فقد وليتك من ذلك ما ولاني الله ولا تعجل دوني بقطع ولا صلب حتى تراجعني فيه وانظر من اراد من الذرية الحج فعجل له ما يتجهز بها والسلام .

كتب عمر بن عبدالعزيز الى عبدالحميد بن عبدالرحمن عامله على الكوفة(٢)

ان اخرج للناس اعطياتهم فكتب اليه عبدالحميد اني قد اخرجت للناس اعطياتهم ، وقد بقي في بيت المال مالا فكتب اليه ان انظر كل من ادان في غير سفه ولا سرف فاقض عنه فكتب اليه (اني قد قضيت عنهم وبقي في بيت مال المسلمين مال) فكتب اليه (ان انظر كل بكر ليس لـــه مال فشاء ان تزوجه فزوجه واصدق عنه) فكتب اليه (اني قد زوجت كل من وجدت وقد بي في بيت مال المسلمين مال) فكتب اليه بعد مخرج هذا (ان انظر من كانت عليه جزية فضعف عن ارضه فاسلفه ما يقوى به على عمل ارضـــه فانا لا نريدهم لعام ولا لعامين) .

---

(١) ابو عبيدة ـ الاموال ص ٤٦
(٢) ابو عبيدة ـ الاموال ـ ص ٢٥١

كتب عمر بن عبدالعزيز الى بسطام اليشكري الذي خرج(١) في العراق على عهد عمر

انه بلغني انك خرجت غضبا لله ونبيه ولست باولي بذلك مني فهلم اناظرك فان كان الحق بايدينا دخلت فيما دخل فيه الناس وان كان في يدك نظرنا في امرنا .

كتب هشام بن عبدالملك الى يوسف بن عمر في امر زيد بن علي

اما بعد فقد علمت بحال اهل الكوفة في حبهم اهل هذا البيت ووضعهم اياهم في غير مواضعهم لانهم افترضوا على انفسهم طاعتهم ووظفوا عليهم شرائع دينهم ونحولهم علم ما هو كائن حتى حملوهم من تفريق الجماعة على حال استخفوهم فيها الى الخروج وقد قدم زيد بن علي على امير المؤمنين في خصومة عمر بن الوليد ففصل امير المؤمنين بينهما وارى رجلا جدلا لسنا خليقاً بتمويه الكلام وصوغه واجترار الرجال بحلاوة لسانه وبكثرة مخارجه في حججه وما يدلي به عند لدد الخصام من السطوة على الخصم بالقوة الحادة لنيل الفلج فعجل اشخاصه الى الحجاز ولا تخله والمقام قبلك فانه ان اعاره القوم اسماعهم فحشاها من لين لفظه وحلاوة منطقه مع ما يدلي به من القرابة لرسول الله (ص ع) وجدهم ميلا اليه غير متئدة قلوبهم ولا ساكنة احلامهم ولا مصونة عندهم اديانهم وبعض التحامل عليه فيه اذى لهم واخراجه وتركه مع السلامة للجميع والحقن للدماء والامن للفرقة احب الي من امر فيه سفك دمائهم وانتشار كلمتهم وقطع نسلهم والجماعة حبل الله المتين ودين الله القويم وعروته الوثقى فادع اليك اشراف اهل المصر واوعدهم العقوبة في الابشار واستصفاء الاموال فان من له عقد او عهد منهم سيبطىء عنهم ولا يخف معه الا الرعاع واهل السواد ومن تنهضه الحاجة استلذاذا للفتنه واولئك ممن يستعبد ابليس وهو يستعبدهم

---

(١) الطبرى ــ الامم والملوك ــ جـ ٨ ص ١٣٢

فبادرهم بالوعيد واعضضهم بسوطك وجرد فيهم سيفك واخف الاشراف قبل الاوساط والاوساط قبل السفلة واعلم انك قائم على باب الفة وداع الى طاعة وحاض على جماعة ومشمر لدين الله فلا تستوحش لكثرتهم وجعل معقلك الذي تأوى اليه وصغوك الذى تخرج منـــه الثقة بربك والغضب لدينك والمحامات عن الجماعة ومناصبة من اراد كسر هذا الباب الذي امرهم الله بالدخول فيه والنشاح عليه فان أمير المؤمنين قد اعذر اليه وقضي مـــن ذمامه فليس له منزى الى ادعاء حق هوله ظلمه من نصيبة نفسه او في او صلة لذى قربي الا الذي خاف امير المؤمنين من حمل بادرة السفلة على الـــذى عسى ان يكونوا به اشقى واضل ولهم امر ولا امير المؤمنين اعز واسهل الى حياطة الدين والذب عنه فانه لا يحب ان يرى في امته حالا متفاوتا نكالا لهم مفنيا فهو يستديم النظرة ويتأتي للرشد ويجتنبهم على المخاوف ويستجرهم الى المراشد ويعدل بهم عن المهالك فعل الوالد الشفيق على ولده والراعي الحدب على رعيته واعلم ان من حجتك عليهم في استحقاق نصر الله لـــك عند معاندتهم توفيتك اطماعهم واعطية ذريتهم ونهيك جنـــدك ان ينزلوا حريمهم ودورهم فانتهز رضى الله فيما انت بسبيله فانه ليس ذنب اســـرع تعجيل عقوبة من بغي وقد اوقعهم الشيطان ودلاهم فيه ودلهم عليه والعصمة بتارك البغي اولى فأمير المؤمنين يستعين الله عليهم وعلى غيرهم من رعيتـــه ويسأل الهه ومولاه ان يصلح منهم ما كان فاسدا وان يسرع بهم الى النجاة والفوز انه سميع قريب •

كتب الوليد بن يزيد الى عامله على العراق يوسف بن عمر الثقفي(٢)

انك كتبت الى امير المؤمنين تذكر تخريب ابن النصرانية البلاد وقد كنت على ما ذكرت من ذلك تحمل الى هشام ما تحمل وقد ينبغي ان تكون قد عمرت البلاد حتى رددتها الى ما كانت عليه فاشخص الى امير المؤمـــنين

---

(١) الطبرى ــ الامم والملوك ــ جـ ٨ ص ٢٦٥

(٢) الطبرى ــ الامم والملوك جـ ٩ ص ٤

نصدق ظنه بك فيما تحمل اليه لعمارتك البلاد وليعرف امير المؤمنين فضلك على غيرك لما جعل الله بينك وبين امير المؤمنين من القرابة فانك خاله واحق الناس بالتوفير عليه ولما قد علمت مما امر به امير المؤمنين لاهل الشام وغيرهم من الزيادة في اعطياتهم وما وصل به اهل بيته لطول جفوة هشام اياهم حتى اضر ذلك ببيوت الاموال •

قال يزيد بن الوليد لمنصور بن جمهور لما ولاه العراق(١)

قد وليتك العراق فسر اليه واتق الله واعلم اني انما قتلت الوليد لفسقه ولما اظهر من الجور فلا ينبغي لك ان تركب مثل ما قتلناه عليه •

كتب منصور بن جمهور وهو في طريقه الى الكوفة الى سليمان بن سليم بن كيسان(٢)

اما بعد فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا اراد الله بقوم سوء فلا مرد له وان الوليد بن يزيد بدل نعمة الله كفرا فسفك الدماء فسفك الله دمه وعجله الى النار وولي خلافته من هو خير منه واحسن هديا يزيد بن الوليد قد بايعه الناس وولي على العراق الحارث بن العباس بن الوليد ووجهني العباس لاخذ يوسف وعماله وقد نزل الابيض ورائي على مرحلتين فخذ يوسف وعماله لا يفوتنك منهم احد فاحبسهم قبلك واياك ان تخالف فيحل بك وباهل بيتك مالا قبل لك به فاختر لنفسك او دع •

كتب يزيد بن الوليد الى اهل العراق(٣)

احببت ان اعلمكم ذلك واعجل به اليكم لتحمدوا الله وتشكروه فانكم قد اصبحتم اليوم على امثل حالكم اذ ولاتكم خياركم والعدل مبسوط لكم لايسار فيكم بخلافه فاكثروا على ذلك حمد ربكم وتابعوا منصور بن جمهور

---

(١) الطبرى ـ الامم والملوك ـ جـ ٩ ص ٢٨
(٢) الطبرى ـ الامم والملوك ـ جـ ٩ ص ٢٨
(٣) الطبرى ـ الامم والملوك ـ جـ ٩ ص ٣٢

فقد ارتضيته لكم على ان عليكم عهد الله وميثاقه واعظم ما عهد وعقد على احد من خلقه لتسمعن وتطيعون لي ولمن استخلفته من بعدي ممن اتفقت عليه الامة ولكم على مثل ذلك لاعملن فيكم بأمر الله وسنة نبيه صلى الله عليه واتبع سبيل من سلف من خياركم نسأل الله ربنا وولينا احسن توفيقه وخير قضائه •



معاوية يوقع في كتاب زياد الذي يخبره بطعن عبدالله بن عباس في خلافته(١)

ان ابا سفيان وابا الفضل كانا في الجاهلية في مسلاخ واحد وذلك حلف لا يحله سوء ادبك •

يزيد بن معاوية يوقع لعبيدالله بن زياد(١)

انت أحد اعضاء ابن عمك فاحرص أن تكون كلها •

عبدالملك يوقع في كتاب للحجاج الذي يشكو فيه نفرا من بني هاشم(٣)

جنبني دماء بني عبدالمطلب فليس فيها شفاء من الطلب •

ووقع للحجاج الذي كتب يخبره سوء طاعة اهل العراق ويستاذن في قتل اشرافهم(٤)

ان من يمن السائس ان يأتلف به المختلفون ومن شؤمه ان يختلف به المؤتلفون •

ووقع في كتاب للحجاج الذي يخبره فيه بقوة ابن الاشعث(٥)

بضعفك قوى وبخرقك طلع

---

(١) العقد الفريد ح ٤ ص ٢٥٧
(٢) العقد الفريد ح ٤ ص ٢٥٧
(٣) العقد الفريد ج ٤ ص ٢٥٨
(٤) العقد الفريد ج ٤ ص ٢٥٨
(٥) العقد الفريد ج ٤ ص ٢٥٨

ووقع في كتاب لعبدالرحمن بن الاشعث(١)

فما بال من اسعى لاجبر عظمه   حفاظا وينوى من سفاهته كسرى

ووقع ايضا في كتاب :

كيف يرجون سقاطي بعدما   شمل الرأس مشيب وصلع

الوليد بن عبدالملك يوقع في كتاب الحجاج حول جمعه المال وتفريقه(٢)

لاجمعن المال جمع من يعيش ابدا ولافرقنه تفريق من يموت غدا .

عمر بن عبدالعزيز يوقع لعدي بن ارطاة في أمر عاتبه(٣)

ان آخر آية أنزلت .. واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله .

عمر بن عبدالعزيز يوقع لواليه على الكوفة الذي كتب له في امر فعله كما فعل عمر بن الخطاب(٤)

(اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) .

وقع عمر بن عبدالعزيز الى عدي بن ارطاه الذي ابلغه سوء طاعة اهل العراق(٥)

لا تطلب طاعة من خذل عليا وكان اماما مرضيا .

ووقع كتاب صاحب العراق الذي اخبره سوء طاعة اهل العراق

ارض لهم ما ترضى لنفسك وخذ بجرائمهم بعد ذلك(٦) .

---

(١) العقد الفريد ج ٤ ص ٢٥٨
(٢) العقد الفريد ج ٤ ص ٢٥٨
(٣) العقد الفريد ج ٤ ص ٢٥٩
(٤) العقد الفريد ج ٤ ص ٢٥٩
(٥) العقد الفريد ج ٤ ص ٢٥٩
(٦) العقد الفريد ج ٤ ص ٢٥٩

هشام يوقع لعامله في العراق في قتال الخوارج[1]

ضع سيفك في كلاب النـار وتقرب الى الله بقتل الكفار

زياد يوقع في قصة قوم رفعوا على عامله رفيعه[2]

من اماله الباطل قومه الحق •

وقع الى عامله في الكوفة[3]

امط الحدود عن ذوى المرؤات •

وكتب الى عائشة في وصاة رجل فوقع في كتابها[4]

هو بين ابويه •

وقع الى صاحب خراسان في امر خالفه فيه[5]

استمر بعض دينك ببعض والا ذهب كله •

ووقع في قصة رجل جارح[6]

الجروح قصاص •

وقع في قصة قوم شكوا غرق ضياعهم[7]

لا تعرض فيما تفرد الله به •

وقع في قصة محبوس[8]

التائب من الذنب كمن لا ذنب له •

---

(١) العقد الفريد ج ٤ ص ٢٦٠

(٢) العقد الفريد ـ ج ٤ ص ٢٦٨

(٣) العقد الفريد ـ ج ٤ ص ٢٦٨

(٤) العقد الفريد ـ ج ٤ ص ٢٦٨

(٥) العقد الفريد ـ ج ٤ ص ٢٦٨

(٦) العقد الفريد ـ ج ٤ ص ٢٦٩

(٧) العقد الفريد ـ ج ٤ ص ٢٦٩

(٨) العقد الفريد ـ ج ٤ ص ٢٦٩

زياد يوقع في قصة متظلم(١)

انـا معـك .

وقع في قصة مستمنح(٢)

لك المواسـات .

وقع لبعض عماله(٣)

قد كنت على الذعار واخاك ذاعرا .

وقع في قصة مستنصح(٤)

مهلا فقد ابلغت اسماعي .

وقع في قصة رجل شكى اليه الحاجة(٥)

لك في مال الله نصيب انت آخذه .

وقع في قصة متظلم(٦)

كفيت .

وقع في قصة رجل اشتكى اليه عقوق ابنه(٧)

ربما كان عقوق الولد من سوء تاء ديب الوالد .

---

(١) العقد الفريد ـ ج ٤ ص ٢٦٨
(٢) العقد الفريد ـ ج ٤ ص ٢٦٨
(٣) العقد الفريد ـ ج ٤ ص ٢٦٨
(٤) العقد الفريد ـ ج ٤ ص ٢٦٨
(٥) العقد الفريد ـ ج ٤ ص ٢٦٥
(٦) العقد الفريد ـ ج ٤ ص ٢٦٨
(٧) العقد الفريد ـ ج ٤ ص ٢٦٨

وقع زياد في قصة متظلم[1]

الحـــق يســـعك .

وقع في قصة نباش[2]

يدفن حيـــا في قبره .

وقع في قصة قوم نقبوا[3]

تنقب ظهـــورهم .

وقع في قصة امرأة حبس زوجها[4]

حكمـــه الى الله .

وقع في قصة سارق[5]

القطـــع جزاؤك .

وقع في خوارج خرجوا بالبصرة[6]

النار تحاربهـــم دونـــك .

ووقع الحجاج لقتيبـــة[7]

خذ عسكرك بتلاوة القرآن فانه أمنع من حصونك .

ووقع في كتاب قتيبة ابن مسلم في امر عبور النهر[8]

لا تخاطر بالمسلمين حتى تعرف موضع قدمك ومرمى سهامك .

---

(١) العقد الفريد ـ ج ٤ ص ٢٦٨
(٢) العقد الفريد ـ ج ٤ ص ٢٦٨
(٣) العقد الفريد ـ ج ٤ ص ٢٦٨
(٤) العقد الفريد ـ ج ٤ ص ٢٦٨
(٥) العقد الفريد ـ ج ٤ ص ٢٦٨
(٦) العقد الفريد ـ ج ٤ ص ٢٦٨
(٧) العقد الفريد ج ٤ ص ٢٦٩
(٨) العقد الفريد ج ٤ ص ٢٦٩

ووقع في كتاب صاحب الكوفة الذي اخبره بسوء طاعتهم وما يقاسي منهم(١)

ما ظنك بقوم قتلوا من كانوا يعبدونه •

ووقع في كتاب يزيد بن ابي مسلم(٢)

انت ابو عبيده هذا القرن •

الحجاج يوقع في كتاب اتاه من قتيبة بن مسلم يشكو كثرة الجراد وذهاب الغلاة وما حل بالناس من القحط(٣)

اذا ازف خراجك فانظر لرعيتك في مصالحها فبيت المال اشد اطلاعا لذلك من الارملة واليتيم وذي العيلة •

ووقع في قصة محبوس ذكروا انه تاب(٤)

ما على المحسنين من سبيل •

ووقع في كتاب الى ابن اخيه(٥)

ما ركب يهودي قبلك منبرا •

ووقع في كتاب الى بعض عماله(٦)

اياك والملاهي حتى تستنظف خراجك •

---

(١) العقد الفريد ج ٤ ص ٢٦٩
(٢) العقد الفريد ج ٤ ص ٢٦٩
(٣) العقد الفريد ج ٤ ص ٢٦٩
(٤) العقد الفريد ج ٤ ص ٢٦٩
(٥) العقد الفريد ج ٤ ص ٢٦٩
(٦) العقد الفريد ج ٤ ص ٢٦٩

الوصايا

معاوية يوصي المغيرة بن شعبة بعد توليه الكوفة سنة ٤١ هـ(١)

أما بعد فان لذى الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا وقد قال المتلمس

لذى الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا   وما علم الانسان الا ليعلما

وقد يجزي عنك الحكيم بغير التعليم وقد اردت ايصاءك باشياء كثيرة فانا تاركها اعتمادا على بصرك بما يرضيني ويسعد سلطاني ويصلح رعيتي ولست تاركا ايصاءك بخصلة لا تتحم عن شتم علي وذمه والترحم على عثمان والاستغفار له والعيب على اصحاب علي والاقصاء لهم وترك الاستماع منهم وباطرأ شيعة عثمان والادناء لهم والاستماع منهم •

معاوية يوصي ابنه يزيد عند وفاته ولم يكن يزيد حاضرا فيطلب معاوية الى من كان حاضرا وهم عقبة بن مسلم المري والضحاك بن قيس الفهري أن يبلغوه قوله هذا(٢)

انظر أهل الحجاز فهم عصابتك وعترتك فمن أتاك منهم فاكرمه ومن قعد عنك فتعاهده وانظر أهل العراق فان سألوك عزل عامل في كل يوم فاعزله عنهم فان عزل عامل واحد أهون عليك من سل مائة الف سيف ثم لا تدر ي علام انت عليه منهم ثم انظر أهل الشام فاجعلهم الشعار دون الدثار فان رابك من عدو ريب فارمه بهم فان اظفرك الله فاردد اهل الشام الى

---

(١) الطبري ـ ج ٦ ص ١٤١
(٢) العقد الفريد ـ ج ٤ ص ١٥١

بلادهم لا يقيموا في غير بلادهم فيتأدبوا بغير آدابهم ولست اخاف عليك غير عبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير والحسين بن علي فاما عبدالله بن عمر فرجل وقذه الورع وأما الحسين فارجو أن يكفيكه الله بمن قتل اباه وخذل اخاه واما ابن الزبير فانه خب ضب فان ظفرت به فقطعه اربا اربا .

المراجـــع القديمـــة

١ ـ الابشيهي ـ المستطرف في كل فن مستظرف ٠
٢ ـ ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ـ القاهرة ١٣٥٦ هـ
٣ ـ ابن خلدون ـ التاريخ ـ نصف ١٩٣٦م ٠
٤ ـ المقدمـــة ـ بيروت ١٩٥٣
٥ ـ ابن خلكان ـ وفيات الاعيان ١٣١٠ هـ ٠
٦ ـ ابن خرداذبه ـ المسالك والممالك ـ ليدن ١٩٠٩ ٠
٧ ـ ابن حجر العسقلاني ـ الاصابة في معرفة الصحابة ـ القاهرة ١٣٢٨هـ
٨ ـ ابن رسته ـ الاعلاق النفسية ـ ليدن ١٨٩١م ٠
٩ ـ ابن سعد ـ الطبقات الكبرى ـ ليدن ١٩٠٥ ٠
١٠ ـ ابن طباطبا المعروف بابن الطقطقي ـ الاداب السلطانية ـ مصر ١٩٢٧٠
١١ ـ ابن عبدالحكم ـ سيرة عمر بن عبدالعزيز ـ مصر ٠
١٢ ـ ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ـ ١٩٣٥ ٠
١٣ ـ ابن فضل الله العمري ـ مسالك الانصار في ممالك الانصار ـ مصر ١٩٢٤
١٤ ـ ابن الفقيه ـ مختصر البلدان ـ ١٣٠٢ ٠
١٥ ـ ابن قتيبة ـ الامامة والسياسة ـ مصر ١٣٢٨ ٠
١٦ ـ ابن قتيبة ـ عيون الاخبار ـ مصر دار الكتب ١٩٢٥ ٠
١٧ ـ ابن قتيبة ـ المعارف ـ مصر ١٩٣٦ ٠
١٨ ـ ابن كثير ـ البداية والنهاية ١٩٢٢ ٠
١٩ ـ ابن منظور ـ لسان العرب ـ بيروت ١٩٥٦ ٠
٢٠ ـ ابن النديم ـ الفهرست ليبزك ١٨٧١ ٠
٢١ ـ ابو الفدى ـ تقويم البلدان ليبزك ـ ١٨٩١ ٠
٢٢ ـ ابو يوسف ـ الخراج ـ ١٣٠٢ ٠
٢٣ ـ البلاذري ـ فتوح البلدان ـ مصر ٠
٢٤ ـ البلاذري ـ انساب الاشراف ـ جزئان ـ القدس ١٩٣٩ ٠
٢٥ ـ البغدادي ـ عبدالقاهر ـ الفرق بين الفرق ـ القاهرة ١٩٢٤ ٠
٢٦ ـ التنوفي ـ الفرج بعد الشدة ـ القاهرة ١٩٥٥ ٠
٢٦ ـ التنوخي ـ الفرج بعد الشدة ـ القاهرة ١٩٥٥ ٠
٢٧ ـ حاجي خليفة ـ كشف الضنون ـ المانيا ـ ١٨١٧ ٠
٢٨ ـ الجاحظ ـ البيان والتبيين ـ تحقيق عبدالسلام هارون ـ القاهرة ١٩٤٧
٣٠ ـ الحيوان ـ بيروت ١٩٥٦ ٠

٣١ ـ رسائل ـ جمع حسن السندوبي ـ القاهرة ١٩٣٧ ·
٣٢ ـ التبصر بالتجارة ـ القاهرة ١٩٢٥ ·
٣٣ ـ العثمانية ـ تحقيق عبدالسلام هارون ١٩٥٥ ·
٣٤ ـ الجهشياري ـ الوزراء والكتاب ـ تحقيق الابياري ورفاقه ـ مصر ١٩٣٨
٣٥ ـ الدينوري ـ الاخبار الطوال ـ مصر ١٣٣٠ هـ ·
٣٧ ـ الرازي ـ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ـ القاهرة ١٩٣٨ ·
٣٧ ـ السيوطي ـ تاريخ الخلفاء ـ القاهرة ١٩٥٢ ·
٣٨ ـ الشابشتي ـ الديارات ـ تحقيق كوكيس عواد ـ بغداد ١٩٥١ ·
٣٩ ـ الشهرستاني ـ الملل والنحل ـ القاهرة ١٩٤٨ ·
٤٠ ـ الاصفهاني ـ الاغاني ـ بيروت ١٩٥٧ ·
مقاتل الطالبين
٤١ ـ الاصطخري ـ مسالك الممالك ـ ليدن ١٩٢٧ ·
٤٢ ـ الطبري ـ الامم والملوك ١١ جزء ـ القاهري ١٩٣٢ ·
٤٣ ـ الفيروزابادي ـ القاموس المحيط ـ مصر ١٩٣٨ ·
٤٤ ـ قدامة بن جعفر ـ الخراج ـ مخطوط في مكتبة البلدية بالاسكندرية ·
٤٥ ـ القفطي ـ اخبار العلماء باخبار الحكماء ـ القاهرة ١٣٢٦ ·
٤٦ ـ القلقشندي ـ صبح الاعشى ـ القاهرة ١٩١٥ ·
٤٧ ـ الماوردي ـ الاحكام السلطانية ـ القاهرة ١٩٢٨ ·
٤٨ ـ المبرد ـ الكامل في اللغة والادب ـ المكتبة التجارية في مصر ·
٤٩ ـ المسعودي ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر (٤) ج التنبيه والاشراف ـ ليدن ١٨٩٣ ·
٥٠ ـ المقدسي ـ أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ـ ليدن ١٨٧٧ ·
٥١ ـ المقريزي ـ التنازع والتخاصم · شذور العقود في اخبار النقود تحقيق الطبطبائي ـ النجف ·
٥٢ ـ نصر بن مزاحم ـ وقعة صفين ـ تحقيق عبدالسلام هارون ـ القاهرة ١٣٦٥ ·
٥٣ ـ النبختي ـ فرق الشيعة ـ النجف ١٩٣٧ ·
٥٤ ـ ياقوت الحموي ـ معجم البلدان ـ (١٠) ج ـ القاهرة ١٩٠٦ ·
٥٥ ـ يحي بن آدم القرشي ـ الخراج ـ القاهرة ١٣٤٧ هـ ·
٥٦ ـ اليعقوبي ـ التاريخ ـ ٣ ج ـ النجف ١٣٥٨ هـ ·
٥٧ ـ البلدان ـ ليدن ١٨٦٠ هـ ·
٥٨ ـ الخطب البغدادي تقيد العلم ·

المراجع العربية الحديثة

٥٨ ـ احمد امين ٠
٥٩ ـ احمد امين ـ فجر الاسلام ـ القاهرة ١٩٤٥ ٠
٦٠ ـ احمد امين ـ ضحى الاسلام ـ القاهرة ١٩٣٦ ٠
٦١ ـ احمد امين ـ يوم الاسلام ـ القاهرة ١٩٤٩ ٠
٦٢ ـ احمد سوسة ـ تطور الري في العراق ـ القاهرة ١٣٥٦ هـ ٠
٦٣ ـ احمد الشايب ـ تاريخ الشعر السياسي ـ القاهرة ١٩٥٣ ٠
٦٤ ـ احمد صالح العلي ـ التنظيمات الاجتماعية والادارية في البصرة ـ بغداد ١٩٥٤ ٠
٦٥ ـ بديع شريف ـ الصراع بين الموالي والعرب ـ القاهرة ١٩٥٥ ٠
٦٦ ـ حسن ابراهيم حسن ـ تاريخ الاسلام السياسي ـ القاهرة ١٩٥٣ ٠
٦٧ ـ حسن ابراهيم وابراهيم حسن ـ النظم الاسلامية ـ القاهرة ١٩٥٣م ٠
٦٧ ـ حسون عون ـ ما تعاقب على العراق من حضارات ـ مصر ١٩٥٤ ٠
٦٨ ـ جواد علي ـ تاريخ العرب قبل الاسلام ـ بغداد ١٩٥٦ ٠
٦٩ ـ جورجي زيدان ـ التمدن الاسلامي ـ القاهرة ١٩٢٢ ٠
٧٠ ـ سيدة اسماعيل الكاشف ـ مصر في فجر الاسلام ـ القاهرة ١٩٤٧ ٠
٧١ ـ سهير القلماوى ـ ادب الخوارج ٠
٧٢ ـ شوقي ضيف ـ التطور والتجديد في الشعر الاموى ـ القاهرة ١٩٥٢ ٠
٧٣ ـ شكري فيصل ـ المتجمعات الاسلامية في القرن الاول ـ القاهرة ١٩٥٢ ٠
٧٤ ـ طه حسين ـ علي وبنوه ـ القاهرة ١٩٥٣ ٠
٧٥ ـ طه حسين ـ الفتنة الكبرى ـ القاهرة ٠
٧٦ ـ عبدالعزيز الدوري ـ مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ٠
٧٧ ـ عبدالعزيز الدوري ـ النظم الاسلامية ـ بغداد ١٩٥٠ ٠
٧٨ ـ عبدالعزيز الدوري ـ تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ـ بغداد ١٩٤٨ ٠
٧٩ ـ عبدالحميد العبادي ـ صور من التاريخ الاسلامي ـ القاهرة ١٩٥٣
٨٠ ـ الاب انستاس الكرملي ـ النقود العربية وعلم النميات ـ القاهرة ١٩٣٩ ٠
٨١ ـ محمد عرنوس ـ تاريخ القضاء في الاسلام ـ القاهرة ١٩٣٥ ٠
٨٢ ـ محمد جابر عبدالعال ـ حركات الشيعة المتطرفين ـ القاهرة ١٩٥٤ ٠
٨٣ ـ محمد كرد علي ـ الاسلام والحضارة العربية ٠
٨٤ ـ محمد كرد علي ـ الادارة العربية في عز العرب ـ ١٩٣٤ ٠
٨٥ ـ محمد حسين ـ الهجاء والهجاؤون ـ القاهرة ١٩٤٩ ٠

٨٦ ـ محمد الطيب النجار ـ الموالي في العصر الاموي ـ القاهرة ١٩٤٩ ٠
٨٧ ـ يوسف غنيمة ـ نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق ـ بغداد ١٩٢٤ ٠

المراجع الافرنجية المترجمة

٨٨ ـ آدم متز ـ تاريخ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ـ ترجمة عبدالهادي ابو ريدة القاهرة ١٩٤٠ ٠
٨٩ ـ آرنلد ـ الدعوة الى الاسلام ـ ترجمة حسن ابراهيم ورفاقه ـ القاهرة ١٩٤٧ ٠
٩٠ ـ آرنلد ـ تراث الاسلام ـ جمهرة من المستشرقين ـ تعريب جرجيس فتح الله ـ الموصل ١٩٥٤ ٠
٩١ ـ ترتن ـ أهل الذمة في الاسلام ـ ترجمة حسن حبشي ـ القاهرة ١٩٤٩ ٠
٩٢ ـ دي كاسترو ـ الاسلام سوانح وخواطر ـ ترجمة فتحي زغلول ـ القاهرة ١٩٣٥ ٠
٩٣ ـ سيد امير علي ـ مختصر تاريخ العرب ـ ترجمة رياض رافت ـ القاهرة ١٩٣٨ ٠
٩٤ ـ فليب حتي ـ تاريخ العرب ٠
٩٥ ـ فان فلوتن ـ السيادة العربية والاسرائليات ـ ترجمة حسن ابراهيم وعلي ابراهيم ـ القاهرة ١٩٣٩ ٠
٩٦ ـ كرستنسن ـ ايران في عهد الساسانين ـ ترجمة يحي الخشاب ـ القاهرة ١٩٥٧ ٠
٩٧ ـ سيدبو ـ تاريخ العرب العام ٠
٩٧ ـ كارل بركلمان ـ تاريخ الشعوب الاسلامية ـ ترجمة منير البعلبكي ـ بيروت ١٩٤٨ ٠
٩٨ ـ موريس ديموبين ـ النظم الاسلامية ـ ترجمة صالح الشماع وفيصل السامر ـ بغداد ١٩٥٢ ٠
٩٩ ـ لسترنج ـ بلدان الخلافة الشرقية ـ ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ـ بغداد ١٩٥٤ ٠

مراجع اخرى

١٠٠ ـ فصول من دائرة المعارف الاسلامية ٠
١٠١ ـ مجلة سومر ٠
١٠٢ ـ المختار من سحاح اللغة ٠

١٠٣ ـ قاموس المنجد ٠
١٠٤ ـ تقيد العلم ـ الخطيب البغدادي ـ نشر وتحقيق يوسف العش دمشق
١٠٥ ـ ولهاوزن ـ الدول العربية وسقوطها ـ ترجمة يوسف العش دمشق ١٩٥٦ ٠
١٠٦ ـ ابو عبيد ـ القاسم بن سلام ـ الاموال ـ القاهرة ١٣٠٣ هـ ٠
١٠٧ ـ حمزة الاصفهاني ـ تاريخ الامم ـ المانيا ١٨٨٧ ٠

الموضوع	الصحيفة
١ ـ الفصل الاول	
الفتح العربي للعراق	٧
الفتـــح	١١
٢ ـ الفصل الثاني	
جغرافيـــة العراق	١٥
التحـــديد الجغرافي	١٨
التحديد الاداري والسياسي	٢١
٣ ـ الفصل الثالث	
النزاع بين علي ومعاوية وقيام الدولة الاموية	٢٤
٤ ـ الفصل الرابع	
انظمة الحكم	
النظـــام الاداري	٤٠
النظـــام المـــالي	٥٦
الخـــراج	٥٩
الضرائب غير الشرعيـــة	٦٥
نظـــام الجبـــاية	٦٧
النظـــام النقـــدي	٧٠
النظـــام القضـــائي	٧٤
النظـــام الحـــربي	٨٣
الجيش	
٥ ـ الفصل الخامس	
تعريب العـــراق	٨٨
العناصر المكونة لسكان العراق قبل الفتح الاســـلامي	٨٩
النبط	٩٠
الفرس	٩١
العرب	٩١
عملية الفتح وموقف هذه العناصر منها	
الفرس	٩٤

الموضوع	الصحيفة
النبط	٩٨
موقف القبائل العربية في العراق	٩٩
السياسة المالية	١٠٣
تمصير البصرة	١١٥
تمصير الكوفة	١١٨
واسط	١٢٢
تعريب الدواوين	١٢٨
تدوين الحديث	١٢٩

٦ ـ الفصل السادس

الموضوع	الصحيفة
البهلول	٢٠٥
ثورات الموالى	٢٠٩
المختار الثقفي	٢١١
مطرف بن المغيرة بن شعبة	٢١٨
ثورة عبدالله بن معاوية	٢١٩
الملاحق	٢٢٣

الكوفة

السنة	الخليفة	عامل العراق	الامير	القاضي	صاحب الشرطة	صاحب الخراج
٤١	معاوية بن ابي سفيان		عبدالله بن عمرو بن العاص	شريح	قبيصة بن الدمون	عبدالله بن دراج
٤٢	معاوية بن ابي سفيان		المغيرة بن شعبة	شريح	قبيصة بن الدمون	عبدالله بن دراج
٤٣	معاوية بن ابي سفيان		المغيرة بن شعبة	شريح	قبيصة بن الدمون	
٤٤	معاوية بن ابي سفيان		المغيرة بن شعبة	شريح	قبيصة بن الدمون	
٤٥	معاوية بن ابي سفيان		المغيرة بن شعبة	شريح	قبيصة بن الدمون	
٤٦	معاوية بن ابي سفيان		المغيرة بن شعبة	شريح	قبيصة بن الدمون	
٤٧	معاوية بن ابي سفيان		المغيرة بن شعبة	شريح	قبيصة بن الدمون	
٤٨	معاوية بن ابي سفيان		المغيرة بن شعبة	شريح	قبيصة بن الدمون	
٤٩	معاوية بن ابي سفيان		المغيرة بن شعبة	شريح	قبيصة بن الدمون	
٥٠	معاوية بن ابي سفيان	زياد بن ابيه	عبدالرحمن بن عبيد	شريح	شداد بن الهيثم	
٥١	معاوية بن ابي سفيان	زياد بن ابيه	عمرو بن حريث	شريح	شداد بن الهيثم	
٥٢	معاوية بن ابي سفيان	زياد بن ابيه	عمرو بن حريث	شريح	شداد بن الهيثم	
٥٣	معاوية بن ابي سفيان	—	عبدالله خالد بن اسيد	شريح		
٥٤	معاوية بن ابي سفيان		عبدالله خالد بن اسيد	شريح		
٥٥	معاوية بن ابي سفيان		الضحاك بن قيس الفهري	شريح		
٥٦	معاوية بن ابي سفيان		الضحاك بن قيس الفهري	شريح		
٥٧	معاوية بن ابي سفيان		الضحاك بن قيس الفهري	شريح		
٥٨	معاوية بن ابي سفيان		عبدالرحمن بن عبدالله بن ام الحكم	شريح		
٥٩	معاويه بن ابي سفيان		النعمان بن بشير الانصاري	شريح		
٦٠	يزيد بن معاوية	عبيدالله بن زياد	عبيدالله بن زياد	شريح	الحصين بن	
٦١	يزيد بن معاوية	عبيدالله بن زياد	عمرو بن حريث	شريح	الحصين بن	
٦٢	يزيد بن معاوية	عبيدالله بن زياد	عمرو بن حريث	شريح		
٦٣	يزيد بن معاوية	—	عمرو بن حريث	شريح		
٦٤	عبدالله بن الزبير		عبدالله بن يزيد الخطي	شريح	سعد بن نمران	ابراهيم بن محمد بن طلحة
٦٥	عبدالله بن الزبير		عبدالله بن مطيع العدوى	شريح	اياس بن مضارب العجلي	
٦٦	عبدالله بن الزبير		المختار يثب بالكوفة	شريح	عبدالله بن كامل الشاكري	عبدالله بن شريح الشبامى
٦٧	عبدالله بن الزبير	مصعب بن الزبير	—	عبدالله بن عتبه بن مسعود		
٦٨	عبدالله بن الزبير	—	الحارث بن ابي ربيعة	عبدالله بن عتبه بن مسعود		
٦٩	عبدالله بن الزبير		—	شريح		
٧٠	عبدالله بن الزبير	بشر بن مروان	—	شريح		
٧١	عبدالملك بن مروان		بشر بن مروان	عبدالله بن عتبه بن مسعود		
٧٢	عبدالملك بن مروان		بشر بن مروان	شريح		
٧٣	عبدالملك بن مروان		عمرو بن حريث	شريح		
٧٤	عبدالملك بن مروان		عمرو بن حريث	شريح		
٧٥	عبدالملك بن مروان	الحجاج بن يوسف الثقفي	ابو يعقوب عمرو بن المغيرة بن شعبة	شريح		

الكوفــــة

السنة	الخليفــة	عامـل العـراق	الامـــــير	القاضـــي	صاحب الشرطـة	صاحب الخراج
٧٦	عبدالملك بن مروان	الحجاج بن يوسف الثقفي	عمرو بن المغيرة بن شعبة	شـــريح	عبدالرحمن بن عبيد بن طارق	
٧٧	عبدالملك بن مروان	الحجاج بن يوسف الثقفي		شـــريح	العبشمي	
٧٨	عبدالملك بن مروان	الحجاج بن يوسف الثقفي	المغيرة بن عبدالله بن عقيل		حوشب بن يزيـــد	
٧٩	عبدالملك بن مروان	الحجاج بن يوسف الثقفي	——		عبدالرحمن بن عبيد بن طارق	
٨٠	عبدالملك بن مروان	الحجاج بن يوسف الثقفي		ابو بردة بن ابي موسى الاشعري	العبشمي	
٨١	عبدالملك بن مروان	الحجاج بن يوسف الثقفي		ابو بردة بن ابي موسى الاشعري		
٨٢	عبدالملك بن مروان	الحجاج بن يوسف الثقفي		ابو بردة بن ابي موسى الاشعري		
٨٣	عبدالملك بن مروان	الحجاج بن يوسف الثقفي	حوشب بن يزيـــد	ابو بردة بن ابي موسى الاشعري		
٨٤	عبدالملك بن مروان	الحجاج بن يوسف الثقفي	——	ابو بردة بن ابي موسى الاشعري		
٨٥	عبدالملك بن مروان	الحجاج بن يوسف الثقفي	المغيرة بن عبدالله على الصلاة	ابو بردة بن ابي موسى الاشعري		
٨٦	الوليد بن عبدالملك	الحجاج بن يوسف الثقفي	زياد بن جرير بن عبدالكريم على الحرب	ابو بردة بن ابي موسى الاشعري		
٨٧	الوليد بن عبدالملك	الحجاج بن يوسف الثقفي	المغيرة بن عبدالله على الصلاة	ابو بردة بن ابي موسى الاشعري		
٨٨	الوليد بن عبدالملك	الحجاج بن يوسف الثقفي	زياد بن جرير بن عبدالله على الحرب	ابو بردة بن ابي موسى الاشعري		
٨٩	الوليد بن عبدالملك	الحجاج بن يوسف الثقفي	زياد بن جرير بن عبدالله على الحرب	ابو بردة بن ابي موسى الاشعري		
٩٠	الوليد بن عبدالملك	الحجاج بن يوسف الثقفي	زياد بن جرير بن عبدالله على الحرب	ابو بردة بن ابي موسى الاشعري		
٩١	الوليد بن عبدالملك	الحجاج بن يوسف الثقفي	زياد بن جرير بن عبدالله على الحرب	ابو بردة بن ابي موسى الاشعري		
٩٢	الوليد بن عبدالملك	الحجاج بن يوسف الثقفي	زياد بن جرير بن عبدالله على الحرب	ابو بردة بن ابي موسى الاشعري		
٩٣	الوليد بن عبدالملك	الحجاج بن يوسف الثقفي	زياد بن جرير بن عبدالله على الحرب	ابو بردة بن ابي موسى الاشعري		
٩٤	الوليد بن عبدالملك	الحجاج بن يوسف الثقفي	زياد بن جرير بن عبدالله على الحرب	ابو بردة بن ابي موسى الاشعري		
٩٥	الوليد بن عبدالملك	يزيد بن ابي كيشة		ابو بردة بن ابي موسى الاشعري		يزيد بن ابي مسلم
٩٦	سليمان بن عبدالملك	يزيـد بن المهلب	——	ابو بردة بن ابي موسى الاشعري		
٩٧	سليمان بن عبدالملك	يزيـد بن المهلب	بشير بن حسان النهدى	ابو بردة بن ابي موسى الاشعري		
٩٨	سليمان بن عبدالملك	يزيـد بن المهلب	عبدالحميد بن عبدالرحمن	ابو بردة بن ابي موسى الاشعري		
٩٩	عمر بن عبدالعزيز	——	عبدالحميد بن عبدالرحمن	عامـر الشـعبي		
١٠٠	عمر بن عبدالعزيز	——	عبدالحميد بن عبدالرحمن	عامـر الشـعبي		
١٠١	يزيد بن عبدالملك	——		عامـر الشـعبي		
١٠٢	يزيد بن عبدالملك	مسلمة بن عبدالملك	محمد بن عمرو بن الوليد ذو الشامة	القاسم بن عبدالرحمن بن عبدالله	العريان بن الهيثم	
١٠٣	يزيد بن عبدالملك	عمر بن هبـيرة	——	بن مسعود		
١٠٤	يزيد بن عبدالملك	عمر بن هبـيرة	——			
١٠٥	هشام بن عبدالملك	خالد بن عبدالله القسرى	——	حسين بن الحسن الكندي		
١٠٦	هشام بن عبدالملك	خالد بن عبدالله القسرى	——	حسين بن الحسن الكندي		
١٠٧	هشام بن عبدالملك	خالد بن عبدالله القسرى	——	حسين بن الحسن الكندي		
١٠٨	هشام بن عبدالملك	خالد بن عبدالله القسرى		حسين بن الحسن الكندي		
١٠٩	هشام بن عبدالملك	خالد بن عبدالله القسرى		حسين بن الحسن الكندي		

الكوفة

السنة	الخليفة	عامل العراق	الامير	القاضي	صاحب الشرطة	صاحب الخراج
١١٠	هشام بن عبدالملك	خالد بن عبدالله القسري		حسين بن الحسن الكندي		
١١١	هشام بن عبدالملك	خالد بن عبدالله القسري		حسين بن الحسن الكندي		
١١٢	هشام بن عبدالملك	خالد بن عبدالله القسري		حسين بن الحسن الكندي		
١١٣	هشام بن عبدالملك	خالد بن عبدالله القسري		حسين بن الحسن الكندي		
١١٤	هشام بن عبدالملك	خالد بن عبدالله القسري		حسين بن الحسن الكندي		
١١٥	هشام بن عبدالملك	خالد بن عبدالله القسري		حسين بن الحسن الكندي		
١١٦	هشام بن عبدالملك	خالد بن عبدالله القسري		حسين بن الحسن الكندي		
١١٧	هشام بن عبدالملك	خالد بن عبدالله القسري		حسين بن الحسن الكندي		
١١٨	هشام بن عبدالملك	خالد بن عبدالله القسري		حسين بن الحسن الكندي		
١١٩	هشام بن عبدالملك	خالد بن عبدالله القسري		حسين بن الحسن الكندي		
١٢٠	هشام بن عبدالملك	يوسف بن عمر الثقفي	الحكم بن الصلت	حسين بن الحسن الكندي	طارق بن ابي زياد	
١٢١	هشام بن عبدالملك	يوسف بن عمر الثقفي	الحكم بن الصلت	ابن شبرمه	طارق بن ابي زياد	
١٢٢	هشام بن عبدالملك	يوسف بن عمر الثقفي	الحكم بن الصلت	ابن شبرمه	عمر بن عبدالرحمن	
١٢٣	هشام بن عبدالملك	يوسف بن عمر الثقفي	الحكم بن الصلت	محمد بن عبدالرحمن بن ابي ليلى	عمر بن عبدالرحمن	
١٢٤	هشام بن عبدالملك	يوسف بن عمر الثقفي	الحكم بن الصلت	محمد بن عبدالرحمن بن ابي ليلى	عمر بن عبدالرحمن	
١٢٥	الوليد بن يزيد	منصور بن جمهور	عبدالله بن العباس	محمد بن عبدالرحمن بن ابي ليلى	ثمامة بن حوشب	
١٢٦	يزيد بن الوليد	عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز	الحجاج بن ارطاة	محمد بن عبدالرحمن بن ابي ليلى	الغضبان بن القبعثري	
١٢٧	مروان بن محمد	عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز وقد غلب عليها المثنى بن عمران بن الخوارج		——		
١٢٨	مروان بن محمد	——				
١٢٩	مروان بن محمد	يزيد بن عمر بن هبيرة	——			
١٣٠	مروان بن محمد	يزيد بن عمر بن هبيرة	——	الحجاج بن معاوية المحاربي		
١٣١	مروان بن محمد	يزيد بن عمر بن هبيرة	——	الحجاج بن معاوية المحاربي		
١٣٢	مروان بن محمد	يزيد بن عمر بن هبيرة	زياد بن صالح الحارثي	الحجاج بن معاوية المحاربي	عبدالرحمن بن بشير العجلي	

البصرة

السنة	الخليفة	العامل على العراق	الامير	القاضي	صاحب الشرطة	صاحب الخراج
٤١هـ	معاوية بن ابي سفيان		يسر بن ارطاة	عميرة بن يثربي الضبي	حبيب بن شهاب الشامي	
٤٢	معاوية بن ابي سفيان		عبدالله بن عامر	عميرة بن يثربي الضبي		
٤٣	معاوية بن ابي سفيان		عبدالله بن عامر	عميرة بن يثربي الضبي		
٤٤	معاوية بن ابي سفيان		عبدالله بن عامر	عميرة بن يثربي الضبي		
٤٥	معاوية بن ابي سفيان	—	عبدالله بن عامر		عبدالله بن عمرو الثقفي	
٤٦	معاوية بن ابي سفيان		الحارث بن عبدالله الازدي	عمران بن حطين الخزاعي	عبدالله بن عمرو الثقفي	
٤٧	معاوية بن ابي سفيان		زياد بن ابيه		عبدالله بن حصن	
٤٨	معاوية بن ابي سفيان		زياد بن ابيه	فضالة الليثي	الجعد بن قيس	
٤٩	معاوية بن ابي سفيان		زياد بن ابيه	عاصم الليثي	عبدالله بن حصن	
٥٠	معاوية بن ابي سفيان	زياد بن ابيـ	سمرة بن جندب	زراره بن اوفي	عبدالله بن حصن	
٥١	معاوية بن ابي سفيان	زياد بن ابيـ	سمرة بن جندب	زراره بن اوفي	عبدالله بن حصن	
٥٢	معاوية بن ابي سفيان	زياد بن ابيـ	سمرة بن جندب	زراره بن اوفي	عبدالله بن حصن	
٥٣	معاوية بن ابي سفيان	زياد بن ابيـ	سمرة بن جندب	عميرة بن يثربي	عبدالله بن حصن	
٥٤	معاوية بن ابي سفيان		عبدالله بن عمر بن غيلان	عميرة بن يثربي	عبدالله بن حصن	
٥٥	معاوية بن ابي سفيان		عبيدالله بن زياد	زراره بن اوفي	عبدالله بن حصن	
٥٦	معاوية بن ابي سفيان		عبيدالله بن زياد	زراره بن اوفي	عبدالله بن حصن	
٥٧	معاوية بن ابي سفيان		عبيدالله بن زياد	زراره بن اوفي	عبدالله بن حصن	
٥٨	معاوية بن ابي سفيان		عبيدالله بن زياد	ابن اذينه السعدى	عبدالله بن حصن	
٥٩	معاوية بن ابي سفيان		عبيدالله بن زياد	ابن اذينه السعدى	عبدالله بن حصن	
٦٠	يزيد بن معاوية	عبيدالله بن زياد	عثمان بن زياد	عمر بن يثربي	عبدالله بن حصن	
٦١	يزيد بن معاوية	عبيدالله بن زياد		هشام بن هبيرة	عبدالله بن حصن	
٦٢	يزيد بن معاوية	عبيدالله بن زياد		هشام بن هبيرة	عبدالله بن حصن	
٦٣	يزيد بن معاوية		عمر بن عبيد بن معمر	هشام بن هبيرة	عبدالله بن حصن	
٦٤	عبدالله بن الزبير		عبدالله بن الحارث	هشام بن هبيرة	عبدالله بن حصن	
٦٥	عبدالله بن الزبير		عبدالله بن ربيعة المخزومي	هشام بن هبيرة	عبدالله بن حصن	
٦٦	عبدالله بن الزبير		الحارث بن عبيدالله بن ربيعة	هشام بن هبيرة	هميان بن عدى السدوس	
٦٧	عبدالله بن الزبير		حمزة بن عبدالله بن الزبير	هشام بن هبيرة	هميان بن عدى السدوس	
٦٨	عبدالله بن الزبير		مصعب بن الزبير	هشام بن هبيرة	عباد بن الحصين	
٦٩	عبدالله بن الزبير		مصعب بن الزبير	هشام بن هبيرة	عباد بن الحصين	
٧٠	عبدالله بن الزبير		مصعب بن الزبير	هشام بن هبيرة	مطرف بن سيدان الباهلي	
٧١	عبدالملك بن مروان		مصعب بن الزبير	هشام بن هبيرة	مطرف بن سيدان الباهلي	
٧٢	عبدالملك بن مروان		خالد بن عبدالله بن اسيد	هشام بن هبيرة	مطرف بن سيدان الباهلي	
٧٣	عبدالملك بن مروان	بشر بن مروان	—	هشام بن هبيرة	خداش بن يزيد الاسدى	
٧٤	عبدالملك بن مروان		—	هشام بن هبيرة	خداش بن يزيد الاسدى	
٧٥	عبدالملك بن مروان	الحجاج بن يوسف الثقفي	الحكم بن ايوب	زراره بن اوفي	زياد بن عمرو بن عتيك	

البصـــرة

السنة	الخليفة	عـامل العـراق	الامـــــير	القـــاضي	صـاحب الشرطة	صاحب الخراج
٧٦	عبدالملك بن مروان	الحجاج بن يوسف الثقفي	الحكم بن ايوب	زراره بن اوفي	زياد بن عمرو بن عتيك	
٧٧	عبدالملك بن مروان	الحجاج بن يوسف الثقفي	الحكم بن ايوب	زراره بن اوفي	عبدالله بن الاهتم	
٧٨	عبدالملك بن مروان	الحجاج بن يوسف الثقفي	الحكم بن ايوب	موسى ابن انس	عبدالله بن الاهتم	
٧٩	عبدالملك بن مروان	الحجاج بن يوسف الثقفي	الحكم بن ايوب	موسى ابن انس	عبدالله بن الاهتم	
٨٠	عبدالملك بن مروان	الحجاج بن يوسف الثقفي	الحكم بن ايوب	موسى بن انس	عبدالله بن الاهتم	
٨١	عبدالملك بن مروان	الحجاج بن يوسف الثقفي	الحكم بن ايوب	عبدالرحمن بن اذينه	عبدالله بن عامر بن مسمع	
٨٢	عبدالملك بن مروان	الحجاج بن يوسف الثقفي	الحكم بن ايوب	عبدالرحمن بن اذنبه	عبدالله بن عامر بن مسمع	
٨٣	عبدالملك بن مروان	الحجاج بن يوسف الثقفي	الحكم بن ايوب	عبدالرحمن بن اذنبه	عبدالله بن عامر بن مسمع	
٨٤	عبدالملك بن مروان	الحجاج بن يوسف الثقفي	الحكم بن ايوب	عبدالرحمن بن اذنبه	عبدالله بن عامر بن مسمع	
٨٥	عبدالملك بن مروان	الحجاج بن يوسف الثقفي	الحكم بن ايوب	عبدالرحمن بن اذنبه	عبدالله بن عامر بن مسمع	
٨٦	الوليد بن عبدالملك	الحجاج بن يوسف الثقفي	ايوب بن الحكم	عبدالرحمن بن اذنبه	عبدالله بن اذنية	
٨٧	الوليد بن عبدالملك	الحجاج بن يوسف الثقفي	الجراح بن عبدالله الحكمي	عبدالرحمن بن اذنبه	عبدالله بن اذنية	
٨٨	الوليد بن عبدالملك	الحجاج بن يوسف الثقفي	الجراح بن عبدالله الحكمي	عبدالرحمن بن اذنبه	عبدالله بن اذنية	
٨٩	الوليد بن عبدالملك	الحجاج بن يوسف الثقفي	الجراح بن عبدالله الحكمي	عبدالرحمن بن اذنبه	عبدالله بن اذنية	
٩٠	الوليد بن عبدالملك	الحجاج بن يوسف الثقفي	الجراح بن عبدالله الحكمي	عبدالرحمن بن اذنبه	عبدالله بن اذنية	
٩١	الوليد بن عبدالملك	الحجاج بن يوسف الثقفي	الجراح بن عبدالله الحكمي	عبدالرحمن بن اذنبه	عبدالله بن اذنية	
٩٢	الوليد بن عبدالملك	الحجاج بن يوسف الثقفي	الجراح بن عبدالله الحكمي	عبدالرحمن بن اذنبه	عبدالله بن اذنية	
٩٣	الوليد بن عبدالملك	الحجاج بن يوسف الثقفي	الجراح بن عبدالله الحكمي	عبدالرحمن بن اذنبه	عبدالله بن اذنية	
٩٤	الوليد بن عبدالملك	الحجاج بن يوسف الثقفي	الجراح بن عبدالله الحكمي	عبدالرحمن بن اذنبه	عبدالله بن اذنية	
٩٥	الوليد بن عبدالملك	يزيد بن ابي كبشة	——	عبدالرحمن بن اذنبه		يزيد بن ابي مسلم
٩٦	سليمان بن عبدالملك	يزيد بن المهلب	——	عبدالرحمن بن اذنبه		صالح بن عبدالرحمن
٩٧	سليمان بن عبدالملك	يزيد بن المهلب	عبدالله بن هلال الكلابي	عبدالرحمن بن اذنبه		
٩٨	سليمان بن عبدالملك	يزيد بن المهلب	شعبان بن عبدالله الكندى	الحسن بن الحسن البصرة		
٩٩	عمر بن عبدالعزيز	——	عـدى بن ارطاة	اياس بن معاوية المزني	يزيد بن عمر الاسيدى	عـدى بن ارطاة
١٠٠	عمر بن عبدالعزيز	——	عـدى بن ارطاة	اياس بن معاوية المزني	يزيد بن عمر الاسيدى	عـدى بن ارطاة
١٠١	يزيد بن عبدالملك		غلب عليها يزيد بن المهلب			
١٠٢	يزيد بن عبدالملك	مسلمة بن عبدالملك	عبدالرحمن بن سليم الكلبي			
١٠٣	يزيد بن عبدالملك	عمر بن هبيرة	عبدالملك بن بشر بن مروان		عمر بن يزيد التميمى	
١٠٤	يزيد بن عبدالملك	عمر بن هبيرة	——	عبدالملك بن يعلى		
١٠٥	هشام بن عبدالملك	خالد بن عبدالله القسرى	——	عبدالملك بن يعلى		
١٠٦	هشام بن عبدالملك	خالد بن عبدالله القسرى	ابو بردة بن ابي موسى الاشعرى	موسى بن انس	مالك بن المنذر بن الجارود	
١٠٧	هشام بن عبدالملك	خالد بن عبدالله القسرى	عقبة بن عبدا الاعلى	ثمامة بن عبدالله بن انس	مالك بن المنذر بن الجارود	
١٠٨	هشام بن عبدالملك	خالد بن عبدالله القسرى	عقبة بن عبدا الاعلى	ثمامة بن عبدالله بن انس	مالك بن المنذر بن الجارود	
١٠٩	هشام بن عبدالملك	خالد بن عبدالله القسرى	عقبة بن عبدا الاعلى	ثمامة بن عبدالله بن انس	مالك بن المنذر بن الجارود	

البصـــرة

السنة	الخليفة	عـامل العراق	الامـــــير	القـــاضى	صـاحب الشرطة	صاحب الخراج
١١٠	هشام بن عبدالملك	خالد بن عبدالله القسرى	ابان بن ضبارة اليزني	ثمامة بن عبدالله بن انس	بلال بن ابي بردة	
١١١	هشام بن عبدالملك	خالد بن عبدالله القسرى	بلال بن ابي مبردة	بلال بن ابي بردة	بلال بن ابي بردة	
١١٢	هشام بن عبدالملك	خالد بن عبدالله القسرى	بلال بن ابي مبردة	بلال بن ابي بردة	بلال بن ابي بردة	
١١٣	هشام بن عبدالملك	خالد بن عبدالله القسرى	بلال بن ابي مبردة	بلال بن ابي بردة	بلال بن ابي بردة	
١١٤	هشام بن عبدالملك	خالد بن عبدالله القسرى	بلال بن ابي مبردة	بلال بن ابي بردة	بلال بن ابي بردة	
١١٥	هشام بن عبدالملك	خالد بن عبدالله القسرى	بلال بن ابي مبردة	بلال بن ابي بردة	بلال بن ابي بردة	
١١٦	هشام بن عبدالملك	خالد بن عبدالله القسرى	بلال بن ابي مبردة	بلال بن ابي بردة	بلال بن ابي بردة	
١١٧	هشام بن عبدالملك	خالد بن عبدالله القسرى	بلال بن ابي مبردة	بلال بن ابي بردة	بلال بن ابي بردة	
١١٨	هشام بن عبدالملك	خالد بن عبدالله القسرى	بلال بن ابي مبردة	بلال بن ابي بردة	بلال بن ابي بردة	
١١٩	هشام بن عبدالملك	خالد بن عبدالله القسرى	بلال بن ابي مبردة	بلال بن ابي بردة	بلال بن ابي بردة	
١٢٠	هشام بن عبدالملك	يوسف بن عمر الثقفي	كثير بن عبدالله السلمي	عامر بن عبيدة الباهلي	—	
١٢١	هشام بن عبدالملك	يوسف بن عمر الثقفي	كثير بن عبدالله السلمي	عامر بن عبيدة الباهلي	—	
١٢٢	هشام بن عبدالملك	يوسف بن عمر الثقفي	كثير بن عبدالله السلمي	عامر بن عبيدة الباهلي	—	
١٢٣	هشام بن عبدالملك	يوسف بن عمر الثقفي	كثير بن عبدالله السلمي	عامر بن عبيدة الباهلي	—	
١٢٤	هشام بن عبدالملك	منصور بن جمهور	كثير بن عبدالله السلمي	عامر بن عبيدة الباهلي	—	
١٢٥	الوليد بن يزيد بن عبدالملك	عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز	كثير بن عبدالله السلمي	عامر بن عبيدة الباهلي	—	
١٢٦	يزيد بن الوليد بن عبدالملك	عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز	جرير بن يزيد بن جرير	عامر بن عبيدة الباهلي	—	
١٢٧	مروان بن محمد	عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز	—	عامر بن عبيدة الباهلي	—	
١٢٨	مروان بن محمد	عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز	—	ثمامة بن عبدالله	—	
١٢٩	مروان بن محمد	عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز	—	عباد بن منصور	—	
١٣٠	مروان بن محمد	يزيد بن عمر بن هبيرة	—	عباد بن منصور	—	
١٣١	مروان بن محمد	يزيد بن عمر بن هبيرة		عباد بن منصور		
١٣٢	مروان بن محمد	يزيد بن عمر بن هبيرة	مسلم بن قتيبة الباهلي	عباد بن منصور		

IRAQ IN THE UMAYYAD PERIOD

Political ' Social and Adminisral

Aspects

BY

Thabit Al - Rawi

B. A. M. A. (Alex .)

Publishers :

AL - NAHDA BOOKSHOP

BAGHDAD 1965

طبع الغلاف على مطابع دار التضامن ـ بغداد